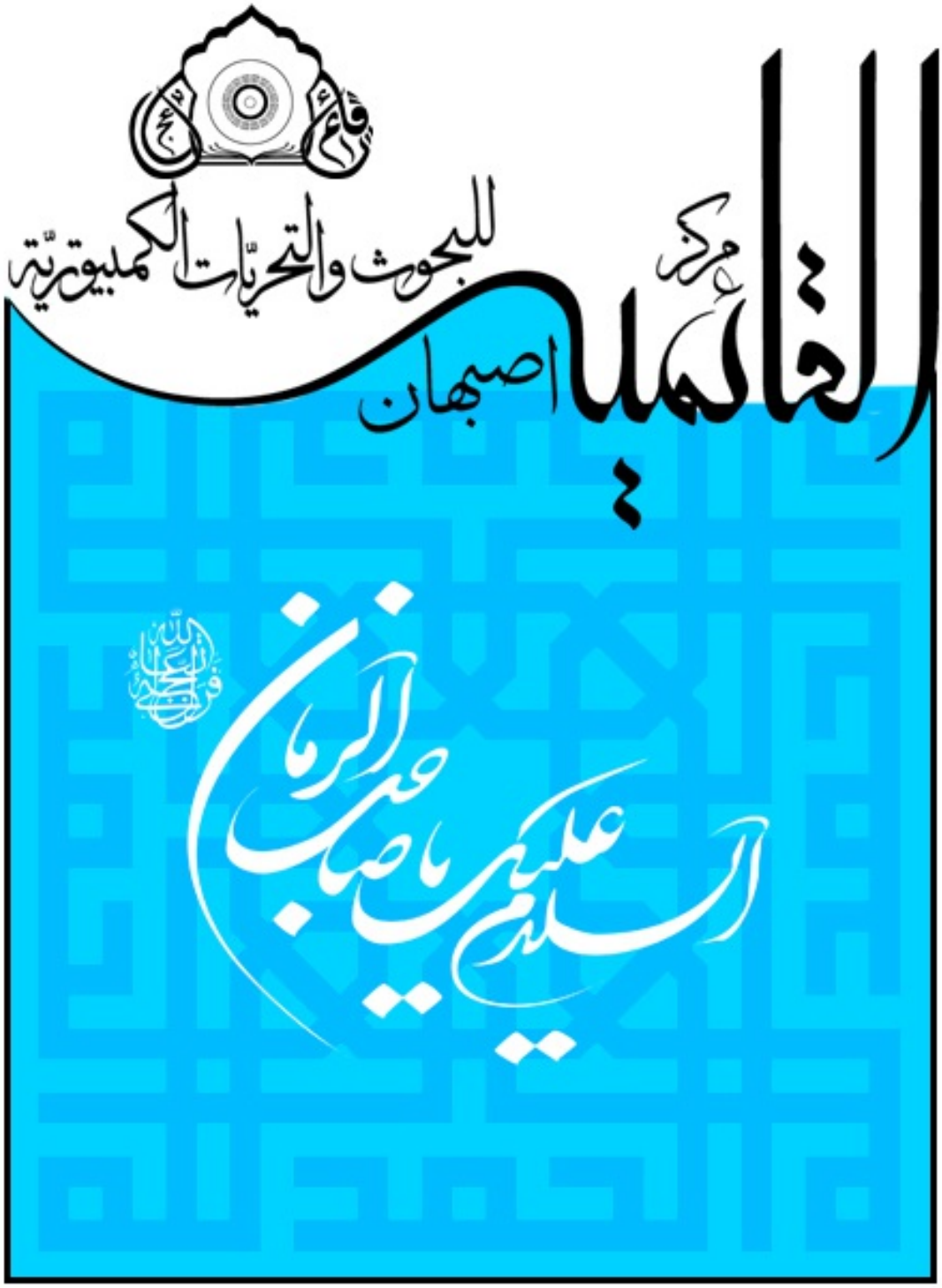

www.Ghaemiyeh.com
www.Ghaemiyeh.org
www.Ghaemiyeh.net
www.Ghaemiyeh.ir

لكي
لا تتنازعوا

آية الله السيد محمد
الحسيني الشيرازي (قدس سره الشريف)

بسم الله الرحمن الرحيم

لكى لا تتنازعوا

كاتب:

محمد حسينى شيرازى

نشرت فى الطباعة:

مركز الجواد عليه السلام

رقمى الناشر:

مركز القائمية باصفهان للتحريات الكمبيوترية

الفهرس

الفهرس ----- ۵
لکی لا تتنازعوا ----- ۱۰
اشارة ----- ۱۰
فی البدء کانت کلمة ----- ۱۰
مقدمة الناشر ----- ۱۲
مقدمة المؤلف ----- ۱۳
العلماء یتحدّون الطغاة ----- ۱۵
لأجل هذا انتصر الیهود ----- ۱۵
المجدد الشیرازی واتّحاد الأمّة ----- ۱۶
إسرائیل وسیاسة التفریق ----- ۱۷
من وحی التاریخ ----- ۱۷
هکذا أوقع الفرقة بینهم ----- ۱۸
زُوّار الأربعین ----- ۱۹
إشکالات وردود ----- ۲۰
لا لتقسیم العراق ----- ۲۲
من مکر الإنجلیز ----- ۲۲
استقلال العراق ثمرة الاتّحاد ----- ۲۳
نوری السعید وتمزیق الشیعة ----- ۲۵
عداء الشیعة خدمةً للاستعمار ----- ۲۵
عندما یختلف العلماء!! ----- ۲۶
الأیوبی وسلاح التفرقة ----- ۲۶
صفاء القلوب ----- ۲۸
وفی ذلک عبرة ----- ۲۹

عشاء التبن والشعير ----- ۲۹
ردُّ الإساءة بالإحسان ----- ۳۰
هكذا نلقى الفتنة! ----- ۳۰
الأندلس وكيف خسرناها؟ ----- ۳۱
حادثة فى قطار ----- ۳۲
سوء الظن ----- ۳۲
كلمة التوحيد وتوحيد الكلمة ----- ۳۲
نتيجة الاستبداد فى الرأى ----- ۳۳
المسيحية والشباب ----- ۳۳
الشباب والهيئات الدينية ----- ۳۳
النتائج الإيجابية للهيئات ----- ۳۴
أمور لا بدَّ منها ----- ۳۴
شمولية الأدوار ----- ۳۵
وحدة العلماء ----- ۳۵
المرجعية الواعية ----- ۳۸
من تجارب الأصدقاء ----- ۳۸
المجتمع وتوحيد الكلمة ----- ۳۸
العلماء حصون الأمة ----- ۳۹
شهادة جاسوس ----- ۴۰
الصبر يصنع الانتصار ----- ۴۱
الرسول صلى الله عليه و اله ولمّ الشمل ----- ۴۲
الناس سواسية ----- ۴۲
الاستعمار والنزاعات ----- ۴۶
الأحزاب الكافرة والتفرقة ----- ۴۷

فرعون وسياسة فرِّقْ تَسُدْ ----- ۴۷
من تجاربى الشخصية ----- ۴۷
الأصفهانى وثقافة الوحدة ----- ۴۸
العمل من أجل الوحدة ----- ۴۹
دور المؤسسات فى الحياة ----- ۵۰
وما معاوية بأدهى منى ----- ۵۲
العلماء وأخلاق الوحدة ----- ۵۳
وللنظرات تفسير ----- ۵۴
مداراة الناس ----- ۵۴
حذاء يحوّل الصديق إلى عدوّ ----- ۵۴
من الصداقة إلى العداوة ----- ۵۴
كيف نفهم المجتمع؟ ----- ۵۴
لو كنت أعلم الغيب ----- ۵۵
مقابلة الهجر بالإحسان ----- ۵۵
العلماء فى مواجهة الإلحاد ----- ۵۶
العمل الفردى والجماعى ----- ۵۷
اليهود والتنظيم ----- ۵۷
الحفاظ على الأمثولة ----- ۵۸
القمّى وجمعه للعلماء ----- ۵۹
ذكريات سفير ----- ۶۰
انهيار القوّة ----- ۶۱
سياسة قاسم ----- ۶۱
من نتائج الفرقة ----- ۶۲
قصة الحاج عبد ----- ۶۲

وسائل الإنقاذ ---- ۶۳
المكر البريطانى ---- ۶۳
قصة من البحرين ---- ۶۴
ناصر الدين والوحدة ---- ۶۵
هكذا تفعل الدنيا بأبنائها ---- ۶۶
لا تزكّوا أنفسكم ---- ۶۷
حزب المؤتمر وتوحيد الهند ---- ۶۷
أمير المؤمنين عليه السلام والوحدة ---- ۶۸
مَن فرّق المسلمين؟ ---- ۶۸
من أخلاق الوحدويين ---- ۶۹
وحدة صفّ المقاتلين ---- ۶۹
الهيئات نواة الوحدة ---- ۷۰
حكمة بهلول ---- ۷۱
ربَّ مشهور لا أساس له ---- ۷۲
إقصاء العلماء عن الحياة ---- ۷۳
الاستعمار ورجال الدين ---- ۷۳
من مقومات الحركة ---- ۷۴
مداراة المجدّد الشيرازى ---- ۷۵
جاسوس بزىّ راهب ---- ۷۵
تطويق الخلافة العثمانية ---- ۷۶
ألف سنة لتفريق المسلمين ---- ۷۷
أغرقوهم بالفرقة ---- ۷۸
شعار عدم التفرقة ---- ۷۸
عدم رعاية الموازين ---- ۷۹

لک وحدک الربح ---- ۷۹
سوء الظن بالآخرین ---- ۷۹
إنّ بعض الظن إثم ---- ۷۹
الخبر الکاذب ---- ۸۰
اختلاف فی محل اختفائی ---- ۸۰
التجربة أکبر برهان ---- ۸۰
نازع الأسد دون الهرّة ---- ۸۱
لا طاقة لی بالنزاع ---- ۸۱
موازین النزاع ---- ۸۱
الابتعاد عن المحذور ---- ۸۱
تحمّل الآخرین ---- ۸۲
لا تخسر أصدقاءک ---- ۸۲
وحدة الوعی ---- ۸۲
ظاهرة انتشار السفور ---- ۸۳
الخاتمة ---- ۸۴
پی نوشتها ---- ۸۵
تعریف مرکز القائمیة باصفهان للتحریات الکمبیوتریة ---- ۱۳۲

لكى لا تتنازعوا

اشارة

اسم الكتاب: لكى لا تتنازعوا

المؤلف: حسينى شيرازى، محمد

تاريخ وفاة المؤلف: ۱۳۸۰ ش

الموضوع: دفاعيه

اللغة: عربى

عدد المجلدات: ۱

الناشر: مركز الجواد

مكان الطبع: بيروت

تاريخ الطبع: ۱۴۲۵ ق

الطبعة: اول

فى البدء كانت كلمة

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله ربّ العالمين، والصلاة والسلام على أشرف الخلق وخاتم المرسلين، محمد وآله الطيبين الطاهرين.

قال سبحانه وتعالى: وَقُلِ اعْمَلُوا فَسَيَرَى اللهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ وَسَتُرَدُّونَ إِلَى عَالِمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ().

حينما سمع الحسن البصرى بمقتل طاغية العراق فى زمن الأمويين الحجاج بن يوسف الثقفى سجد لله شكراً، وقال: اللّهم كما أمتَّه فأمت عنّا سنته.

واليوم وبعد زوال أعتى نظام وأكبر طاغية عرفه التاريخ المقروء فى العراق صدام التكريتى والذى يسمّيه البعض بمجمع الطواغيت، الذى أهان المقدسات، وسحق الكرامات، وسلب الشعب حقوقه، وقتل من شيعة العراق صبراً خمسة ملايين وثمانمائة ألف إنسان، عدا من زجّهم بحروبه ومعاركه مع دول الجوار، والذى لم يبنِ للعراق سوى المقابر الجماعية والسجون والمعتقلات.

علينا أن نعمل سوياً لإماتة بدعه بفضحه ومن آزره وناصره فى مسيرته الإجرامية من دول ومنظمات وأزلام عبر تدوين جرائمهم وطغيانهم ونشرها عبر كافة وسائل الإعلام المقروءة والمسموعة والمرئية، وبذلك نكون قد أوجدنا الوعى فى الشعب حتى تكون له حصانة لعدم تكرار مآسيه، ونكون قد أدينا ما علينا من مسؤولية تجاه الأجيال والتاريخ والحق والحقيقة، ونكون قد أوجدنا وسيلة ردع إضافية أمام الحكام الظلمة على أن ما يقترفونه سيكون مآله الكشف والفضح، فلو عمل الشعب العراقى فى الماضى على فضح الحكومات الاستبدادية لما وصل الأمر إلى تسلط صدام وزمرته، ولو لم يُفضح اليوم صدام ونظامه فسيأتى هدّام فى المستقبل.

ويقترح فى هذا الصدد تحويل بعض السجون ووسائلها التعذيبية وملفاتها إلى متاحف ليطّلع عليها العالم، وأن تصدر جريدة عراقية بالتعاون مع منظمات حقوق الإنسان هدفها استقصاء جرائم النظام البائد، وأن تحوّل المقابر الجماعية فى محافظات العراق إلى نصب تذكارية يلاقون الاحترام والإجلال.

علينا أن نقبر ما جاء به صدام من أفكار ومفاهيم كالقومية والعنصرية والطائفية وحكومة الأقلية، وما مارسه من نظام الحزب الواحد والحاكم الواحد، وما عمله من تقسيم للمواطنين من الدرجة الأولى والثانية والثالثة، وعلينا أن نزيل من نفوسنا أدران التفرد والعنف

والسلوك الانتقامى فى التعامل، هذه الأدران التى أوجدتها جمهورية الخوف، حيث حولت الناس إلى أذلاء يتكالبون على النفاق وعلى إيذاء بعضهم البعض وعلى الانتقاص من القيم الأخلاقية والاجتماعية فضلاً عن الإنسانية.

إنّ إماتة بدع صدام تحتاج إلى إزالة كوابيس التقاعس والتماهل واللامبالاة التى منينا بها، ونحتاج إلى جمع الهمم والسواعد وإلى وحدة الصف والهدف، ومسؤوليتنا الشرعية والعقلية تحتم علينا العمل سوياً من أجل عراق استشارى

ديمقراطى يضمن حقوق الأكثرية، ويحمل القيم الإسلامية ومبادئ أهل البيت ? مع الحفاظ على حقوق الأقلية، وهذا يتطلب منّا ما يلى:

١: نبذ الخلافات والصراعات الداخلية. قال سبحانه وتعالى: وَلاَ تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ ()، وقال سبحانه وتعالى: وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللهِ جَمِيعاً وَلاَ تَفَرَّقُوا () وأن نركّز على القواسم المشتركة، فإنّ: المسلمون إخوة، يد واحدة على من سواهم، تتكافأ دماؤهم، يسعى بذمتهم أدناهم، ويرد عليهم أقصاهم () كما جاء فى الحديث، وأن نعى أساليب الاستعمار وخططه ودسائسه فى تمزيق الشعوب والمجتمعات.

٢: أن نشخّص أعداءنا من الدول التى لا ترغب بقيام حكومة ديمقراطية فى العراق، معللين ذلك بسيطرة الأكثرية فى الحكم، وهذا ما عبر عنه وزير الخارجية الأمريكى فى بعض تصريحاته، ويسعى له بعض الحكام من تحركات مشبوهة.

٣: أن نحدد الهدف ونتمحور حوله حتى تتضح لنا الرؤية فى العمل، ونعرف ما ينبغى وما لا ينبغى.

٤: أن نلتف حول قياداتنا الدينية والوطنية الصالحة والمتقية التى يهمها مصلحة العراق وشعبه.

٥: أن نعمل جميعاً وباستمرار وفاعلية وبالطرق السلمية من أجل نيل الحقوق، فالاعتقاد بالحقوق دون السعى لها لا يحقق المنال، وهذه سنة الأنبياء والمرسلين والصالحين.

٦: أن تكون أعمالنا نخبوية ومرّكزة، هدفها تنمية القدرات العلمية والتنظيمية والوحدوية للجماهير.

٧: أن نجعل لأعمالنا ضوابط وأطراً، فبدون ذلك مآلها التصادم والتناحر، ومن تلك الضوابط احترام حقوق الآخرين وعدم السعى لتحجيم أو إسقاط أى طرف وترك حالة الاستعلاء والاستبداد، فإنّ: من استبدّ برأيه هلك ()؛ كما قال الإمام على عليه السلام.

٨: أن نعمل من أجل صياغة دستور تقوم به لجنة من الأخصائيين الدينيين والأكاديميين من ذوى الاختصاص، يراعى حقوق الأكثرية والدين الإسلامى والعرف الاجتماعى والخصوصية العراقية، وعرض هذا الدستور على الاستفتاء العام، على أن يكون بين فترة تحضيره والاستفتاء عليه فترة زمنية يتخللها إقراره من المراجع العظام وعقد مؤتمرات تقييمية من قبل النخبة العراقية.

٩: أن نفهم البُعد الديمقراطى وحقوق الأكثرية، وأن نطالب بتلك الحقوق، ويتجسد ذلك بأن يكون الرئيس مسلماً ومن الأكثرية، وكذا الوزارات والوظائف الحكومية والجيش ومجالس البلدية والمناهج التعليمية والتربية الدينية والأوقاف وألف شىء وشىء. وبغير ذلك نكون قد كررنا التجربة المأساوية للماضى من بعد ثورة العشرين من تسلط المتعصبين من الأقلية على البلاد والتحكّم بمصير غيرها، ويكون مصيرنا كما قال الشاعر أحمد شوقى:

فوردنا الوغى فكنا الغنائما

قد أردنا من المغانم حظاً

١٠: ومن المناسب هنا أن أدون هذه الملاحظة: أن ما يفعله البعض من تقسيم السلطة على أساس نسبة الطوائف وبعض القوميات فى آن واحد، فيه التفاف لهضم حقوق الأكثرية؛ لأن المسلمين فى العراق إما شيعة أو سنة، وتقسيمهم كذلك إلى أكراد وتركمان، وتَرْكُ العرب من التقسيم القومى، فإن الأولين الأكراد والتركمان يدخلون فى التقسيم الأول، فالمفترض هو إعطاء الشيعة حسب نسبهم ٨٠٪ سواء كانوا عرباً أو أكراداً أو تركماناً، وإعطاء السنة نسبة ١٥٪ سواء كانوا عرباً أو أكراداً أو تركماناً.

١١: أن يتقيد الرئيس المنتخب عبر استفتاء عام لكل عراقى صوت واحد ببرلمان حر منتخب، وأن تكون السلطة بالتداول عبر المنهج

السلمى بعيداً عن الانقلابات العسكرية على أن يكفل الدستور ذلك.

۱۲: أن نعمل من أجل إيجاد قوانين تحقق الاستقلال القضائى فى كل أبعاده ومفاهيمه الإدارية والمالية والفنية كما كان فى زمن الإمام على عليه السلام، وأن يكون هذا القضاء قادراً على حماية المواطن وحرياته وحقوقه المدنية والسياسية.

۱۳: أن نعمل من أجل خلق رأى عام عبر حرية الصحافة السلطة الرابعة وحرية تشكيل التنظيمات والأحزاب، وحرية التظاهر والاحتجاج، وحرية عقد المؤتمرات والندوات، لأجل إخراج العراق من واقعه المأساوى، ونشر الوعى والتثقيف الدينى وتحديد مصير الشعوب بنفسها دون تدخل القوى الأخرى.

۱۴: أن نعمل لوضع خطة اقتصادية متكاملة، تكفل لنا الاكتفاء الذاتى وإزالة التبعية للغرب.

۱۵: أن نسعى جميعاً لتقوية الحوزات العلمية والمؤسسات الدينية التى سعى النظام السابق للقضاء على رموزها وتصفيتها.

وهذه الأمور وغيرها قد أكد عليها الإمام الشيرازى رحمة الله عليه فى لقاءاته وحواراته وخطاباته وكتاباته، وكان يسعى دائماً لإزالة الاستبداد من أرض المقدسات والحضارات، صحيح أنه رحمة الله عليه انتقل إلى جوار ربه ولكن كتاباته بين الأيدى وأمانيه واضحة فاسعوا لتحقيقها لتنالوا الاستقلال والسيادة وتورثوا أبناءكم عزّاً وسعادة.

وأود أن أنشر إحدى الرسائل التى بعثها إلىّ قبل خمس سنوات من سقوط الطاغية وأنا فى المهجر والتى هى بمثابة رسالة لكل عراقى وكل مسلم يحترم مقدساته وقيمه.

من جوار عقيلة الهاشميين عليها السلام

صاحب مهدى

جمادى الآخرة ۱۴۲۴ه

نص الرسالة المعنونة بقلم سماحته رحمة الله عليه:

مقدمة الناشر

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله ربِّ العالمين، والصّلاة والسّلام على أشرف الخلق محمد وعلى آله الطاهرين.

وبعد.. ممّا يؤسف له حقاً، حال العالم الإسلامى اليوم بسبب الهيمنة والتسلط الاستبدادى الذى يخيّم على ربوعه، وما نجم عن ذلك من تمزق وصراعات وانقسامات، طالت كتلته الجغرافية والاجتماعية.

فأنظمة الحكم المنحرفة، والمتسترة بشعارات الوطنية والقومية، وما أشبه ذلك، إنما جاءت واستمدت سياستها الجائرة، من نفس سلوك وسياسات تلك الأنظمة التى استعبدت المسلمين باسم الإسلام، لتخلق عبر كل تلك القرون الطويلة من التاريخ الإسلامى مناهج الظلم والتفرقة والتجزئة، ولنا فى حكام بنى أمية وبنى العباس وآل عثمان، وصولاً إلى صور الاستعمار الحديث، وصنيعته من الأنظمة الحالية، أمثلة تشهد على انحرافها وممارساتها الظالمة حيال الشعوب المتعاقبة.

ولا يفوتنا من أن الجهل وعدم الوعى من لدن قطاعات واسعة من أبناء الأمة، وفى خطط الاستعمار والحكام الظلمة، كانا من جملة عوامل، ساهمت بوضوح فى تمكين الطغاة من التلاعب بمقدّرات الشعوب المسلمة، والتحكم بمصائرها وفق نزواتهم ونزعاتهم، والسير بها بعيداً عن خط الإسلام الصحيح، ومبادئ رسالته السمحاء، وسنة نبيه الكريم محمد صلى الله عليه و اله وتعاليم أهل بيته.?

إن الاستعمار لعب دوراً واسعاً فى تمزيق وحدة العالم الإسلامى، على الصُّعد الفكرية والسياسية والاقتصادية والاجتماعية، وإضعافه كقوة عالمية، تقف بالمرصاد لمخططاته ومشاريعه التوسعية العدوانية.

ولا سبيل للمسلمين للرجوع إلى عزِّهم ومجدهم العريق إلّا بالعودة إلى الإسلام الصحيح والانتهال من ينابيع المعرفة والعلم التى أفاض

بها القرآن الكريم وما رسمته السيرة النبوية الشريفة وأحاديث ووصايا أئمة أهل البيت.?

وأول ما ينبغى على المسلمين فعله هو الوحدة، روحاً ومضموناً، وتجسيد شعاراتها بالعمل على أرض الواقع، فالوحدة أساس القوة والمنعة، قال سبحانه وتعالى: وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللهِ جَمِيعاً وَلَا تَفَرَّقُوا ().

وقد دعا الإمام الشيرازى رحمة الله عليه فى هذا الكتاب المسلمين للعودة إلى جوهرهم وفطرتهم الإيمانية وروح الإسلام، ولأهمية هذا الموضوع ومدى اتصاله بحياة المسلمين ومستقبلهم وما يمر به الشعب العراقى اليوم من ظرفٍ حساس، الذى يحتاج فيه إلى بناء مجتمع متماسك قوامه التعايش والتآلف ووحدة الصف والهدف واتخاذ الخيار السياسى الذى يسعى الاحتلال إلى القضاء عليه ليقضى على قيمنا ووجودنا؛ فقد ارتأينا طبع هذا الكتاب القيّم، عسى أن تنتفع به الأمة، ويسترشد به المسلمون. والله ولى التوفيق، وهو حسبنا ونعم الوكيل.

مؤسسة الوعى الإسلامى

بيروت لبنان

مقدمة المؤلف

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله ربِّ العالمين، والصَّلاة والسَّلام على محمد وآله الطاهرين.

وبعد: فقد وجدت فى حكايات الذين تنازعوا ففشلوا، وحكايات الذين توحّدوا وتعاونوا فتقدّموا، دروساً وعبراً لمن يريد التقدم ويخشى التأخر، ووجدت فى قصص هؤلاء وأولئك عاملاً مهماً فى التقليل من الخصومات والنزاعات بين أبناء الأمة الواحدة، تلك المنازعات التى انتشرت وتعاظمت حتى بلغت حالة خطرة فى النصف الثانى من هذا القرن()، وقد تفشّت حتى عمّت الجميع من حاكمٍ ومحكومٍ ومؤسسةٍ وجماعةٍ وجمعيةٍ إلاّ من عصم الله سبحانه وتعالى .

ولأهمية هذا الموضوع فقد قرَّرتُ أن أكتبه على شكل كتاب؛ لتعمَّ الفائدة الجميع، علَّهُ يساهم فى فتح عيون البعض على حقائق الأمور فيتركوا التنازع ويأخذوا بوحدة الصف.

فنحن لا نريد بهذا الكتاب أن ننهى الخلافات والنزاعات لأنها من طبيعة البشر، بل قال بعض العلماء: مثلما لا تستطيع أن تجد إنسانين متشابهين فى كل التفاصيل، كذلك لا تجد إنسانين متشابهين فى الآراء ووجهات النظر، وقلَّما تجد إنسانين على رأى واحدٍ.

وهذا لا يعنى أنَّ الاختلاف أدّى بهما إلى حدِّ الخصومة والنزاع، فليس المقصود بتعدد الآراء تعدد النزاعات. وليس المقصود أيضاً دعوة أصحاب الآراء المختلفة أن يتركوا آراءهم ويأخذوا بآراء الغير بصورة مطلقة فليس كلامنا فى هذا الاتجاه، بل ما نريد قوله هو:

۱: اجتهدوا لتحرّى الحقيقة من بين الآراء المختلفة والمتناقضة.

۲: وإذا تمَّ التمسك برأى ما، بعد طول اجتهاد وعناء، فلا يعنى اختلاف الرأى انتشار البغضاء والعداء.

۳: وإذا أظهرتم العداء لا سمح الله فيجب أن يكون لهذا العداء حدّ معقولٌ، فالشىء إذا جاوز حدَّه، انقلب إلى ضدِّه.

۴: ثم إذا أظهر أحد الطرفين العداء فلا موجب للطرف الآخر أن يردّ على العدوان؛ لأنّه الأفضل فى قانون الإسلام: ادْفَعْ بِالَّتِى هِىَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِى بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ ()، وأيضاً جاء فى القرآن الكريم:

وَإِنْ تَعْفُوا وَتَصْفَحُوا وَتَغْفِرُوا فَإِنَّ اللهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ().

فالموقف الإيجابى سيقلل من المشكلات الناجمة عن الصراعات الاجتماعية، وسيقلل من نتائج المواجهة بين الأطراف المتناقضة.

۵: وليعلم الذى يُظهر العداء ويغالى فيه بالاتهام والكيد أنّه أولاً: سيؤدى بعمله هذا إلى تحطيم نفسه، وبعد أن يتحطّم هو، تتحطّم المجموعة التى ينتمى إليها، ويكون تحطيمه لنفسه أكثر من تحطيمه للمجموعة التى ينتمى إليها.

ثانياً: الطرف الثالث الذى يستفيد من صراعات الطرفين هو الغالب والرابح؛ لأنّ قواه مكتملة بعد أن تهشَّمت قوة الطرفين.

وحسب قاعدة التنازع، فإنّ الأقوى سيتغلّب على القوى.

وقد ذكر الشاعر الإيرانى هذه الحكمة، ما ترجمته:

وبينما كانا مشغولين بالنزاع

الفرصة فحصد الذهب وذهب()

سرق لصان ذهباً فتنازعا عليه

تدخل الطرف الثالث واغتنم

وعلى من يريد التنازع أن يطرح على نفسه هذا السؤال؛ ما هو مصدر التنازع، هل هو الجهل أو الكبر أو الحسد؟.

إذ ربما كان مصدر النزاع هو الجهل، كأنْ يتصور الإنسان أنّ قرينه قد التفّ حوله الناس أكثر من التفافهم حوله، ويتسبب ذلك تبطين الحقد فى نفسه فيبدأ بمخاصمته وإعطاء مبرر غير حقيقى للمخاصمة.

وتنتهى هذه الخصومة إلى نتائج غير محمودة على الشخص نفسه، أما القرين فلا يتأثر كثيراً بهذه الخصومة.

ولربما كان السبب من وراء الخصومة الشخصية الكِبر، مثلاً عند ما يتكبَّر إنسان عن طاعة مَنْ فوقه، وحيث لا يجد سبيلاً للفرار من واجبه يلتجئ إلى المخاصمة ليحطّ من قدره، ويبرِّر عند المجتمع عصيانه له.

ولربما يكون المنطلق نحو الخصومة هو الحسد، فقد يحسد إنسان إنساناً آخر، أعلى شأناً منه، وتصبح النتيجة هو حدوث الخصومة بين الحاسد والمحسود، وإذا سألت أحدهما لأى سبب تختصمان؟، فإنك لا تشعر بوجود سبب معقول للاختلاف سوى الحسد، والحسد يضع صاحبه؛ لأنه سيجعله صغيراً فى أعين الآخرين.

من هنا، فإذا كان منطلق النزاع هو الجهل، يجب أن يكفّ عن ذلك؛ لأن نزاعه لا مورد له، وهو هواءٌ فى شبك.

وإذا كان منشأ النزاع هو الكِبر، فليعلم أن التكبر مذموم فى الشريعة، ولذا يجب الابتعاد عنه.

وأما إذا كان الباعث هو الحسد، فليكن فى علمه أن الحسود لا يسود () وأن العامل بالحسد مصيره النَكَد ().

وقد شاهدت فى حياتى هذه الأقسام الثلاثة من أقسام التنازع، وشاهدت نهاية تلك المنازعات التى كانت تنتهى إلى لا شىء، ولم يكن من نصيب أصحابها سوى الخسارة والفضيحة.

ولم يكن قصدى من هذه النتيجة التى انتهيت إليها القول: بأنّ كل اختلاف منشأه غير شريف، ومردّه إلى العوامل النفسية الثلاثة التى ذكرتها.

فهناك صراع الحق مع الباطل، وهو صراعٌ مبدئى ولابدّ منه؛ لأنّ الحياة لا تستقيم إلّا بمواجهة الحق للباطل.

أمّا خصائص صراع الحقّ مع الباطل فهى:

١: إنّ نزاع الحق والباطل لا ينطلق من العوامل النفسية التى ذكرناها.

٢: إنّ صراع الحق والباطل مؤطرٌ بإطار الحق لا بالزيادة ولا التعدى.

٣: إنَّ الحق دائماً يدفع بالتى هى أحسن وهى الإيجابية المطلقة، كما ورد فى القرآن الكريم ادْفَعْ بِالَّتِى هِىَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِى بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِىٌّ حَمِيمٌ ().

هذه القواعد هى حصيلة تجارب وقصص وحكايات، شاهدتها بنفسى طيلة حياتى أو طرقت مسامعى أو قرأتها فى بعض الكتب.

والله المسؤول أن ينفع المسلمين بهذا الكتاب، والله المستعان.

الكويت

١٨ شعبان ١٣٩٥ ه

محمّد الشيرازى

العلماء يتحدّون الطغاة

غضب ناصر الدين شاه القاجارى() على العالم الدينى المشهور الفشاركى رحمة الله عليه()، فأمر بإحضاره إلى العاصمة طهران، وكان الفشاركى يقطن مدينة أصفهان، والسبب فى استدعائه هو التزامه بالأمر بالمعروف والنهى عن المنكر ورفضه الانصياع إلى السلطات ودعوته الملحة لتطبيق القوانين الإسلامية؛ وكان يعيش فى طهران عالمان جليلان، يرجع الناس إليهما فى التقليد، وكان بينهما نوع من التنافس إلّا أن مع قيام الشاه بجلب الفشاركى تناسى العالمان خلافاتهما وقررا أن يتحركا لمنع الشاه من تنفيذ مخططه، وفى لحظة من الإخلاص، قام أحد العالمين بزيارة العالم الآخر فى منتصف الليل، ولم تكن دهشة هذا العالم قليلة عندما شاهد خصمه على باب داره فى ذلك الوقت المتأخر من الليل، فسأل عن سر هذه الزيارة، فذكر له قصة نفى الفشاركى من أصفهان إلى طهران، ثم أضاف: حتى لو كان بيننا شىء من القطيعة والتباعد لكن مسؤوليتنا الشرعية تحتم علينا الوقوف قبال خطة الشاه وأن نكون يداً واحدة وصوتاً واحداً وفعلًا واحداً.

وبعد مناقشة الطرق الكفيلة بردِّ الشاه، قررا الطلب من أصحاب المحلات والدكاكين إغلاقها والخروج لاستقبال الفشاركى، وفعلًا خرجت جموع الأهالى لاستقبال الضيف المبعد يتقدَّمهم العالمان الجليلان.

ولما سمع الشاه بهذا الموضوع أشرف من نافذة قصره، فرأى الجماهير الهائلة وهى تهدر من كل مكان لاستقبال الفشاركى، فخشى الشاه أن يقوم الناس بمحاصرته فى قصره، فجمع وزراءه واستشارهم وطلب منهم أن يوجدوا له حلًا.

فقالوا له: إنّ أفضل وسيلة لإسكات الجماهير هو أن يسير الشاه ووزراؤه لاستقبال العالم ويظهروا أن استدعاءه لم يكن بعلم الملك.

وقال الملك لوزرائه: أرأيتم كيف اتحد رجال الدين ضدى، وأجبرونى على تغيير موقفى من الفشاركى؟.

وعندما وصل العالِم المُبعد إلى طهران كان الشاه أول من عانقه، واستفسر منه عن سبب مجيئه إلى طهران، فقال العالم: بأنّ موظفيه طلبوا منه ذلك. فأنكر الشاه ذلك واعتذر إليه، ثم أمر باستضافته فى أضخم القصور، وازدحم الناس حوله، وأخذت الوفود تأتيه من كل مكان، وظلّ أياماً فى طهران بين حفاوة لا نظير لها، وبعد أيام جاءه الشاه مرةً أخرى وقدّم له الهدايا الثمينة وخيّره بين البقاء فى طهران أو الرحيل، فاختار الرحيل والعودة إلى أصفهان بعد أن يكمل الزيارة().

وهكذا، نجد كيف استطاع العالمان الجليلان باتفاقهما إنقاذ الموقف وتخليص الفشاركى رحمة الله عليه من عقوبة الإبعاد وتغيير موقف السلطة إلى الجهة المعاكسة؛ كل ذلك حدث بفضل تعقّل أحد العالمين وترك الخصومة واتخاذ ذلك القرار المهم فى زيارة العالم الآخر.

قال سبحانه وتعالى: وَلَا تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ ().

فقد ألغيا ما بينهما من برود وقررا أن يعملا معاً.

وهذا درس يعطينا العبرة فى أهمية الاتحاد، وكيف إذا تضافرت جهود العلماء فى عمل ما فإنهم سيتمكنون من تحقيق ذلك العمل.

إنّ صرف النظر عن المنازعات الشخصية وترك الخصومات وملاحظة المصلحة العامة لهو مفتاح نجاح كل شىء، وبالعكس فإن الانشغال بالنزاعات الشخصية والبقاء على الفرقة والتنابذ لا يجنى منه سوى الخيبة والخسران.

فكان لابد من أن نصبّ كل اهتمامنا للمصلحة العامة، ونبذ المصالح الشخصية التى لا يأتى منها إلّا البوار.

لأجل هذا انتصر اليهود

انظر إلى اليهود كيف تناسوا خلافاتهم، وقرروا العمل سويةً، فكان نتيجة اتحادهم انتصارهم فى حرب حزيران سنة ۱۹۶۷م()، بينما

ليس لليهود سوى حكومة واحدة، أمّا المسلمون فلهم أكثر من عشرين حكومة؟!.

وقد سألنى سائل فى إحدى المرات عن سبب انتصار اليهود وهزيمة المسلمين فى حرب ۱۹۶۷م مع أنّ أولئك كانوا يهوداً أما هؤلاء فمسلمين، ومع أن أولئك لهم حكومة واحدة ولهؤلاء عشرون حكومة.

فقلت للسائل: إنك أجبت على سؤالك.

فقال لى: كيف ذلك؟.

فقلت له: ألم تقل إن لليهود حكومة واحدة وللمسلمين عشرين حكومة، فهذا يعنى أن اليهود متحدون أما المسلمين فمختلفون.

ثم نقلت له قصة القافلة المشهورة، والقصة هى:

خرجت قافلة من بلدها وقصدت بلداً آخر لمزاولة التجارة، لكنها رجعت بعد مدة قصيرة إلى بلدها منكسرة؛ لأنّ قطاع الطرق هجموا عليهم ونهبوا ما فى حوزة القافلة من البضائع، وكانت القافلة تتألف من مائة شخص بينما لم يكن عدد اللصوص يتجاوز الاثنين، فتعجب الناس من ذلك واندهشوا كيف استطاع اثنان من هزيمة هذا العدد الكبير؟!.

فقالوا لهم: كيف انهزمتم وأنتم مائة شخص؟

قال أحدهم وكان حكيماً : نعم، إنهم كانوا اثنين لكنهم كانا متحدين، ونحن كنّا مائة لكن كنّا متفرقين، وهذا الاختلاف الذى كان بيننا وبينهما، والاثنان عندما يكونان متحدين، يكونان أقوى من كل واحد واحدٍ منا حتى لو كنا مائة.

أجل، فالمسلمون اليوم أكثر من مليار نسمة، أما اليهود فلا يزيد مجموعهم عن عشرين مليون فى جميع أنحاء العالم، ولا يزيد عددهم فى فلسطين عن ثلاثة ملايين() لكنهم جميعاً صفٌ واحدٌ مقابل المسلمين.

إنى لا أزعم أن هذا هو السبب الأول لهزيمة المسلمين فى حرب حزيران عام ۱۹۶۷م، فهناك أسباب أخرى، من أهمها:

إهمال المسلمين للتقدم العلمى، وعدم أخذهم بمكتسبات العصر، من حيث بناء المؤسسات وإقامة الصناعات وما أشبه ذلك. لكن هنا أريد أن أبيّن الأسباب الرئيسية للهزيمة، وهى بخط عريض: «التفرُّق والتشتت»، فالمسلمون من غير العرب لم يشتركوا فى حرب حزيران؛ لأن الحرب كانت عربية صرفة، والعرب ليس بمقدورهم الانتصار؛لأنهم فى الأساس مختلفون وغير منتظمين بل إنهم جماعات متناحرة يعادى بعضهم بعضاً،فكيف يمكن أن يتحقّق النصر فى مثل هذه الظروف؟!.

المجدد الشيرازى واتّحاد الأمّة

وقصة أخرى من قصص الاتحاد هى قصة التّنباك()، لما أقدم المجدد الشيرازى رحمة الله عليه() على تحريم استعمال التنباك بسبب احتكار البريطانيين لهذا المنتوج. فقد توسل الإنجليز بكل الوسائل الممكنة لإفشال التحريم، ومن جملة أساليبهم أنهم حاولوا إلقاء الفتنة بين العلماء الأعلام؛ حتى ينقض بعضهم فتوى المجدد، ويكون ذلك حجة لدعاية مضادّة ضد المجدد ولإلقاء البلبلة فى صفوف المسلمين.

فقد حاول الاستعمار البريطانى أن يشعل الفتنة بين المجدد الشيرازى وأحد كبار المراجع هو الشيخ زين العابدين المازندرانى() الذى كان له مقلدون كما للمجدد الشيرازى وكلمته مسموعة عند الناس، يومها كان الشيخ المازندرانى فى مدينة كربلاء المقدسة، بعث إليه السفير البريطانى رسالةً خاصةً، يبدى فيها رغبته فى زيارة الشيخ، فى الوقت نفسه أوعز السفير البريطانى إلى جماعة من رجالاته المرتبطين بالسفارة الحضور فى بيت المازندرانى وتأييد ما يقوله السفير.

وبالفعل حضر السفير فى اليوم المقرر للزيارة إلى بيت الشيخ المازندرانى وبعد المجاملات الدبلوماسية، توجّه السفير إلى الشيخ قائلاً له: إنى سمعت أن هناك حديثاً عن رسول الإسلام محمد بن عبد الله صلى الله عليه و اله يقول فيه: (إن حلال محمد حلال إلى يوم القيامة وحرامه حرامٌ إلى يوم القيامة)() فهل هذا الحديث صحيح؟

قال الشيخ: نعم، ومؤكد أيضاً.

عند ذلك قال السفير منتهزاً الفرصة: فهل التنباك حلال أم حرام، فإن كان حلالاً فى الشريعة الإسلامية فكيف يحرّم اليوم، وإن كان حراماً فكيف حلّل قبل ذلك؟ فانبرى المرتزقة الذين أحضرهم السفير، فأيّدوا كلام السفير؛ ليؤثّروا فى جواب الشيخ المازندرانى. ولم تنطل الخدعة على الشيخ المازندرانى، فقد كان أذكى من السفير البريطانى، فقد أجابه بهذا الجواب:

إن الحديث صحيح، والتنباك كان حلالاً ـ إلى ما قبل فتوى المجدد، أما بعد الفتوى فهو حرام، ذلك لأن هناك حديثاً آخر عن الرسول الأعظم صلى الله عليه و اله وهو أن (لا ـ ضرر ولا ـ ضرار فى الإسلام)() فإذا صار الواجب أو الحلال ضررياً، ارتفع حكمه، ومثاله: أن الصوم واجب لكن إذا صار ضررياً، سقط وجوبه، والوضوء والغسل والحج كلها واجبات ما لم توجب الإضرار، والتنباك قبل الانحصار() كان حلالاً، لكن بعد منح الامتياز للبريطانيين، صار مضراً للمسلمين، ولذا أصبح حراماً، وأفتى بذلك المجدد، ونحن نؤيده ومتى ما تم إلغاء الامتياز، عاد الحكم إلى حالته السابقة من الحلية.

وبهذا الجواب القاطع ألقم السفير ومرتزقته حجراً، وسكتوا ولم ينبسوا ببنت شفة. وهكذا فشلت محاولات البريطانيين فى إيجاد ثغرة بين العلماء ببركة اتحادهم وتعاونهم وتآزرهم، وبهذا الاتحاد العظيم والامتثال لفتوى الشيرازى اضطر الإنجليز أخيراً إلى الانسحاب وإلغاء الامتياز.

إسرائيل وسياسة التفريق

قال أحد زعماء الكيان الصهيونى الغاصب للأرض الإسلامية فى فلسطين: إن دولته تصرف أكثر الميزانية المُعَدَّة للأمن الإسرائيلى فى تفريق البلاد العربية وتشتيت شمل الفلسطينيين، حتى لا تقوم لهم قائمة.

أما كيف يتسنى لهم ذلك؟.

فى الإجابة نقول: اختار اليهود أسلوب الوقيعة بين الرؤساء، وإرشاد العملاء وتوجيه الصحف والإذاعات لتحفيز العرب ضد العرب ولإثارة الخلافات العربية العربية.

وقد بذل اليهود الأموال الطائلة لشن الحرب النفسية والدعائية. وقد عزفوا فى إعلامهم على وتر القومية والإقليمية والعرقية واللونية وإلى غيرها. فلماذا نبقى نحن المسلمين فى غفلة عن أحابيل اليهود ومخططاتهم الجهنمية.

من هنا، فكل صوت يدعو إلى التفرقة فهو صوتٌ مرفوض عند المسلمين ذلك لأن الوحدة فوق كل شىء، كما الإنسان الملزم بالوحدة العامة كذلك ملزم بالوحدة الخاصة.

من هنا، كان اللازم أن نتمسك بالوحدة الخاصة: أى أن يطبق الوحدة كل واحد منا على أسرته. فالأسرة هى نواة المجتمع، فإذا كانت الأسرة متحدة أصبح المجتمع متحداً أيضاً.

والدائرة الأخرى غير دائرة الأسرة هى دائرة العمل وهى التى تضم جميع العاملين، وكلّما توسعنا فى المجتمع توسعت الدائرة، فدائرة الأقرباء ثم دائرة العشيرة ثم دائرة القرية ثم دائرة المدينة ثم دائرة الدولة.

والوحدة تبدأ من الدائرة الصغيرة لتنتهى إلى الدائرة الأكبر.

من وحى التاريخ

وقد جاء فى قصص الحكماء عن نتائج الاختلاف قصة البقرات الثلاث:

البقرة السوداء، والبقرة البيضاء، والبقرة الصفراء، وقد اجتمعت هذه البقرات الثلاث فى مرعى وكنَّ فى أمن من كل خطر، عشن هكذا مدة من الزمن، لا ـ يعكر صفو حياتهن أىّ خطر، حتى داهم المرعى أسدٌ جائع، قرر فى نفسه التهام هذه البقرات ولكن كيف؟ وهن

ثلاثة وهو لا يستطيع على البقرات الثلاثة.

فلاح فى خاطر الأسد فكرة تفريقهن ليتمكن من التهامهن، وبعد تأمّل طويل جاء الأسد إلى البقرتين البيضاء والصفراء وأخذ يقول لهنّ: كنت أمرُّ فى المرعى وقد شاهدت بقرة سوداء بلون الليل الداكن، فهذه البقرة السوداء ستجلب لكُنّ الشرّ وسيطمع فيكما الحيوانات الأخرى. فإن أذنتما لى وسمحتما بافتراسها حتى تتخلصان منها. فيرفع عنكن الشر ويصبح المرعى لكما أنتما فقط.

وجدت البقرتان هذه الفكرة حسنة حيث إنهما ستتخلصان من هذه البقرة السوداء وتصبح المرعى لهما فقط دون مشاركة ثالث. فوافقتا على اقتراح الأسد الذى أسرع وانقضّ على البقرة السوداء، وما هى إلّا لحظات حتى تحولت إلى لقمة سائغة فى فم الأسد الجائع.

وبعد أيام جاء الأسد مرّة الأخرى وهو يحمل جوعه إلى مرعى البقرتين، فاتخذ الأسلوب نفسه، فقال للبقرة الصفراء: إن وجود البقرة البيضاء فيه ضرر كبير عليك، فهى تكشف للأعداء عن مكان وجودكما لأن بريقها يجلب الانتباه، كما وأنها تنافسك فى طعام المرعى. فلو أذنت لى وسمحتى لى بالتهامها والقضاء عليها قبل أن تفتك بكما حيوانات الغابة، فأذنت البقرة الصفراء فى ذلك.

فقفز الأسد نحو البقرة البيضاء والتهمها. ولم يبق له إلّا البقرة الصفراء التى جعلها طعامه القادم إذا جاع.

ولم يكن أمامه مانع فى افتراس البقرة الصفراء؛ إذ بقيت هذه البقرة وحيدة لا تستطيع الدفاع عن نفسها.

وعندما حان الوقت لافتراسها واعتقدت البقرة الصفراء أنّ يومها قد حان فعلاً صاحت بأعلى صوتها: أُكلتُ يوم أُكِلَتْ البقرة السوداء.

وهذه القصة فيها من المعانى الكبيرة التى لو تدبرنا فيها لكفتنا تمسكاً بالوحدة.

وقد قال الشاعر:

فليسكب الماء على لحيته

من حلقت لحية جارٍ له

وقال شاعرٌ آخر:

إذا احترقت دارٌ لجارك فاستعد

لهيب اللظى يسرى لمن بجوارها

هكذا أوقع الفرقة بينهم

يقال: إنّ رجلاً زعم أنه من ذرية رسول الله صلى الله عليه و اله، ورجلاً آخر كان يرتدى العمامة ويدّعى أنّه طالب علم، ورجلاً ثالثاً كان يعمل موظفاً فى جباية الضرائب. فوردوا بستان أحد المزارعين وأخذوا يقطفون الثمار ويأكلونها، فرآهم صاحب البستان على تلك الحالة وعلم أنه لا يطيق الثلاثة سويةً، فأراد إلقاء الفرقة بينهم؛ ليتخلّص منهم واحداً بعد آخر.

تقدم إليهم، وقال من أنتم؟ ولماذا دخلتم البستان وأكلتم من ثمره دون استئذان.

فأجاب الأول: إنه يأكل حقه من الخمس! باعتباره سيداً من ذرية رسول الله صلى الله عليه و اله.

وقال الثانى: إنه يأكل حقه من الزكاة.

وقال الثالث: إنه يأكل ما يجب على صاحب البستان من ضرائب.

فقال البستانى للأولين: أما أنتما فهنيئاً لكما.. فالحق الشرعى لا مفرّ منه فكلا ما شئتما، ثم توجه إلى الثالث وقال له: من قال لك إنى لم أدفع الضريبة إلى الحكومة؟ ثم أخذه ودفعه إلى خارج البستان وأوسعه ضرباً وركلاً، أما الصديقان فقد وقفا يتفرجان لأنه أرشاهما بكلامه وتركهما وشأنهما يأكلان، ويعبثان بالبستان.

ثم بعد ذلك تقدم إلى السيد وقال له: نعم سيدنا، إن لك الحق فى الخمس فكل هنيئاً مريئاً. أما أنت أيها الشيخ المحترم، من قال لك إن ثمر البستان قد بلغ النصاب حتى يستحق الزكاة؟!.

أليس شرطاً أن تكون الثمرة خمسة أوسق()، وهل تعلم أن هذا البستان فيه عدة شركاء لا تصل حصة أحدهم حتى وسقاً واحداً، إذاً أيها الشيخ الكريم، ليس على البستان وثمره زكاة، ثم أخذ بيد الشيخ وأخرجه من بستانه.

وبعد أن تخلص من الشيخ وموظف الضرائب، جاء إلى السيد وقال له: أجل إن للسيد خمس أرباح الناس، وهذا ما ورد فى القرآن الكريم، لكن هل ورد فى القرآن أيضاً أن للسيد الحق فى أن يسرق وأن يدخل بستان الناس بغير إذنهم، ثم أخذ يسحبه حتى أخرجه من البستان بصورة ذليلة، وتخلص البستانى من الثلاثة بإلقاء الفرقة والاختلاف بينهم.

وهذه هى نتيجة كل فرقة وعاقبة كل اختلاف. فمصير كل اختلاف وفرقة هو الذل والهوان للمختلفين.

زُوَّار الأربعين

عندما احتلّ الإنجليز أرض العراق قبل نصف قرن() سأل القائد البريطانى أحد شيوخ العراق عن عدد الذين يزورون الإمام الحسين عليه السلام الأربعى، العشرين من صفر؟

قال الشيخ: لا أعلم.

قال القائد الإنجليزى: ولماذا لا تعلم بعددهم؟.

قال الشيخ: لأن عددهم هو أكثر من أن يحصى.

قال القائد الإنجليزى: لكننى سأقوم بإحصائهم، فأمر جماعة من معاونيه أن يقفوا فى الطرق الرئيسية المؤدية إلى كربلاء المقدسة فى أول شهر صفر ليحصوا عدد الوافدين إليها، ووضع على كل مدخل من مداخل المدينة محاسباً ومشرفاً ومساعداً، وبدأ هؤلاء فى العدّ وتمكنوا من عدّ الزوار إلى يوم العاشر، أما بعد العاشر من صفر فاتصلت المواكب ليل نهار كالسيل المتلاطم، الأمر الذى أصبح من غير الممكن حسابهم، فرفعوا تقريراً عن عجزهم. فقال القائد الإنجليزى فلنعمد إلى أسلوب آخر فى الإحصاء، وأخذ يفرِّق الناس فى أجناسهم وألوانهم، فهذا عربى، وذلك إيرانى، وهذا هندى، وهذا تركى، وهكذا دواليك، ثم منع السفر من بلدٍ إلى بلد آخر داخل العراق، وأمر كل مسافر يريد السفر بأن يحصل على الموافقة الخطية من حكام البلاد المختلفين، ونشر الجواسيس والعيون بين الناس وكانت مهمتهم تتَّبع أمورهم، وأمر الحاكم العراقيين بعدم التدخل فى شؤون بلادهم، وهكذا أخذ يفرِّق الناس بأساليب مختلفة حتى ثارت العشائر العراقية وقامت ثورة العشرين() بقيادة آية الله العظمى الإمام الثائر الشيخ محمد تقى الشيرازى رحمة الله عليه() الذى استطاع أن يُخرج الإنجليز من أرض العراق ونزع الاستقلال منهم بالقوة بعد أن أعاد للعراقيين وحدتهم، وبثَّ فيهم روح الجهاد والفتوّة والبسالة، وخرج الإنجليز من البلاد صاغرين مستسلمين لإرادة العلماء والجماهير الملتفّة حولهم مع أنهم فى ذلك اليوم لم يتجاوزوا الثلاثة ملايين نسمة، بينما كان الإنجليز قد استقوا بألف مليون شخص موجودين فى الهند والصين والمستعمرات الأخرى، كما وأن بريطانيا كانت تمتلك يومذاك أحدث الأسلحة والأعتدة المتطورة، بينما كان الشعب فى العراق أشبه ما يكون بالأعزل عن السلاح، لكنهم بتمسكهم بقوله سبحانه وتعالى: وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللهِ جَمِيعاً وَلَا تَفَرَّقُوا () أنزل الله سبحانه وتعالى عليهم النصر.

وإلى يومنا هذا يحتفل العراقيون بعيد الاستقلال فى الثلاثين من حزيران؛ إحياءً لتلك الثورة الباسلة، رغم أن الحكومة البعثية تحاول إلغاء دور قائد الثورة الإمام الشيرازى رحمة الله عليه.

وهنا ينبغى الإشارة إلى حقيقة مهمة هى: أنّ الشيعة تأخروا فى العراق منذُ الاستقلال تأخراً مشيناً، فتقاعسوا عن العمل الدؤوب حتى أصبحت أجهزة الدولة كلها تقريباً بأيدى السنة المتعصبين المعارضين للشيعة. بينما بذل الشيعة التضحيات وهم الذين قاموا بثورة العشرين، وعلى أكتافهم قامت الدولة العراقية الحديثة، وبعد تلك التضحيات الجسام، جاء غيرهم وجنى المرابح، فكانت الأجهزة الثقافية، والوظائف الرئيسية، وقيادات الجيش، والأوقاف، والإعلام، وكل شىء، بأيدى السنة المتعصبين؛ وهم لا يشكلون سوى خمسة عشر بالمائة من عدد سكان العراق، وحرمت الأكثرية من إدارة دفة البلاد().

إشكالات وردود

وقد سمعتُ من عدد من شباب الشيعة أنهم يلقون بمسؤولية ذلك على علماء الشيعة، فيقولون: إنهم فرَّطوا فى حقِّنا، فلماذا جاؤوا بفيصل الأول() لحكم العراق ولم يفوضوا الحكم إلى رجل شيعى منهم؟

ولماذا حرّموا على الناس دخول المدارس والوظائف والجيش؟ فلم تتكون لدينا المؤهلات المطلوبة للحكم، بينما حصل السنّة على كافة المؤهلات التى أتاحت لهم الدخول فى كل مسلك وإدارة ومرفق؟

ولماذا قاطعوا الحكومات والأنظمة المتعاقبة على حكم العراق، ولم يتعاونوا مع السلطات، ولم يفتحوا جسراً للتفاهم بينهم وبين المسؤولين على شؤون الدولة حتى يتمكنوا من إسناد بعض الوظائف إلى الشيعة؟

إنَّ هؤلاء الشباب، من حيث يشعرون أو لا يشعرون، يرددون كلمات المستعمرين الذين أخذوا يلفِّقون التهم ضد الشيعة وضد علماء الشيعة حتى لا تقوم لهم قائمة فى العراق. شأن كل المستعمرين فى كل زمانٍ ومكان الذين يسعون إلى التفريق بين الأمة وقادتها المخلصين.

واختصاراً نوجز الرد على الإشكالات الثلاثة؛ لتبدو الحقيقة واضحة، شاخصة للعيان:

أولاً: أمّا قولهم لماذا جاؤوا بفيصل وهو ليس بشيعى؟

فالجواب: أن الإمام الثائر محمد تقى الشيرازى لما انتزع العراق من براثن الإنجليز، جمع شيوخ العشائر الذين شاركوا فى الثورة، واقترح عليهم أن ينتخبوا واحداً من أنفسهم، يكون ملكاً عليهم، فأبوا أن يلبّوا هذا الطلب؛ إذ أنف كل واحدٍ منهم أن يملَّك عليه أحدهم مساوياً له فى الرتبة والشخصية والثقافة.

فقال لهم: وما تقولون فى القرعة: إنها لكل أمرٍ مشكل ()؟

فلنقترع بينكم فأيُّكم خرجت القُرعة باسمه فهو الملك أو الرئيس؟

قالوا: كلا، فإنّا لسنا على استعداد لأن نؤَمِّر أحدنا علينا.

فاقترح عليهم: إذاً، فاقبلوا ب فرمان فرما () وهو شخصية مرموقة، وله مؤهلات إدارية وقيادية وهو رجل شيعى.

قالوا: لا، إنه ليس من عنصرنا.

وهنا تحدّث السيد محمد على الطباطبائى()، وهو من رجال ثورة العشرين المشهورين، قال كلمته المشهورة تهكماً بمن قال: إنه ليس من عنصرنا.

وأخيراً، أجبروا الشيخ الشيرازى على الموافقة على تعيين فيصل ملكاً على العراق.

وإنى أظن أنّ هذه الخطة كانت استعمارية، مرّرت على العراقيين بتدبير من بريطانيا ونُسجت خيوطها فى الظلام. وقد كشف لورنس العرب () الجاسوس البريطانى المشهور فى كتابه «أعمدة الحكمة السبعة» عن ذلك.

من هنا، فعلماء الشيعة أرادوا سيادة العراقى الثائر الشيعى ولم يكونوا يرغبون بفيصل ومن هو على شاكلة فيصل، لكن الشيعة عصوا أمر علمائهم ولم يريدوا ذلك، وقد قال الإمام أمير المؤمنين عليه السلام: (لا رأى لمن لا يُطاع)()، ولم يرشح الشيرازى نفسه لأمور خاصة.

ثانياً: وأما استنكارهم عليالعلماء تحريمهم للمدارس، والوظائف، ودخول سلك الجيش.

فالجواب على هذا الاستنكار هو:

١ لم يقل أحد بتحريم الدخول إلى المدارس أو الوظائف أو الجيش.

أليس العلماء أنفسهم، دخلوا الوظائف، فهذا السيد محمد الصدر() أصبح رئيساً لمجلس الأعيان ورئيساً للوزراء، والشيخ الشبيبى() أصبح وزيراً للمعارف، والشيخ محمد حسن أبو المحاسن() أيضاً وزيراً للمعارف.

أضف إلى ذلك السيد هبة الدين الشهرستانى() والشيخ على الشرقى() وغيرهم()، هؤلاء كلّهم من أهل العلم، ودخلوا سلك الوظيفة، وارتقوا حتى وصلوا إلى المناصب العالية.

أما عن الجيش، فقد تأسست أول فرقة فى الجيش العراقى على اسم الإمام موسى بن جعفر عليه السلام، وكان تأسيسها فى مدينة النجف الأشرف، وتم ذلك تحت سمع العلماء وبصرهم وبتشجيع منهم، وعلى هذا فقس ما سواه.

ثم إننا لا ننكر أنهم اعتزلوا الحكومة لما رأوا فيصل وهو أخذ يتعاون مع الإنجليز، ولا يهتم بمطالب الشعب المشروعة، ثم إنهم قاطعوا الحكومة كما تقاطع الأحزاب الحكومات المتعاقبة().

وقد تصدّى العلماء لحكومة فيصل الذى تحوّل إلى رداء يخفى تحته أذيال الاستعمار البريطانى. وقد بلغت المواجهة حدّاً إلى أن قام فيصل بنفى العلماء من أمثال الشيخ مهدى الخالصى()، والسيد أبو الحسن الاصفهانى()، والميرزا محمد حسين النائينى()..

والسيد الحجة الكربلائى()..

وغيرهم().

وفى الحقيقة إنَّ علماء الشيعة قاموا بهذه المقاطعة بغية إصلاح الأمور، وبالفعل فقد نالوا بعض ما أرادوا.

۲ لنفرض جدلاً أن علماء الشيعة حرّموا كل هذه الوظائف وحرّموا الدخول إلى المدارس والجيش، فنتساءل ونقول: أو ليس قد دخل بعض الشيعة كل هذه الوظائف حتى إنهم وصلوا إلى بعض المراتب فى الدولة والجيش ومجلس الأمة والشيوخ وغيرها. فلماذا لم يخدموا الشيعة؟ ولماذا كل المؤسسات والدوائر صارت تُدار من قبل متعصبى السنة وهم أقلية فى الأقلية السنية؟

فهل ما حدث هو ذنب العلماء أم ذنب الذين لم يطيعوا العلماء بل وخالفوا أوامر العلماء ورغبتهم فى اختيار أحدهم للقيادة العليا فى العراق.

ثالثاً: وأما قولهم: لماذا قاطعوا الحكومات المتعاقبة على بلادهم ولم يتعاونوا مع السلطات ولم يفتحوا جسراً للتفاهم ... إلخ؟

فالجواب: إنهم قاطعوا بعض الحكومات لا- جميعها، وهل يُعد ذلك ذنباً من قبلهم. ثم لماذا لا يسألون لِمَ قاطع العلماء الحكومات، أليس لكونها عميلة للاستعمار؟، وبالتالى هل يعتبر هذا الموقف خاطئاً أم أنه موقفٌ سليم؟!.

أما عن مدّ جسور التفاهم مع الحكومات، ففى التاريخ أمثلة عديدة عن قيام العلماء بمدّ جسور التفاهم والحوار مع بعض الحكومات، وكلّما أحسّ العلماء بفائدة ولو ضئيلة للإسلام والشيعة فى الاتصال بالحكومة، أقدموا على ذلك، وإنى لأذكر الوزراء، والنواب، والضباط الكبار، وسائر شخصيات الدولة الذين كانوا يزورون العلماء فى بيوتهم، وكان العلماء يستغلون تلك الفرصة فيأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر وينصحون الحكام إلى ما فيه صلاح الأمة وخيرها. ويطالبون الحكومات بالإخلاص فى العمل لما فيه خير العراق والعراقيين والإسلام والمسلمين عامة.

وفى هذا يقول الشاعر:

أيتها النفس أجملى جزعاً

إن الذى تحذرين قد وقعا

فالمشكلة كما يتصوّرها الشاعر قد وقعت فعلاً، والأكثرية فى العراق صاروا محرومين من أبسط حقوقهم، فليس العلاج أن يكيل بعضنا التّهم ضد البعض الآخر، يوزّع الشتائم على هذا وذاك، فلنعتبر بالماضى، ونعمل للمستقبل، والكلام الآن فى كيفية العمل، وهى بنظرى:

۱ تثقيف المسلمين عامة والشيعة بصفة خاصة تثقيفاً حضارياً يتلاءم وثقافة العصر، ويستقى جذوره من الدين الإسلامى.

۲ نشر الوعى فى طبقات الأمة، عبر تنظيمهم فى منظمات مختلفة متوزعة على مساحة الشؤون الدينية والدنيوية.

۳ توحيد الصفوف ونبذ الفُرقة والانقسامات والتفرقة والعصبيات القبلية.

۴ النهوض بالمجتمع عمرانياً واقتصادياً.

۵ العمل على استرجاع الحقوق المغتصبة من الشعب، وذلك باعطائه زمام الأمور، واحترام إرادة الأكثرية، فمن دون استعادة حقوق الأكثرية التى لخّصناها فى النقاط السابقة، لا يمكن لأوضاع العراق أن تستقر، ولمشاكله أن تنتهى وتزول.

وما نقوله ليس غريباً؛ لأنه مقبول دينياً، ويسمّى بالشورى، وهو مستحسن دنيوياً ويسمّى بالديمقراطية وهو مطلوب بموازين العقل والشرع.

لا لتقسيم العراق

قامت ثورة العشرين فى العراق بقيادة القائد الإسلامى الشيخ محمد تقى الشيرازى رحمة الله عليه على أكتاف الشيعة، والشيعة وحدهم، لكن قائد الثورة المتّصف بالحكمة، رأى من الضرورى إشراك السُّنّة فى الثورة ولو بشكل صورى؛ ليقطع سبيل المراوغة على الإنجليز.

والإنجليز قاموا بعدة محاولات لإجهاض الثورة، وكانت من جملة تلك المحاولات الفاشلة:

۱ فصل السُّنّة عن الشيعة وإلقاء الفُرقة بينهم()، ثم ضرب بعضهم ببعض؛ لتبقى سيطرتهم على البلاد، كما هى عادتهم قديماً وحديثاً مع مستعمراتهم، فقد كانوا فى الهند يذبحون البقرة ويرمون بلحمها فى مناطق الهندوس. وفى الوقت نفسه كانوا يلطخون مساجد المسلمين بالنجاسة ويتركون عليها علامات تدل أنّ الفاعلين هم الهندوس، فتقوم المذابح الجماعية، ويتنفس الإنجليز الصُّعداء لمدة من الزمن، وهكذا.

وقد قطع الإمام الشيرازى رحمة الله عليه الطريق على الإنجليز عندما اختار السنة إلى جانب الشيعة ولو بصورة اسمية، وكلَّما حاول الإنجليز إثارة موضوع السنة والشيعة، كان تدبير الشيرازى أقوى من مؤامراتهم.

۲ تقسيم العراق إلى منطقة شيعية هى النجف وكربلاء والكاظمية وسامراء وما حولها، ومنطقة سُنيَّة. كما كان لهم رأى فى إيجاد منطقة ثالثة هى منطقة الأكراد فى شمال العراق، كما فعلوا ببلاد الشام؛ حيث قسموها إلى خمس حكومات.

وأخذ الإنجليز يروجون لفكرة تقسيم العراق بين الناس، وفرح البسطاء من الجانبين بها، وأخذوا يقولون: هل هناك أفضل من وجود حكومة شيعية لا يضطهدها السنّة؟.

وهل هناك أفضل من حكومة سنيَّة لا تشغل بالها بالشيعة؛ لكن قائد الثورة وقف بكل حزمٍ ضدَّ هذه الخطَّة قائلاً: (إنَّ المسلمين كلَّهم وحدة واحدة وإنْ اختلفوا فى بعض الأمور)().

من مكر الإنجليز

جاء قائد الحملة الإنجليزية العام إلى الإمام الثائر الشيرازى رحمة الله عليه ليقول له: إنَّ الحكومة البريطانية ترحّب بمطالب الثوار وإنها تريد إعطاء الشيعة حقوقهم المشروعة، ولما قامت الثورة على أكتافهم فهى تريد أن تمنح الاستقلال لهم دون سواهم.

قال الشيرازى: كلا إن العراق وحدة واحدة، والاستقلال يجب أن يكون للجميع، ويجب على الجميع أن يشتركوا ويُساهموا فى الحكم.

فأيقن الشيرازى أن ما قاله هذا البريطانى، ظاهره الحق وباطنه الباطل، والإنجليز بعملهم هذا، يريدون تقسيم العراق وإبقاء الاستعمار حاكماً ومسيطراً. وهكذا أنقذ الإمام الشيرازى رحمة الله عليه بلاد العراق من براثن الاستعمار، عندما رفض مقترحات المستعمرين.

ولو طبّق قادة المسلمين هذا اليوم ما طبّقه الإمام الشيرازى بالأمس، لكان وجه بلاد المسلمين غير ما نراه اليوم من تمزُّق وتشتّت وتباعد، ولأصبح للمسلمين وزنٌ فى الميزان الدولى، لا ينقص عن وزن أمريكا وروسيا إن لم يكن أثقل منهما وزناً().

استقلال العراق ثمرة الاتّحاد

لاشك أن الشيعة بعد ثورة العشرين هم الذين دعموا الملك فيصل ليصبح ملكاً عليهم، وقد اتّفق الشيعة على تشكيل حكومة أمام المستعمر البريطانى الذى أراد أن يجعل العراق مستعمرة لبريطانيا، ولكنَّ «فيصل» لم يراعِ خدمة الشيعة له، وقلب لهم ظهر المجن، وأوغل فى إبعادهم عن المراكز الحسّاسة، وعن المناصب الحكومية المهمّة.

بل ازداد فى سلب حقوق الشيعة عندما أوعز إلى شرطته بتسفير علمائهم وخطبائهم إلى إيران، الأمر الذى جعل الحكم من أوَّله متزلزلاً، فالأكثرية الفاعلة أصبحت فى خبر كان، أما الأقلّية الجامدة التى لم يكن لها فى يوم ناقة ولا جمل فى عملية الاستقلال، أخذت تسيطر على الأوضاع()، ولو كان الملك فيصل قد رعى الحقوق الوطنية للشيعة، لم يسقط الحكم الملكى فى أقل من نصف قرن، بينما استمرت الحكومات الملكية فى بلدان أخرى قريبة من العراق لسنوات طويلة.

وهكذا أية حكومة تخالف سنة الله فى الحياة، ولا ترعى حقَّ الأكثرية الشيعية فى العراق، سيكون مصيرها الفشل والفشل الذريع، فَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّةِ اللهِ تَبْدِيلاً وَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّةِ اللهِ تَحْوِيلاً ().

ومراعاة قانون الأكثرية لا يعنى إلغاء الوحدة، بل إنه السبيل إلى تمتين دعائم الوحدة.

أجل، إنَّ فيصلاً شكَّل أول حكومة سُنّية وسلّم زمام الأمور إلى السّنّة، وذلك ما أثار غضب الشيعة فقاطعه العلماء، وقد بعث برسالة إلى أحد العلماء، جاء فيها: (أنتم قمتم بالثورة، وجئتم بى إلى بلدكم، فلماذا قاطعتمونى)، ولمّا جاء الرسول إلى ذلك العالم، قال العالم له: قل لفيصل: إنّا نقاطعك لتجاهلك حقوق الأكثرية الشيعية الذين جاؤوا بك إلى البلاد وسلّموك مقاليد الحكم، لكنك سلّمت الأمور إلى الأقلية، مع أنك تعلم وتعترف أن الذين جاؤوا بك والذين بنوا العراق على جماجمهم هم المسلمون الشيعة، وإنِّى لا أقول ذلك من باب الإحساس الطائفى بل من جهة الأكثرية والأقلية، ومن جهة إعطاء لمن لا حق له الحق كله، فهل موقفنا يخالف الإنصاف أيّها الملك؟!.

قال الرسول: لمّا أبلغت الملك مقالة العالم، قال: الآن أريك الجواب عملاً لا قولاً، ثم إنه قال للرسول: هل تعرف أن رئيس الوزراء والمدير الفلانى كلاهما سنّيان؟ قال الرسول: نعم، قال: وهل تعلم هناك خصومة بين الرئيس والمدير؟ قال الرسول: نعم، قال: فانظر الآن.

وأمر الملك سكرتيره أن يحضر المدير، ولمّا حضر المدير قال له فيصل: إن رئيس الوزراء لا يقوم بأداء واجباته خير قيام، والناس غير راضين عنه وإنى أريد أن أعزله وأجعلك مكانه فماذا ترى؟ قال المدير: إنى لا أرفض لك أمراً، لكن الذين قالوا للملك هذه المقالة حول رئيس الوزراء مخطئون، فإنّ الرئيس يدير البلاد على ما يُرام وإنى لا أحب أن احتلّ موقعه، أمّا ما سوى ذلك فأى أمر يأمرنى الملك فإنى أمتثل له بكمال الترحيب.

ثم إنّ فيصلاً أذن للمدير بالانصراف، قال الملك لسكرتيره ثانياً: أحضر لى المدير الفلانى، وحين خرج السكرتير من عنده قال فيصل للرسول: هل تعلم أن الوزير الفلانى والمدير الفلانى اللذين أمرت بإحضارهما كلاهما شيعيان؟ قال الرسول: نعم، قال فيصل: وهل تعلم أنهما صديقان لا يفارقان أحدهما الآخر؟ قال الرسول: نعم، قال فيصل: فانظر ماذا ستكون النتائج؟.

وبعد فترة من الزمن جاء المدير وسلّم وجلس، ثم قال الملك له: أبلغت أن الوزير الفلانى لا يؤدى مهامه حسب الأصول والناس يشكون منه، ولذا فكرت فى إقالته وأن أجعلك مكانه فأنا أجد فيك الكفاءة المطلوبة وأجد عندك سداد الرأى.

قال المدير: نعم سيدى الملك، إن كل الناس متعجبون من جعل هذا الرجل وزيراً وهو لا يقدر على إدارة مدرسة ابتدائية، فكيف بالوزارة، وسأكون عند حسن ظنك، ثم أذن له فيصل بالانصراف ثم توجه للرسول قائلاً له: قل للعالم الذى أرسلك: إن الشيعة لا يصلحون للحكم بخلاف السنّة، وهذا هو الذى دفعنى إلى الاستعانة بأهل السنّة؛ لأن الحكم يحتاج إلى التماسك والاتفاق والتعاون،

وهذا ما لا يوجد عند الشيعة، بينما هو متوفرٌ لدى أهل السنّة.

أقول: لا أعلم مدى صدق هذا الخبر أو كذبه، وهل هو من نسج الخيال أو من الحقائق، لكن لنفترض أن القصة حقيقية من ألفها إلى يائها، فلنا فيها عدّة ملاحظات:

١ إذا كان الشيعة لا يصلحون للحكم، لأنهم لا يتّحدون، فكيف اتحّدوا لطرد الإنجليز من البلاد وهم أقل من ثلاثة ملايين، والإنجليز خلفهم ألف مليون أو يزيدون.

٢ من المعروف لدى كل العقلاء هذه القضية المنطقية: الجزئى لا يكون كاسباً ولا مكتسباً، فهل خيانة مدير لصديقه بظهر غيبه يجعل كل الشيعة هكذا خونة، وهل وفاء وزير سنى واحد يجعل من السنة كلهم أوفياء؟!.

٣ إذا لم يصلح الشيعة للحكم، فكيف حكموا فى أزمنة مختلفة وفى بلاد كثيرة، منها: العراق أيام البويهيين()..

وسوريا أيام الحمدانيين()..

ومصر أيام الفاطميين()،

وإيران أيام الصفويين()..

والمغرب أيام الأدارسة()، وما أشبه ذلك.

٤ إذا كان السنة متّحدين فما هو تبرير الانقلابات العسكرية المتتالية التى قادها بعضهم ضد بعض، وقد سفكت فيها الدماء الكثيرة()؟.

إنّ الجواب الصحيح على جميع تلك التساؤلات هو:

١ إنّ المسلمين الشيعة رفضوا مساعدة فيصل؛ لأنه اتّضح لهم فيما بعد أنّه سِتارٌ للاستعمار بعد أن ظنوا فيه خيراً، ولنعم ما صنعت الشيعة حيث وقفت ذلك الموقف النبيل، فالملك لا يصدر أوامره إلّا بمشاورة المندوب السامى البريطانى، ومثل هذا الملك لا يستحق التعاون معه.

٢ إن فيصل لم يرغب فى معاونة الشيعة؛ لأنّه كان متطرفاً فى التّسنُّن، ولأنه كان ينفذ أوامر الإنجليز، والشيعة يرفضون حكماً يرتبط بالأجنبى، فهم الذين طردوا الإنجليز فكيف يقبلون به يدخل تحت عباءة أخرى؟!.

والحكمة فى هذه القصة هى:

كيف أنّ تصرف إنسان واحد وهو المدير الشيعى على فرض صحة القصة يكون حجة على بنى نوعه، ومعرفة مدى تأثير ذلك فى أمور الحياة، كما أنى بهذا الدفاع لا أريد تبرئة مواقف كل الشيعة، بل لا شك أنّه هناك لائمة قصور وتقصير فى عدم جنى الشيعة ثمار ثورتهم التى قادوها حتى يوم استقلال العراق.

وإنى أظن أن اختلاف زعماء الفرات والشيوخ فى مجلس الإمام الثائر الشيخ الشيرازى رحمة الله عليه، حول نصب أحدهم ملكاً، كما أشرنا إلى ذلك سابقاً لم يكن هو السبب الأول والأخير فى عدم وصول الشيعة إلى سدّة الحكم بل هو سببٌ من الأسباب.

ويدلُّ على ذلك أيضاً عدم وصول الشيعة إلى الحكم فى انقلاب ١۴ تموز() و١۴ رمضان()، و١٧ تموز()، كما يدل على ذلك عدم دخول الشيعة فى العهد الملكى() فى المؤسسات المهمة كالإذاعة والتلفزيون والمدارس والصحف والأوقاف والقضاء وغيرها، مع أن الحكم كان ديمقراطياً ولو صورياً .

أمّا السبب الحقيقى حسب ظنى فهو التعصب الشديد فى الخلافة العثمانية ضد الشيعة، تعصبهم لأنّهم أتراك، والشيعة عرب، فقد أهملوا العراق أشدّ الإهمال، وخصوصاً المناطق الشيعية منها()، ممّا أثار حفيظة الشيعة وثاروا ضد الحكم العثمانى فى عدة جولات، ففى كربلاء والحلة والنجف ثار الشيعة ضد الحكم العثمانى، ولكن الشيعة ونظراً لغياب الوعى السياسى لإدارة البلد بعد أن أهملهم العثمانيون لقرون متطاولة فلم يتقدموا لممارسة هذا الدور بعد استقلال العراق.

وممّا زاد فى الطين بلّة، سياسة الملك فيصل بدعم من الاستعمار البريطانى، والقاضى بإبعاد الشيعة عن مراكز الحكم، كما يظهر ذلك

من مـذكرات (مس بيل)()، الجاسوسة البريطانية، والكلام فى هذا المقام كثير، وهو خارج من موضوع هذا الكتاب وإنما ذكرناه للعبرة والاتّعاظ.

نورى السعيد وتمزيق الشيعة

حكم نورى السَّعيـد() العراق مـدّة طويلـة، وكـان من حلفـاء الغرب ويعتبر أيضـاً من أعـداء الشـرق. لـذا كان الهجوم الشـيوعى موجّهاً بالدرجـة القصوى نحوه، وانتهى أمر نورى السـعيد بأنْ قتله الشـيوعيون، وسـحبوه فى شوارع بغـداد، وداسوا جثته بالسـيارة. وقيل: إنهم أحرقوا ما تبقى من جثته.

وكـان نورى السـعيد شديـد العـداء للشـيعة، ولـذا لم يكن يسـمح لهم بـالتمتع بـأى مركز إدارى مهم، وتجاهـل إعطاءهم حتى أبسـط الحقوق، بـل إنه بـذل مـا بوسـعه ليمنع الشـيعة من الوصول إلى الحكم، بـل رتب الأمر بحيث لايصل الحكم إلى الشـيعة مهما تطورت الظروف، فضلاً عن حرمانهم من الأمور البسيطة كالأوقاف والإعلام.

ولم يأذن نورى السعيد بالترويج للثقافة الشيعية، ولم يسمح بتدريس التاريخ الشيعى فى المدارس، علماً بأن أكثر من ثمانين بالمائة من الشعب العراقى هم من الشيعة.

وكان يقول دائماً: مثلُ الشـيعة مثل (البيض فى السـلّة)، فإذا حرّكت السلّة، كسَّر البيض بعضه بعضاً. وكان يريد بهذا المثل وضع منهاج لضرب الشيعة بعضهم للبعض الآخر.

ولمّا كان نورى السعيد يخشى نفوذ الشيعة؛ عمل على زرع الفتن والخلافات فيما بينهم ليشغل بعضهم بعضاً ().

والمثـل الـذى ذكره نورى السـعيد لاـ ينطبق على الشـيعة وحسب، بـل حتى السـنّة أنفسـهم حيث بالإمكـان إلقـاء الفتنـة فى أى وسـط اجتماعى، وذلك لوجود حالة التخلف واللاوعى فى البلاد آنذاك.

فأى بلدٍ متخلّف وشعبه غير واقعى، يكون صيداً وفيراً لشباك المستعمرين الذين ينفِّذون خططهم فى الظلام.

ومثال على ذلك الهنـد، فإن الإنجليز كانوا يثيرون الفتن الطائفيـة والاختلافات العرقيـة بين المسـلمين والهنـدوس، وكانت عمليـة إثارة الفتنة عملية سهلة ولا تتطلب جهداً من الإنجليز، فبمجرد ذبح بقرة أو تدنيس مسجد، كافٍ لإشعال نار الفتنة.

ولم يكتف الاسـتعمار بزرع بـذور الفتنة بين أبناء الديانة الواحدة أو بين أبناء الشـرق، بل امتدت مؤامراته حتى بلادهم فإيرلندا لازالت تعانى من الفتن الطائفية بين الكاثوليك والبروتستانت.

وذكرنا هذه الحكاية لنكون على أتمَّ حذرٍ ويقظة لما يُدبّر لنا فى الظلام حتى لا نصبح ألعوبة بأيدى المسـتعمرين وأذنابهم، أو بأيدى أصحاب الأهواء الباطلة أو الجهلاء والمتطرفين، فيحارب بعضنا بعضاً، حرباً كلامية فى أول خطوة ثم حرب الانقسامات وتفريق الصف بأساليب رخيصة لا تكلِّف المستعمرين أىَّ ثمنٍ يُذكر.

فإنَّ التحفُّظَ على وحدة الصف ووحدة الكلمة من أهم ما يقرر مصـير الشعوب والأفراد، فكلّما كان التآلف بين أفراد الشعب متيناً، كان ذلك دليلاً على وعى الشعب، وبالعكس كلَّما زادت الفُرقة والضغينة كان ذلك دليلاً على قلة الوعى.

وبالطبع فإن التآلف نتيجته الشوكة والمنعة والقوة.

أمَّا الاختلاف فنتيجته السقوط والهوان والتأخر، أى يُصبح الشعب نهزة الطامع ولعبة لكل منتفع.

عداء الشيعة خدمةً للاستعمار

من الأعمال التى قامت بها الحكومـة الملكيـة فى العراق ضـد الشـيعة، أنها عمـدت إلى هدم آثار() الشـيعة فى مدينة كربلاء المقدسـة تحت ذريعة توسيع الروضة الحسينية المباركة.

وهـذه كانت كلمـة حق أُريـد بها باطل، إذ كان بإمكانها لو كانت تريـد التوسـعة فعلاً لأقامت هذه التوسـعة مع الحفاظ على الآثار من عمليات الهدم المنظمة.

فقد هدمت (مسـجد رأس الحسـين عليه السلام) و(مدرسة الصدر) و(المسجد الناصرى) و(المدرسة الزينبية) و(مقبرة الميرزا موسى)() و(مدرسة حسن خان) و(مسـجد حسن خان) و(مقبرة جملة من العلماء العظام كالسيد صاحب الضوابط رحمة الله عليه وغيره)، و(مقبرة سلاطين آل بويه) الذين أسدوا للإسلام أجلّ الخدمات، والذين عمّروا البلاد طيلة أكثر من قرن من الزمن. و(الصحن الصغير) أيضاً تم هدمه.

كما وقام ياسين الهاشمى() الذى يُعدّ من خَدَمَةِ التاج البريطانى ومن ألدّ أعداء المسلمين الشيعة، قام بهدم (منارة العبد) فى حرم الإمام الحسين عليه السلام.

وكان وراء ذلك سـياسة طمس آثار الشـيعة حتى لا تقوم للشـيعة أيـة قائمـة، وإنى لأرى أن من واجب المسـلمين إعادة بناء كل تلك الآثار الإسـلامية المهدمـة، وحـديثنا حول الآثار الشـيعية فى كربلاء المقدسـة، جاء كمقدمة للحديث عن موضوع مهم هو الموقف من ذلك الهدم.

عندما يختلف العلماء!!

قام المرحوم الوالـد رحمة الله عليه() مع جملة من العلماء الأعلام بالإضـراب عن التدريس، وإيقاف جميع الأنشـطة الاجتماعية والدينية كصـلاة الجماعـة ومقابلـة الناس، الأمر الذى أدى إلى نتائج إيجابية حيث مارست ضـغطاً كبيراً على الحكومة التى أجبرت وكفّت عن ممارسة سياستها ضد الآثار الشيعية.

لكن وللأسف الشديد ضاع جميع ما تمَّ إنجازه من خلال الإضـراب عندما بدأ عالمان بخرق تعاهد العلماء على الإضـراب، فقد أغرت السـلطات هذين العالمين، وحرَّضت العلماء الباقين على إيقاف الإضـراب، فانقسم العلماء إلى جبهتين، جبهة مع الإضـراب وجبهة ضد الإضـراب، ووقعت مصادمات كلاميـة بين الطرفين، الأمر الـذى حقّق للسـلطة ما كانت تبغيه. وهكذا نجحت الحكومة فى تطبيق قاعدة «فرِّق تسـد»، عنـدها قرّرت الحكومة مواصـلة هدم ما تبقى من الآثار الشـيعية، وهكذا كلّما اجتمعت الكلمة وتوحَّدت السواعد، شـكّل ذلك أكبر تهديد للحكومة، وكلَّما اختلفت الأصوات، وقع الفشل، وتفرَّقت الأمة تبعاً لذلك.

ولكى لا تقع مثل تلك الحوادث، أرى من الواجب فى ظرفنا الراهن فى ظلِّ تمزُّق المرجعيـة وتفرُّقها، أن يكون لعلماء كلِّ بلدٍ مجلسٌ استشارىٌ، يكون سنداً لهؤلاء العلماء فى الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر وفى تقديم الإسلام إلى الأمام.

وهـذا؛ لا يتحقق إلّا بقيام الأطراف بتقـديم بعض التنازلات من أجل الهدف الكبير، وبالطبع فإنّ الفوائد التى تجنيها الأطراف المرجعية أكبر من خسائرها عند تنازلها عن أهدافها وطموحاتها الشخصية.

وقد قامت على هذا المبدأ جماعة العلماء () فى سـنة ۱۳۷۸ للهجرة فى مدينة كربلاء المقدسة للقيام بالخدمات الاجتماعية، وكما نشأ (مجلس المبلغين)، لتوحيـد جهود العلمـاء، وصـبّها فى الهـدف المشترك، كما واسـتهدف مجلس المبلغين توحيـد الطاقات الخطابيـة، ووضع استراتيجية للتبليغ الحسينى، وقد كان لهاتين المؤسستين دورٌ مهم فى تاريخ كربلاء.

الأيوبى وسلاح التفرقة

لقـد منيت الأمّـة الإسـلامية بخسـائر فادحـة إثر الأخطـاء الكبيرة التى ارتكبها صـلاح الـدين الأيوبى()، والتى انعكست آثارها ونتائجها السياسية إلى الوقت الراهن، ومراجعة سريعة للتاريخ، نشاهد بوضوح تلك الخسائر الجسيمة والتى يمكن تلخيصها بما يلى:

۱ إنّ صـلاح الدين الأيوبى كان من قادة الدولة الفاطمية فى مصـر حيث أوكلت إليه مهمة محاربة الصليبيين() الغزاة، لكنه عندما وجد

الفرصة المناسبة قلب لها ظهر المجن، وانقلب على الفاطميين، وأسقط دولتهم، وقام بتقسيم البلاد فى وقت كانت فيه بأحوج ما تكون إلى الوحدة، حيث تواجه مصر أخطار القوى الصليبية الغازية، بل إنه سعى إلى تمزيق العالم الإسلامى.

٢ كما وأنّ صلاح الدين لم يكتف بتقسيم البلاد إلى مصر وسوريا بل قام أيضاً بنقل الحرب الخارجية التى كانت ضد الصليبيين إلى حرب داخلية بين السنّة والشيعة، فأخذ بمطاردة الشيعة وقتلهم وتشريدهم وحرق مكتباتهم وأسر واغتصاب نسائهم()، وكانت المحصلة النهائية هى إضعاف البلاد داخلياً حتى عجزت عن مواجهة القوى الصليبية.

٣ ثم إنه لم يكتف بهذا القدر من تفريق الأمة وتشتيت طاقاتها، بل إنه عمد عند موته إلى توزيع ما تحت يده من البلاد بين أبنائه، وكأنّ البلاد الإسلامية هى ميراث لأجداده وآبائه، ضارباً بعرض الحائط كل القوانين الإسلامية التى تؤكد على ضرورة الانتخابات الحرة والشورى وما أشبه ذلك().

وبهذه الخطوة الجديدة ضعفت البلاد الإسلامية أكثر فأكثر؛ لأنَّ أبناء صلاح الدين أخذوا يتنازعون، وأخذ بعضهم يكيد للبعض الآخر كما هو مألوف عند أبناء الملوك فى العادة، وبدلاً من أن يجمعوا قواهم ويستعدوا لمحاربة الصليبيين ولإيقاف زحفهم الغادر استنزفوا قواهم فى صراعات داخلية لم يجنوا من ورائها سوى الخيبة والعار الأبدى.

وإنى لأظن استنتاجاً من المقدمات والأشباه والنظائر أنّ صلاح الدين كان من عملاء الصليبيين الذين تآمروا على المسلمين فى تمزيق صفّهم()، وأمثال صلاح الدين الأيوبى كثيرٌ فى بلادنا الإسلامية الذين يعملون لصالح الصهيونية والغرب؛ فى الوقت نفسه يظهرون العداء للصهاينة.

وقد كشفت الصحف والإذاعات قسماً كبيراً من هؤلاء العملاء والجواسيس، بينما لم يكن فى الزمن السابق تلك الصحف والإذاعات التى تكشف عن تلك العلاقة الخفية بين صلاح الدين الأيوبى والصليبيين.

وقد ظهر بعض آثار تلك العلاقة من خلال تصرفاته وأعماله التى كان حصيلتها ما يلى:

١ أظهرت حروب صلاح الدين المسلمين على أبشع الصور، وأبرزتهم قوة متخلِّفة متطاحنة وممزّقة، فلم يترك صلاح الدين جريمة إلّا وارتكبها من قتل العلماء، وهتك الأعراض، وتشريد المفكرين، وإحراق المكتبات، ومصادرة أموال وعقارات الناس، وأخذ الضرائب العالية من العمال والفلاحين والمزارعين، وكل هذه الأعمال التصقت بالإسلام، وكان لها رد فعل سيئ عند غير المسلمين.

لقد أعاد صلاح الدين الأيوبى ذكرى الجرائم البشعة التى اقترفها كلٌّ من: بُسُر بن أرطأة ()..

ومسلم بن عقبة المرى()..

والحجاج بن يوسف الثقفى()..

وزياد بن أبيه()..

وخالد بن عبد الله القسرى ()..

والمهدى بن المنصور العباسى ()..

والمتوكل العباسى()..

ومن على شاكلتهم.

٢ أدت أعمال صلاح الدين إلى إضعاف القوة الإسلامية إلى أبعد الحدود، بينما زادت تلك الأعمال من قوة الصليبيين، وعندما مات صلاح الدين كانت أجزاءٌ من فلسطين فى أيدى الكفار، أعداء الدين.

لم تكن حرب صلاح الدين ضد الدولة الفاطمية خاصة بل كانت ضد الإسلام بصورة عامة، فقد أعلن مخالفته الصريحة للإسلام بأعماله المخلّة بالإسلام، وأعلن عن خيانته لسيّده عندما تجاوز على الحلف والعهد الذى بينه وبين سيده، ولم يكتف بقتل المسلمين بدون ذنب وحسب بل زاد فى تماديه بأن سلّم البلاد إلى أولاده الذين تناحروا فيما بينهم.

۳ أدت أعمال صلاح الدين الأيوبى إلى إيجاد الفرقة والفتنة بين الشيعة والسنة، التى لم تلتئم جراحها حتى يومنا هذا، فقد أولد النزاع المذهبى بين الشيعة والسنة ضعفاً عاماً فى الكيان الإسلامى().

وربما يبرر البعض ما ارتكبه صلاح الدين من مخالفات ومن تقتيل للشيعة نتيجة لانحراف بعض الحكام الفاطميين كالحاكم بأمر الله().

أقول: أولاً: وقبل كل شىء، إن ما يُقال عن انحرافات (الحاكم بأمر الله) هو كذب محض بل هو جزءٌ من دعايات العباسيين المخالفين للفاطميين، وقد صدرت كتب عديدة تنفى هذه الافتراءات عن الحاكم بأمر الله.

ثانياً: ولنفترض جدلاً أنّ ما ذكره بعض المؤرخين بحق الحاكم بأمر الله كان صحيحاً، فهل ذلك يبرر ما قام به صلاح الدين الأيوبى من إضعاف القوة الإسلامية أمام القوى الصليبية، ثم بماذا يبررون أعمال صلاح الدين الأخرى التى أشرنا إلى بعضها بصورة موجزة؟

والحقيقة أنّ الخلافة الفاطمية اتهمها المتعصبّون من السُّنّة وعملاء الخلافة العباسية بتلك التهم التى لا أساس لها من الصحة، وإلّا فالاتهام كلّه كذب وعارٍ عن الصحة، ويشهدُ التاريخ على كذب أولئك المتقولين ممن كانوا يعملون لصالح الدولة العباسية، ومن هؤلاء (ابن حجلة)() فهو يتكلم حول الخلفاء الفاطميين وكأنهم خارجون عن الإسلام فينسب إليهم الرفض تارةً والزندقة أخرى وثالثة ورابعة مما يظهر من كلامه أنه حاقد أو مرتزق أو الاثنان معاً.

وقد ردّ المقريزى() على جميع هؤلاء، وردّ الاعتبار إلى الدولة الفاطمية فى كتاباته التى كتبها عن مصر.

لقد خدم الفاطميون الإسلام كثيراً وهم الذين أسدوا إلى المعرفة صنوف الخدمات، ففتحوا المكتبات، وأنشؤوا قاعات التدريس، ولم يكتفوا ببناء جامع الأزهر() وحسب، بل إن أحد الخلفاء الفاطميين حوّل قصره إلى قاعة للتدريس وإلى مكتبة كان يرتادها العلماء من كل مكان، أضف إلى ذلك اهتمامهم بالعمران والزراعة والصناعة().

صفاء القلوب

كان الشيخ البهائى() والسيد الميرداماد()، وزيرين للحكم الصفوى() الذى أقيم فى إيران، وكانا فى غاية العلم، والتقوى، والفضيلة، والتدبير، وكانا يديران أمور البلاد بالعدل والرفاه والإيمان، وفى عصرهم ازدهرت إيران ازدهاراً علمياً، وبلغت أوج حضارتها فى العمران والاقتصاد، وساد الأمن والاستقرار ربوع البلاد من أقصاها إلى أقصاها، وذات مرة كان الملك بصحبة هذين العالمين الجليلين فى رحلة إلى خارج البلاد، وكان الجميع يركبون الخيول كما هى العادة فى ذلك الوقت.

ولقد لاحظ الملك أنّ الشيخ البهائى كان أسرع فى الحركة من السيد الميرداماد الذى كان يسير على فرسه بهدوء وتؤدة، فأراد الملك أن يختبر العالمين، ووجد فى ذلك فرصة للاختبار، فتقدّم إلى أن وصل إلى الشيخ البهائى الذى كان فى مقدمة ا لركب، وقال له: إنك عالم ليس فيك مسحة من الكبر والرياء، ولذا تطارد فرسك بسرعة، أما السيد فيمشى مشية المتكبرين، ألم يكن الأفضل له أن يسير سيراً طبيعياً كما تسير أنت بكل حرية وانطلاق تاركاً المجاملات وما شابه ذلك؟.

ففوّت الشيخ الفرصة على الملك قائلاً له: كلا، إن الأمر معكوس، ففرس السيد متعب لثقل ما يحمله فوق ظهره. فالعلم الذى يحمله السيد الميرداماد جعل الفرس لا يطيق الْعَدوَ بسرعة، وأنا لأ تعجب كيف لا تغرز أقدام الفرس فى الأرض لثقل ما تحمله؟!.

ترك الملك الشيخ البهائى وذهب إلى السيد الميرداماد وقال له: إنك لتمشى بوقار أهل العلم والفضيلة، لكنى أتعجب من الشيخ البهائى كيف يسير هكذا مثل الشباب، ألا ترى كيف يطارد ويكر ويفر؟.

قال السيد: إنّ الأمر معكوس تماماً: إنّ فرس الشيخ يكاد يطير فرحاً، فهو مزهوٌ بمن يحمله على ظهره ولا يتمكن هذا الفرس من السيطرة على نفسه لما ناله من الغبطة والفرح والسرور.

عندما سمع الملك قول السيد والشيخ، نزل من فرسه إلى الأرض وسجد لله شكراً؛ حيث أنعم الله عليه بوزيرين، بلغ الحب بينهما حداً

أن الواحد منهما لا يسمح لنفسه أن ينال من الآخر إلّا بالنعت الجميل().

وهكذا، إذا صفت قلوب العلماء فى كل زمان ومكان، ازدهرت البلاد وتقدّم المجتمع، وبالعكس إذا شحنت القلوب بالضغائن، تأخرت البلاد وتراجعت إلى الوراء، وقد قيل: إذا فسد العالِم فسد العالَم.

إلاّ أن التوافق وعدم إظهار العداء وتطهير القلوب يحتاج إلى سعة فى الصدر وإلى صبر طويل. وقد قال مولانا أمير المؤمنين عليه السلام: (آلة الرئاسة سعة الصدر)().

وفى ذلك عبرة

يقال: إنّ ابن طولون()، الذى حكم مصر، مرّ ذات يوم على صياد معه ولده، فرأى رثاثة حال الصياد وفقره وفاقته؛ لذا مدّ يده فى جيبه وأخرج ديناراً وأعطاه للصياد، وإذا بهذا الصياد يموت فجأة.

فتعجب ابن طولون لموته، وسأل بعض مَنْ معه عن سبب موته؟

قالوا له: إنه مات فرحاً؛لأنه لم يكن ينتظر حصوله على هذا المبلغ الكبير أبداً.

ثم إنَّ ابن طولون أراد أن يعطى الدينار لولد الصياد، لكنه أبى أن يأخذ ذلك المبلغ وهو لا يعرف الدينار ولم يره فى حياته، ولما سأله عن سبب رفضه؟ قال: إنّ هذا هو الذى قتل والدى يقصد الدينار وإنى أخشى على نفسى منه.

أقول: وهكذا، على الإنسان أن يأخذ العبرة ممن سبقه وألاّ يغتر بالدنيا؛ لأنها سبب كل المآسى ومنشأ كل اختلاف.

عشاء التبن والشعير

شخصان ممن تزيّا بزى رجال الدين، يسافران من بلد إلى بلد فنزلا فى ضيافة شيخ عشيرة فاستقبلهما المضيِّف استقبالاً حاراً، ثم إنه أراد أن يختبرهما فسأل أحدهما عندما خرج إلى حاجة له فقال له المضيِّف: أريد أن أسألك عن صاحبك ما منزلته فى العلم؟

قال الرجل: إن صديقى لا يفهم شيئاً، إنه حمار.

ثم مضى إلى سبيل حاجته فجاء إلى الآخر، وقال له مثل ما قال للأول، فقال الثانى: إن صديقى لا يفهم شيئاً، إنه كالثور.

وعند الظهيرة قدّم المضيّف إليهما صحنين من الطعام وقد غطاهما حتى لايعرف نوع الطعام المقدَّم لهما، فلمّا رفعا الغطاء عن الصحنين، وإذا بهما يريان شيئاً غريباً، رأى الأول فى صحنه التبن، ورأى الثانى فى صحنه الشعير، فتعجبا واغتاظا غيظاً شديداً واعترضا على صاحب المضيف لسوء أدبه.

فقال صاحب المضيف: إنى لم أكن أعلم ماذا تأكلان واستفسرت منكما فقال أحدكما عن صاحبه: إنه حمار، وقال الآخر عن صاحبه: إنه ثور، والحمار والثور لا يأكلان إلاّ الشعير والتبن، ولذا فإنى قدمت إليكما طعامكم حسب ما قال أحدكما عن صاحبه.

وكان ذلك تنبيهاً مهماً من صاحب المضيف على خطأهما، فخجلا ونكّسا رأسيهما ولم يتمكنا من الإجابة.

لذا؛ لابد وأن نعرف أنّ تهجّم بعضنا على البعض الآخر سيؤدى إلى نفس النتيجة.

والحصيلة هى ازدراء المجتمع بالعلماء وذهاب شوكة المسلمين واجتراء الأعداء عليهم، قال سبحانه وتعالى: وَلاَ تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ

رِيحُكُمْ ()، والفشل هنا هو الفشل الكبير فى تحقيق الهدف، وذهاب الشوكة والعزة.

من هنا، كان من الضرورى على الإنسان أن يتوجّه إلى هذه الملاحظة، ويترك الكلام عن الآخرين؛ لأنَّ الكلام عن الآخرين ليس مردوده على الشخص المقابل وحسب، بل على الشخص المتكلم أيضاً.

فالذى يستر على صاحبه، يستر على نفسه أيضاً.

ردُّ الإساءة بالإحسان

حدث فى بغداد فى عهد الحكومة العثمانية، أنّ قاضى القضاة فى هذه المدينة ألقى القبض عليه متلبساً بجريمة شرب الخمر ووجود امرأة مومس معه فى البيت، فأُودع فى السجن، واطّلع الوالى على أمره فاغتاظ منه غيظاً شديداً، وكتب إلى الأستانة فى تركيا فى حكم هذا القاضى الذى هتك حرمة الدين ولم يراع منصبه الرفيع فى الدولة؟.

وكان هناك أحد القضاة يمارس وظيفته تحت إمرة قاضى القضاة()، وكانت بينه وبين قاضى القضاة مخاصمة، وبعد الحادث ذهب هذا القاضى إلى دار قاضى القضاة وأمر زوجته بأنْ تطبخ طعاماً وتهيئ قنانى من العصير، ثم أمرها أن تحمل الطعام والشراب على رأسها وتأتى معه، وهكذا جاءا حتى وصلا إلى باب السجن.

قال القاضى للسجّان: إنى نذرت أن أقدم الطعام إلى آخر سجين أودع فى السجن، وأرشا السجّان بالمال، ففتح له السجّان باب الزنزانة التى فيها قاضى القضاة، فدخل هو وزوجة قاضى القضاة السجن، وقدم له الطعام والشراب ثم إنه عند خروجه من السجن أمر المرأة المومس أن ترتدى ثياب زوجة القاضى وأخذ صحون الطعام وقنانى الخمر بدلاً من القنانى التى جاء بها؛ حيث إن قاضى القضاة كان مسجوناً مع المومس وقنانى الخمر، وخرج القاضى بالمومس وقنانى الخمر تاركاً عند قاضى القضاة زوجته وقنانى العصير، ثم إن قاضى القضاة كتب إلى الوالى يسترحمه فى تحقيق أمره وأنه مظلوم أودع السجن بلا ذنب وأن الوشاة هم الذين سعوا به، جاء الوالى وحقق فى الأمر وإذا به يرى صدق ما كتبه قاضى القضاة، فقد رأى أن المرأة هى زوجته وأن القنانى كانت لعصير الفواكه وليس للخمر فتعجب الوالى أشد العجب وأخرج قاضى القضاة من السجن بكل احترام وتقدير وعاقب الوشاة أشد معاقبة.

وفى اليوم الثانى من خروج قاضى القضاة من السجن جاء إلى دار القاضى المخلِّص الذى خلَّصه من السجن ليعتذر له على ما فعل به فى السابق وليشكره على صنيعه الحميد.

قال القاضى فى تبرير عمله: إنى وجدت من اللازم علىّ أنْ أنقذ سمعة القضاء بإنقاذك من ورطتك ولكيلا يساء الظن فى المستقبل بأمثالك، ولولا ذلك لبقيت أخاصمك ولم أقدم على هذا الفعل.

أقول: لاشك أن عمل قاضى القضاة كان جرماً كبيراً، لكن عمل القاضى وتداركه الأمر وحفاظه على سمعة القضاء كان أهم من ذلك، فالمسألة فيها أهم ومهم، وهكذا رأى القاضى.

إذاً، ليس كلامنا الآن فى أن عمله كان صحيحاً أم لا.

هكذا نلقى الفتنة!

قال رجل: كنت أسير فى الشارع مع شخصية سياسية بريطانية رفيعة المستوى، فسألته: إنّكم معاشر الإنجليز، كيف تحكمون ألف مليون إنسان فى الهند والصين وسائر المستعمرات مع أنكم قلة قليلة لا تعدون الخمسين مليون نسمة وليست لكم موارد مالية ضخمة؟.

قال الإنجليزى مجيباً على سؤالى: إنّا نستخدم سياسة (فرّق تسد)، فنلقى المنازعات بين الشعب الواحد، وهذا ما يجعلنا قادرين على السيادة عليهم لأنهم بعد الفرقة والاختلاف، يقلُّ عددهم ويصبحون أقلّ منّا عدداً، فإنّا لا نحكم على ألف مليون، بل نحكم على مليون ومليونين فقط بسبب تفرُّقهم واختلافهم.

فإذاً، خمسون مليون أكثر وأقوى من مليون ومليونين وثلاثة ملايين.

قال الرجل: وكيف تستطيعون إلقاء النزاع والتفرقة بين الشعب الواحد والأمة الواحدة التى تعيش على أرض واحدة وتنتمى إلى حضارة واحدة وإلى دين واحد؟.

قال الرجل السياسى البريطانى: إنه من أبسط ما يكون، وسأريك الآن كيف ألقى النزاع، ثم جاء به حتى وصلا إلى فقيرين مكفوفى

البصر، كان أحدهما جالساً فى طرفٍ من زقاق، وكان الآخر جالساً فى الطرف الآخر. فسأل البريطانى أحدهم: كم مدة أنت جالس هنا، قال الأعمى: مدة خمسٍ وعشرين سنة.

قال الإنجليزى: وكم مدة جلوس الأعمى الثانى أمامك؟ قال: إنه قريب لى وصديقٌ معى وجلوسه يُقارب المدة نفسها.

قال راوى الحكاية: ثم إن الرجل البريطانى، وقف وسط الزقاق، وقال: أيّها الفقير، هذه الليرة التى أعطيتك إياها، نصفها لك ونصفها لصديقك، الذى هو أمامك. قال هذه المقالة، وهو لم يعط أحداً شيئاً.

فظنّ كلُّ واحدٍ من الفقيرين أنَّ المتكلم أعطى صديقه الليرة، فقال للآخر: أين نصف الليرة التى أعطاك الرجل المحسن إياها، قال الآخر: إنه لم يعطنى، وإنما أعطاك إياها، فأخذ كل واحد منهما يتهم الآخر بأنه هو الذى أخذ الليرة، وأنه يريد الاستئثار بها لنفسه، ثم شرعا فى الشتم والسبّ، وقاما من مكانهما، وأخذ أحدهما يدفع الآخر، حتى دبّ الشجار بينهما بالأيدى، ثم بالعصى حتى سالت الدماء بينهما.

عندها قال الإنجليزى: أرأيت كيف ألقينا الفتنة بين هذين الأعميين، هكذا نلقى الفتنة بين أبناء الشعب الواحد().

الأندلس وكيف خسرناها؟

الأندلس() هذه البلاد الجميلة التى كانت بأيدى المسلمين هى عبرة لنا، إنها كانت بلاداً زاهرة عامرة جميلة، افتتحها المسلمون فى واقعة شهيرة فى التاريخ، ثم لم يلبث حكام الأندلس أن دبّ بينهم الاختلاف وأصبحوا متفرقين متشتتين، يحكم الأندلس مجموعة من الملوك سُمّوا بملوك الطوائف، فى كل بلدٍ كان هناك ملكٌ يحكمه، وعمل الإفرنج() على توسيع شِقّة الخلاف بين هؤلاء الملوك، كما أنهم استأصلوا ما تبقى فى نفوسهم من الإيمان، حتى ورد فى التاريخ أنهم أوقفوا بساتين العنب من أجل صناعة الخمر؛ ليوزع مجاناً بدلاً من الماء.

وانتشرت الميوعة وتفشى الفساد فى مدارس الأولاد، فأخذ النشأ ينشأ على الطريقة الإفرنجية.

وكان الإفرنج يرشون كبار المسلمين بإرسال فتياتهم الجميلات إليهم، فيقعون تحت مخدِّر الجنس، فيفعلون ما تأمرهم هذه الفتيات، وهكذا أخذوا يُبعدونهم عن الإسلام رويداً رويداً.

وعندما نشأ الشباب فى ظل تلك الأوضاع، أخذوا ينظرون إلى الإسلام بنظرة الريبة والشك، وأخذوا يقولون:

(المهم هو القلب، فإذا كان قلبك طاهراً ونظيفاً فلا تخشَ شيئاً)!.

وعلى الجانب الآخر، امتدت الخلافات إلى قطاعات كبيرة من رجال الحكم، من الملوك والأمراء، وكل واحد منهم يستنجد بالإفرنج ضدَّ ملوك المسلمين الآخرين، وقد تفشى المنكر بينهم، فضعفت كلمة الدين.

ومن ناحية أخرى، وهنت العقيدة الإسلامية فى قلوب الشباب، فلما بدأ التململ فيهم، وأخذت الصراعات تطفح؛ لتُغرق البلاد بالخلافات، حينها اتحدت كلمة الإفرنج، وقرّروا الانقضاض على الإسلام والمسلمين.

وبدأت أصوات الغيارى تعلو لتدعو المسلمين إلى نبذ الخلافات، لكن لا جدوى من ذلك، فقد وصل السيل الزُّبى.

وبدأ هجوم الإفرنج على بلاد المسلمين، فأخذوا يُغيرون على المدن، مدينة بعد أخرى، فيقتلون الناس بلا أدنى رحمة أو إنسانية.

وأخذوا ينشرون محاكم التفتيش فى طول البلاد وعرضها، وأجبروا المسلمين على ترك الإسلام والدخول فى المسيحية. ومن كان يرفض ذلك، يتعرض إلى أشد وأقسى أنواع التعذيب، حتى إنهم أحرقوا فى ميدانٍ واحد وفى يوم واحدٍ أربعين ألفاً من المسلمين.

وأخرجوا بنى الأحمر آخر ملوكهم من البلاد بصورة ذليلة ومهانة()، وهكذا لقى المسلمون الدمار والعذاب جرّاء تفرّقهم واستخفافهم بدينهم.

يقول (غوستاف لوبون)():

لم ترجع تلك البلاد إلى ما كانت عليه من العمران والازدهار على الرغم من مرور قرون وقرون.

من هنا، كان لزاماً على الحكومات الإسلامية أن تُدرِّس مادة (تاريخ الأندلس) فى كل المدارس، لكى يعرف الناشئون من المسلمين كيف فقد المسلمون تلك البلاد الإسلامية نتيجة التفرقة والاختلاف.

حادثة فى قطار

نقل أحد المسلمين أنه كان راكباً القطار للسفر من بلد إلى آخر، وكان فى غرفة القطار معه رجل بريطانى، وآخر إسبانى، وثالث هولندى، وكانت زوجة الإسبانى جالسة بين الرجل الهولندى والإسبانى.

يقول الرجل المسلم: صادقت البريطانى لآمن شرّه، فكان البريطانى يستهزئ طول الطريق بالرجلين الإسبانى والهولندى، ويضحك منهما. وبينما هو كذلك، وإذا بالتيار الكهربائى قد انقطع وساد الظلام القطار؛ لأن الوقت كان ليلاً. فقال لى الرجل الإنجليزى: هل تحب أن أوقع بين هذين الرجلين؟، قال ذلك ثم قام من مقامه حتى قابل الزوجة وقبّل يده تقبيلاً ـ بصوت مرتفع، وإذا بالرجل الإسبانى، ينتفض من مكانه ظناً منه أنه قد قبل زوجته، وأخذ يشتم الهولندى، وكلّما أراد الهولندى أن يفهمه الأمر، لم يعطه المجال لشدة تأثيره واضطرابه، واشتد النزاع بينهما حتى بلغ منهما مبلغاً كبيراً، وفى أثناء ذلك عادت الكهرباء فاشتعلت الأنوار، فتدخل الناس فى الأمر، ولولا تدخلهم لتصاعد الصراع بينهما إلى حدٍ لايحمد عقباه. وظلّ فى نفس كل واحدٍ منهما شىء على طول الطريق.

من هنا، فإنَّ كثيراً من عوامل العداء والبغضاء لا أساس لها، وهى تأتى نتيجة الجهل وسوء الظن، ولذا وجدنا القرآن الكريم ينهى عن ذلك فيقول سبحانه وتعالى: وَلاَ تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ (). ويقول أيضاً: اجْتَنِبُوا كَثِيراً مِنَ الظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ ().

سوء الظن

مرّ رجل على إحدى الخانات وهو محل تجمع المسافرين أثناء سفرهم، فسمع صوت شاب يتوسّل بصوت حزين فى إحدى غرف تلك الخانات، كان يتوسل بشخص آخر ويقول له: لا تفعل بى ذلك، بينما كان الشخص الآخر يزجره قائلاً: اصبر.. الآن سوف يتم العمل، ولك كذا وكذا من المال.

فظن السامع أن ذلك الصوت، يدل على وجود فاعل ومفعول به. فقام غاضباً، كى يقتحم تلك الغرفة؛ لينقذ الشاب من أيدى الفاعل قبل أن يرتكب جريمته.

لكنه وقبل أن يُقدم على اقتحام الغرفة، أخذ ينظر من ثقب باب الغرفة ليعرف أو يرى ما يجرى فى داخلها، فإذا به يرى رجلاً جالساً على الأرض، ينظف بعض الدَّمامل التى أُصيب بها الولد فى الطريق، وما هى إلاّ لحظات حتى تبيّن له أن الولد ولده، فتذكر قصة أمير المؤمنين عليه السلام مع ذلك القصّاب الذى خرج من الخربة وبيده سكين ملطخٌ بالدم، وقد وجد الناس إلى جانبه قتيلاً..() والقصة مشهورة.

إذاً، من المفترض ألاّ يسيئ الإنسان الظن بالآخرين، وألاّ يتنازع، ولايعادى الآخرين، وألاّ يتهمه بالظنة وما شابه، وإذا سمع كلاماً ينال من أحد، عليه أن يتحقق من ذلك، فلعله ظنٌ من الظنون.

كلمة التوحيد وتوحيد الكلمة

قال المرحوم الشيخ محمد حسين كاشف الغطاء(): بُنى الإسلام على كلمتين: كلمة التوحيد وتوحيد الكلمة.

وهذه العبارة هى من أوسع العبارات، وأكثرها دلالة وقوة، ذلك لأنّ التوحيد هو الجوهر واللُّب. وتوحيد الكلمة هو الحارس والإطار، فمن دون توحيد الكلمة يجد أعداء الإسلام منفذاً للقضاء على الإسلام.

ومن المؤسف أنَّ المسلمين قد تشتّتوا تشتّتاً كبيراً حتى لم يعد من السهل جمع حتى عشرة أشخاص منهم تحت راية واحدة. فقد اعتاد الكثير من المسلمين على الحالة الفردية وعلى الاستبداد وعدم التنازل للآخرين حتى لو كان الحقّ معهم، واعتادوا على عدم احترام آراء الآخرين، وعدم الاعتناء بأفكارهم، بينما الأساس فى الإسلام يقوم على مبدأ الشورى والمشورة فى كل شىء إلّا فيما ورد فيه نص صريح.

والشورى تقوم على الروح الجماعية، وبدون هذه الروح لا يمكن أن تتحقق الشورى. وبالشورى تتلاقح الأفكار وتتبلور وتشذّب تشذيباً جيداً.

وبالشورى يأخذ كل رأى حجمه الطبيعى فى زحمة الآراء، لاحجمه فى حالة الانفراد بالرأى.

فإذا قلنا إن منظمة مكوَّنة من عشرة أعضاء لابد وأن يكون نصيب كل رأى عشرة فى المائة، أو ليس من حق كل إنسان أن ينفّذ رأيه مائة فى المائة، فالقابل للتنفيذ هو القابل للتصديق أيضاً.

نتيجة الاستبداد فى الرأى

يقال: إنّ ريفياً مرض، فأشار عليه أقرباؤه وأصدقاؤه بأن يدعوا له طبيباً؛ ليعالجه. فقال المريض: ائتونى بطبيبى الخاص (حكيم باشى)، فأخذوا يبحثون عن حكيم باشى، فلم يجدوا له أثراً يُذكر، فجاؤوا إلى المريض، وقالوا له: إن حكيم باشى قد ترك القرية، فقال المريض: إما أن تأتونى بحكيم باشى أو لا أريد طبيباً. وأصرّ على رأيه، وبقى مريضاً حتى مات.

لقد مات هذا الريفى؛ لسذاجة رأيه، وقد قال أمير المؤمنين عليه السلام: من استبدّ برأيه هلك ().

وأمثال هذا الرجل المريض كثيرون عندنا، وهم القائلون: إما أن نعمل معكم حسب آرائنا، أو أن نترك العمل ولو كان فى ذلك تأخر الإسلام وتأخّرنا. وكم رأينا من منظمات وهيئات تتشكل ثم تتفرق؛ لأن أعضاءها اختلفوا فيما بينهم وتعدّدت آراؤهم وانقسموا أخيراً على أنفسهم، فيتباطؤون فى تنفيذ الآراء، ثم ينسحب الواحد تلو الآخر حتى تنهدم تلك الهيئة وتنهار تلك المنظمة، ونتيجة للانقسام يسعى أحد أفراد الهيئة أو المنظمة بإثارة النعرات والاختلافات ضد الهيئة أو الجمعية إذا انسحب من عضويتها ويبرر عمله بأنه لم يُؤخذ برأيه. وهكذا حيث تركنا العمل ب توحيد الكلمة، خسرنا كلمة التوحيد»، ومصداق ذلك نجده فى البلاد الإسلامية التى اقتطعها الاستعمار وسيطر عليها واعتبرها جزءاً من مستعمراته وامتداداً لخريطته الجغرافية.

المسيحية والشباب

قال لى أحد الأصدقاء الذين ذهبوا إلى ألمانيا الغربية: إن هناك منظمة للشباب المسيحى، تضم عشرة ملايين مشترك.

وقال لى صديق آخر من الذين زاروا إنجلترا: إن الكنيسة احتضنت أغلب شباب بريطانيا.

أقول: وهذا هو السر وراء عدم انسياق شبابهم وراء الشيوعية وما أشبه.

الشباب والهيئات الدينية

قرأت فى إحدى الكتب أنَّ الصهيونية تحتضن بمنظماتها أغلب يهود العالم.

هكذا يجب علينا نحن أنْ نوحِّد الكلمة، فإن (توحيد الكلمة) يعنى تربية نفسية، وعملاً دؤوباً، وحزماً متزايداً، فاللازم أنْ نشرع بتنظيم أنفسنا تاركين خلف أظهرنا كل السلبيات الموروثة، وكنا قد جربنا تجربة رائدة إلّا أنها سقطت فى الاضطرابات التى قامت فى العراق، ولم يبق من التجربة سوى القليل من فوائدها، ومن تلك التجربة تشكيل الهيئات فى المساجد والحسينيات، وكنا نجمع تحت لواء هذه الهيئات مجموعة من الشباب المؤمن، ففى كل مسجد من مساجد كربلاء المقدسة والحسينيات والمكتبات كانت تقام هيئة من

الهيئات، فكانت هيئة باسم الرسول الأعظم صلى الله عليه و اله وهيئة باسم الإمام على عليه السلام وهيئة باسم الزهراء عليها السلام وسائر الأئمة. ? وقد بلغ عدد هذه الهيئات زهاء مائتى هيئة، وكانت تحتضن عدداً كبيراً من الشباب، فلو كان فى كل هيئة مائة فرد، لبلغ عددهم ألفى فرد. وكنا نعبّر عن هذه الهيئات بالهيئات المنظمة، وكانت تجتمع فى كل أسبوع مرة أو مرتين، وبرنامج الهيئة كان يتلخَّص فى قراءة القرآن الكريم، ثم يلى القرآن محاضرة دينية، ثم أسئلة وأجوبة فى الأحكام الشرعية، ولولا الاضطرابات التى انتشرت فى العراق، لاستمرت هذه التجمعات والهيئات فى أداء وظيفتها الاجتماعية والثقافية.

ومما يُذكر أنّ هذه الهيئات بدأت تمتد إلى أماكن أخرى من العراق كالنجف الأشرف وبغداد والكاظمية والحلة.

وكانت هناك هيئات نسائية، تضم أعداداً كبيرة من الطالبات الجامعيات، والطالبات المثقفات، وبدأت الأنشطة المختلفة من خلال هذه الهيئات، مثلاً بدأت طباعة الكتب، ومن خلالها بدأنا بنشر الكتب والمجلات المتنوعة، وقمنا بتشكيل اللجان المختلفة كلجنة لتزويج العُزَّاب والعازبات،ولجنة لمساعدة الفقراء والمحتاجين، وعيادة المرضى، ولجنة لتنظيف المدينة، وما أشبه ذلك.

واكتشفنا بعد تجربة رائدة فى عمل الهيئات، أنّ هذه الهيئات هى الأسلوب الأمثل لجمع الشباب وتوحيد الطاقات وتفجيرها إلى ما فيه الخير والصلاح.

ويا حبّذا لو تتبنى جميع المناطق فى العراق هذا الأسلوب ويبدؤون بتشكيل الهيئات كمقدمة لجمع الشباب.

النتائج الإيجابية للهيئات

لقد استطاعت هذه الهيئات أن تحقق أمرين هامين:

الأول: الوقوف بوجه الفساد الاجتماعى.

الثانى: التصدى للأحزاب غير الإسلامية؛ الشرقية منها والغربية، ولما كان من الواجب علينا الوقوف بوجه الفساد المستشرى والوقوف قبال الأحزاب الكافرة، كان علينا أن نبدأ الخطوة الأولى فى هذا المجال بتشكيل الهيئات فإنها المنطلق لتأسيس أى عملٍ تقدمى.

ويمكن تحقيق ذلك بثلاثة أمور:

أولاً: القيادة القوية والمتطورة المتفهمة لحاجات الأمة، والواعية بملابسات العصر الحديث وتعقيداته، ففى العهد الإسلامى الأول؛ لمّا توفرت القيادة الحكيمة والمتمثلة برسول الله صلى الله عليه و اله، انضوت الشعوب تحت راية الإسلام، وعندما افتقدت الأمة لهذه القيادة الحكيمة، تفرّقت الأمة، وانفرط عقد وحدتها.

ثانياً: وجود المؤسسات الدينية والاجتماعية البديلة عن المؤسسات المضادة، ويجب أن يكون منطلق هذه المؤسسات من المساجد والحسينيات والمكتبات والمدارس والنوادى والمسارح فى الدول التى يسمح فيها للعمل الإسلامى، أما فى الدول التى لا يسمح فيها بالعمل، فلابُد أن تتحلى هذه المؤسسات بالكتمان؛ استناداً للحديث الوارد: استعينوا على قضاء حوائجكم بالصبر والكتمان ().

ويجب أن تعتمد هذه المؤسسات على نفسها فى الموظفين والمال، فالمؤسسة التى تحظى بالاكتفاء الذاتى هى المؤسسة الناجحة والقادرة على حل مشكلات الشباب المختلفة.

ثالثاً: إقامة لجان تتولى مسؤولية وضع حلول لمشاكل الشباب، مشاكلهم العاطفية، وذلك بدعم مشروع الزواج، والمشاكل السياسية كمشكلة الانتماء إلى الأحزاب، أو المشاكل الاقتصادية كالفقر والفاقة، أو المشاكل المرضية التى يبتلى بها الشباب، فالناس لا يؤمنون إلّا بمن يحلّ لهم مشاكلهم، وقد ورد فى القرآن الكريم إشارة إلى هذه الحقيقة الهامة فى سورة قريش، حيث يقول سبحانه وتعالى: الَّذِى أَطْعَمَهُمْ مِنْ جُوعٍ وَآمَنَهُمْ مِنْ خَوْفٍ ()، فقد عبدوا الله بعد أن أمّن لهم الخير والأمن.

أمور لا بدَّ منها

ولاـ يخفى بعـد ذلك أن أمر الهيئات المنظمـة، يحتاج إلى أخـذ الموضوع من جميع جوانبه، فهناك الحاجـة الماليـة، وهناك الحاجة الدعائيـة، والحاجـة الدفاعية، فضـلاً عن الحاجة الثقافية، فلولا المال لا يُمكن الاسـتمرار فى الهيئات، ولولا الإعلام، لن يتم نمو الهيئات وانتشارها، ولولا الدفاع لتغلبت الجهات المناوئة للهيئات عليها.

ولولا الثقافـة الدينية والدنيوية التى تبثُّ فى الشـباب روح الطموح والتطلع إلى المسـتقبل من ناحية، وتقوى فيهم الفضـيلة والإيمان من ناحيـة ثانية كالمنابر والكُتب والندوات والمجلات،لركدت الهيئات ثم أخذت فى الانهيار والذوبان، وقد أكّد الإسـلام على النظام أبلغ تأكيد كما يظهر ذلك من القرآن الحكيم والسـنة المطهرة، فضـلاً عن أنّ النظام هو مصدر القوة فى مواجهة الأعداء، وقد قال سـبحانه وتعـالى: وَأَعِـدُّوا لَهُمْ مَـا اسْـتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ ()،وأن أى تـأخير عن تشـكيل تلـك اللجان والمنظمات والهيئات الخيريـة سـيمنح الفرصـة للتيارات المعادية أن تضع بديلاً للإسـلاميين. ثم إنه من الضـرورى جداً دفع هذه الهيئات المنظمة إلى العمل فى مختلف ميادين الحياة السياسية والاقتصادية والزراعية والعسكرية والثقافية والدينية وغيرها، لأن الإسلام دين لجميع جوانب الحياة، وجاء لمعالجة كل الأمور، ولا يمكن الأخذ به مجزءاً، هذا إذا كانت أحوال البلد تسمح القيام بمثل هذه الأعمال وإلّا فلابد من الاستعانة بالصبر والكتمان.

أما فى الدول الاسـتبداديـة فلابُد من وجود عمل منظّم وسـرّى، ويجب أن يبتعد هذا التنظيم عن العمل العلنى الذى يسلط الأضواء على الأشخاص القائمين عليه.

شمولية الأدوار

وباسـتطاعة الهيئات فى البلاد الحرة أن توسّع دائرة أنشـطتها لتشـمل العمل السياسـى، فهى ترشِّح أفراداً فى الانتخابات وتعارض الدولة إذا ما قامت بإجراء مخالف للإسـلام والإنسانية، وتمارس ضـغوطاً على الدوائر الحكومية لمنعها من مزاولة الأعمال المنافية والمعاكسـة لإرادة الأمة. وتعمل هذه الهيئات أيضاً من خلال نشـراتها ومجلاتها ومن خلال حملتها فى المجالس بتغيير القوانين الوضـعية فى البلاد واستبدالها بالقوانين الإسلامية، حيث قال سبحانه وتعالى: وَمَنْ أَعْرَضَ عَنْ ذِكْرِى فَإِنَّ له مَعِيشَةً ضَنْكاً وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَى ().

من هنا، كان من الضـرورى على هـذه الهيئات أن تمارس كل الأدوار كما هو الإسـلام يمارس كل الأدوار فى الحياة فلا تترك مجالاً فارغاً.

فإذا كان المجال مباحاً شـرعاً بـذاته كان الدخول فيه مباحاً أولياً. وإذا كان المجال محرماً شـرعاً كالمكوس والبنوك الربوية وما أشـبه ذلك، دخلوا فيه بقصد الإصلاح، وتجنبوا الحرام قدر المستطاع. قال سبحانه وتعالى: فَاتَّقُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ ().

فـإن أهميـة إنقاذ البلاد من براثن المسـتعمرين وعملائهم، تفوق أهميـة المحرمات الذاتيـة فى بعض الأحيان لما قرره الشـرع من قانون (الأهم والمهم).

كما وأنه يلزم على الهيئات المنظمة أيضاً محاربة المنكرات والمفاسد كالخمور والسـفور والقمار والربا والاحتكار، وكذلك يلزم على الهيئـات المنظمـة أن تتبنى الشؤون الاجتماعيـة بمختلف قطاعاتها كشؤون العمال والفلاحين وقضايا العمران والمسائل الأمنيـة ومسائل الرفاه العام وأموراً تتعلق بتسليح البلد وتقويته فى مواجهة الأعداء.

والحاصـل، فـإن برنامـج الهيئـات برنامـج حافـل بالأنشـطة المختلفـة، ومسؤوليـة الهيئات هو العمل على تطبيق الشـريعة الإسـلامية قـدر المستطاع لا العمل بجزء وترك الجزء الآخر.

وحدة العلماء

توحيد صفوف أهل العلم له دورٌ كبيِّر فى تقديم البلاد الإسلامية، كما وأن اختلافهم له دور كبير فى تأخير البلاد.

ولا يتوحّد أهل العلم طالما ظل المال مبعثراً.

وما دامت الدراسة الدينية فوضى.

ومادام النظام السياسى لا يتفق وطموح أهل العلم.

ولا يمكن علاج هـذه الأمور الثلاثة إلّا بوضع معايير تقويم للرئاسة وقواعد لإيجاد الرئاسة، ولا يتم ذلك إلّا بتكوين مجلس استشارى يتكـون من أهـل الحـل والعقـد من علمـاء الـدين العـدول لاختيـار الأصـلح من المراجع القـائمين، ومن الطـبيعى أن يلاحـظ المجلس مؤهلات المرجع وقـدراته الإداريـة إلى جانب المزايا والمؤهلات الدينيـة الأخرى التى تجعله قادراً على القيام بدور الريادة فى المجتمع. وبمقـدور المجلس تعيين معاونين للمرجع يُساعـدونه على القيام بالمهمات الثانويـة مثل تنظيم الدراسـة، وتنظيم شؤون القضاء، وتنظيم أمور المال، وغيرها من الأمور الأخرى.

وإذا كـان للأمـة مراجع متعـددين كمـا هو الغالب كان المجلس الأعلى المتشـكّل من المراجع هو السّـلطة العُليا، إذ لا يحق لمرجع أن يضغط على مقلد مرجع آخر ويفرض رأيه عليه.

وهناك أمور لابُد من استدراكها:

أولاً: هل أهل العلم يرضون بتنفيذ هذه النظرية؟

فى الإجابة على هذا السؤال لابد من القول: إنّ أهل العلم يصنَّفون أمام هذه النظرية إلى صنفين اثنين:

صنفٌ يؤيِّد النظرية ويعمل من أجل تنفيذها.

وصنفٌ يحاربها ويعمل على هدمها.

وهذا التصنيف أمرٌ طبيعى، تجده فى جميع المجالات الحياتية، فحول أى موضوع ينقسم الناس بين مؤيد ومعارض.

وطالما علّمنا الإسـلام أدب الحوار والمناقشـة، يجب أن نعمل وفق الأدب الإسـلامى، ففى تاريخ أهل البيت ? حكايات كثيرة لمناقشـة الأئمة ? مع الزنادقة والمنحرفين وغيرهم. فكان لابُدّ من التحلِّى بالأخلاق الحسنة، فبالأخلاق الحسنة وحدها تنتهى المشاكل، وبالأدب الإسلامى الرفيع يستطيع أى إنسان أن يناقش آراء الآخرين حتى لو كانت مضادة له.

ثانياً: ما هى نظرة الحكومات إلى هذه النظرية؟

فى الجواب نقول:

١: من الضرورى انتزاع اعتراف الحكومات إذا كانت ديكتاتورية بالنظرية، ليكون لها شأنٌ خاص تقرّه الحكومات وتعترف به حتى يتم السماح لأصحاب هذه النظرية بالحركة فى الأفق الاجتماعى والمالى وفى تعيين القضاة وأئمة المساجد والمبلغين داخل الجيش.

٢: وإذا كانت النظرية فى ظل حكومة حرة، فالحكومة لا شأن لها بها مع الافتراض أنها حرة.

ومختصر الكلام أن الحركة يجب ألّا ترتبط بالحكومة، وإنما يجب عليها أن تحصل على اعتراف الحكومة.

أمـا السؤال الوارد: هـل الحكومـة ينبغى أن تتـدخل فى شؤون الحركـة بمـا ينفعهـا أم لا؟. وهل إمكانيات تـدخُّل الحكومـة فى شؤون المرجع الفرد أكثر أو إمكانيات تدخل الحكومة فى شؤون المرجع الاستشارى أكثر؟.

لابُدَّ أن يكون الجواب فى الشق الثانى من السؤال: فلا خوف إذاً على الحركة من هذه الجهة.

ثالثاً: هل هناك لكل الشيعة مرجع أو مراجع حينئذ؟.

والجـواب: إنّ من الصـعب جـداً أن يكـون للشـيعة مرجعٌ واحـدٌ، بعـد تقسـيم البلاـد إلى خرائـط جغرافيـة سياسـية. وإن لم يكن ذلك بمسـتحيل فى نفسه، ويدلُّ على صـعوبته البالغة الأشباه والنظائر كالرئاسة المسيحية والرئاسة السنية؛ حيث إن التقسيمات السياسية للبلاد لا تسـمح لسـيطرة رئيس دينى واحد على كل البلدان. أمّا إذا تمكن المجلس الاستشارى بالإقناع على توحيد المرجعية فى كل الأقطار بمرجع واحد يقود المسلمين؛ فبها ونعمت، ولا شىء أحسن من هذا الأمر.

وإذا لم يكن المجلس الاسـتشارى قادراً على ذلك، فسـيظهر هناك مرجعان فى قطرين، أو مراجع فى أقطار متعـددة، ولا بأس بـذلك

مادام أنَّ التوحُّد غير ممكن، ومن ثمَّ يكون بين المرجعين أو المراجع نوع من الاتحاد الحركى والعملى حتى يوجب التنسيق بصورة مماثلة لجامعة الدول العربية أو مؤتمر القمة الإسلامى أو اتحاد الدول الإفريقية، ولا مناقشة فى الأمثال والوسائل.

وعلى أىّ حال: (لابُدّ من صنعا وإن طال السفر) كما قال الشاعر، وإنى لأظن أنه لو ابتدأت مثل هذه الحركة بكل همّة وجدٍ وإخلاص سوف لايمضى ربع قرنٍ إلّا وتظهر النتائج المطلوبة كما هو متوقع.. ومن تلك النتائج المرجوّة:

۱: ألّا يكون طالب العلم الدينى مهاناً فى المجتمع.

۲: ألّا يكون راتبه الشهرى أقل من راتب الموظف الإدارى.

۳: ألّا تكون مدة دراسته مجهولة.

۴: ألّا تكون بداية دراسته كآخرها مجهولة، إذ لابد من منهاج دراسى واضح ومحدد.

۵: ألا يكون هدف الطالب مجهول المصير، فلابُدّ من تحديد مستقبلى لكل طالب علم، ولابد من برنامج يتم من خلاله استثمار طاقة الأفراد.

۶: ألّا يكون هناك صراع ونزاع بين حواشى المراجع بل تكون الحواشى نظيفة وبعيدة عن الصراعات والنزاعات.

۷: أنْ تكون الإدارة فى المجتمع العلمى إدارة قوية وواعية، وبعيدة عن الفوضى.

۸: أن يكون هناك توزيعٌ عادلٌ لرجال العلم بين المُدن الإسلامية، كذلك أئمة الجماعة والموجّهين الدينيين.

۹: يجب الاهتمام بالتبليغ الدينى بنفس الحجم الذى نهتم به فى الأمور الأخرى.

۱۰: وألّا يحدث فراغ عند موت المرجع، ونهوض مرجع آخر، والناس فى حيرة من تقليدهم وسائر شؤونهم الدينية.

۱۱: وألاّ ـ يكون بموت المرجع موت للمؤسسات المرجعية التى بناها هو وحاشيته، بل على كل مرجع أن يقيم المؤسسات، فمتى ما مات، تبقى المؤسسات لتواصل خدمتها للدين، وأنها لا تتوقف بتوقفه عن الحياة. وعندما تكون هناك مؤسسات، فالمرجع الذى يأتى بعد موت المرجع الأول سوف لا يبدأ من الصفر.

۱۲: وأن تصرف الحقوق الشرعية فى الموارد الصحيحة، وألّا تجمّد فى أمور لا فائدة ترتجى منها أو أن تصرف فى موارد غير مواردها الشرعية.

۱۳: وعلى عالم الدين أن يعطى صبغة الفاعلية لمجمل أعماله.

۱۴: وأن يتوقف هدر الأموال الكثيرة والطاقات الكبيرة على الدعاية للمرجع وحاشيته ووكلائه.

۱۵: الحفاظ على النظرة القدسية نحو المراجع، وألّا تتحوّل المرجعيات إلى ملوك الطوائف فى نظر الناس.

۱۶: تفعيل الإدارة المسؤولة عن تدريس الطلبة بما يضمن التقدم المستمر لطالب العلم.

۱۷: وأن يمنح طالب العلم شهادة كما حال كل الجامعات فى العالم، فعصرنا اليوم هو عصر الشهادات.

۱۸: ولا يكون المرجع مكتوف الأيدى قبال تعيين أو عزل وكيل، وألّا يترك الأمور إلى الحاشية لتفعل ما تريد.

۱۹: ويُضاف إلى المواد التدريسية فى الحوزة الفقه والأصول، العلوم الإنسانية المرتبطة بالمجتمع كالسياسة والاقتصاد وعلم الاجتماع والإدارة والإعلام مما يحتاجها طالب العلم، لئلا يصيب الناس الازدراء من أهل العلم والدين.

۲۰: ولا ـ يكون للمرجعية وكيلان فى مدينة واحدة، خصوصاً إذا كان الوكيلان يوجهان الأمة توجيهين مختلفين فحينئذ ستختل الموازين ويحدث الاختلاف حتى فى تعيين أوائل الأشهر().

ولاشك أن عصارة ما تبقى اليوم من الإسلام هو الذى يتمثل بالمرجعية، فالتطور الذى طرأ فى العالم اكتسح جميع الأساليب السابقة التى كانت تتبناها المرجعيات التقليدية. فلو لم تغيّر المرجعية من أساليبها فى العمل مع الحفاظ على الجوهر، سوف لا تتمكن من أداء رسالتها كما هو مطلوب.

المرجعية الواعية

لا ريب أن استقلال العراق السياسى قد ارتبط بثورة الإمام الشيخ الشيرازى رحمة الله عليه، كما أن استقلال إيران الاقتصادى ارتبط بفتوى الإمام المجدد السيد الشيرازى رحمة الله عليه.

وإذا ما قسنا قدرات المرجعية قبل نصف قرن مع قدراتها فى هذا اليوم كان التفاوت كبيراً جداً، فاللازم علاج ذلك قبل أن تزداد درجات هذا التفاوت.

إنَّ الكنيسة حينما اضمحلت هيبتها أمام الحضارة الغربية جمعت نفسها، وأعادت نشاطها، بل وتوسعت باستخدامها للوسائل الحديثة، مع العلم أنّ الكنيسة وبصورتها التقليدية هى نمط من التخلف؛ حيث إنها أجرمت بحق العلماء وأصحاب الفكر والرأى.

أمَا علينا أن نأخذ عبرة من ذلك؟!

أمَا يجب على المرجعيات الشيعية أن تستعين بهذه الوسائل المتطورة مع أنها مرجعيات صحيحة وسليمة وتقدمية من أصلها، وقد ساهمت فى تحرير البلاد ونشر العلوم، وأسدت للناس أجلّ الخدمات منذُ زمنٍ بعيد حتى يومنا هذا؟!

إنّ أشد ما يثير دهشتى التناقض الحاد فى نفوس بعض الناس! فثمة جماعة من الناس تؤكد على نبذ الجمود وتدعو إلى توحيد الكلمة وتشجب التشتت والضياع وتفرّق الكلمة بلسانها، وتخالف كل هذه الأمور بعملها!

إنَّك لتجد فى نوادى هؤلاء الأشخاص واجتماعاتهم كلاماً معسولاً، يدور حول التطوّر والتقدم والمشاريع الحديثة، ولكنك ستفاجأ بعدائهم الشديد بمجرّد قيام تلك المشاريع.

من تجارب الأصدقاء

واجهت جماعة من الأصدقاء الذين نذروا أنفسهم لتقديم الحياة الدينية والاجتماعية إلى الأمام واهتموا بتوحيد بعض الفئات، فلاقت أشد الصعوبات؛ إذ أقدمت هذه الجماعة على القيام بفتح مكتبة فى مدينة كربلاء المقدسة، ثم أخذوا ينشرون «مجلة» ثم أنشؤوا جمعية، ثم أسسوا مطبعة ثم مدرسة أهلية، وقد تم إنجاز هذه الأمور الخمسة فى زمنٍ متقاربٍ، ومع أول خطوة نحو تنفيذ تلك المشاريع الخمسة، لقوا معارضة شديدة من لدن أولئك الذين كانوا يتوقون القيام بهذه الأعمال، وكان الباعث على اعتراضهم ونقدهم هو الحسد و ما أشبه.

وأخذ هؤلاء يبثّون التّهم والدعايات المضلّلة ضدّ العاملين، وأصبحوا يؤلّبون الناس ضدَّهم؛ حتى إنهم سعوا بالوقيعة بهم لدى السلطات الظالمة، فقد اتهموهم بالشيوعية، وطلبوا من السلطات قطع دابرهم والتخلص منهم، وقد اقتنعت الحكومة بتلك الاتهامات الموجهة ضد الأصدقاء وأمروا أزلامهم باتخاذ الإجراءات اللازمة ضدَّهم.

والبعض من المناوئين اتهم الأصدقاء بأنهم قوميون ومخربون، فالواجب إيقاف نشاطاتهم، وقد قررت السّلطة آنذاك إلقاءهم فى السجن بعد وشاية المناوئين، إلّا أن الله سبحانه كفاهم شرّ المشكلتين، والغريب فى الأمر أن الذين كانوا يُعارضون تلك النشاطات، لم يمضِ زمان إلّا واقتطفوا بأنفسهم ثمار تلك النشاطات، وكانت لهم سيادتها وعنوانها.

المجتمع وتوحيد الكلمة

وحول (توحيد الكلمة)، ففى المجتمع ثلاث طوائف، هم: أهل العلم، والكسبة، والموظفون. ومع الأسف، فى مجتمعنا إن هذه الطوائف الثلاثة متباعدة ومتنافرة، وجاءت هذه المنافرة نتيجة التفكك والضعف فى الأمة الإسلامية، فكان أهل العلم يرون الطائفة الثالثة وكأنهم خارجون عن الإسلام، وتنظر الطائفة الثالثة إلى أهل العلم وكأنهم خرافيون ورجعيون، لايفهمون شيئاً، وهم السبب فى

تأخر البلاد، وتجميد المسلمين.

أمّا الطائفة الثانية: فكانت تقف موقف الوسط، فأحياناً تنتصر إلى هؤلاء وأخرى إلى أولئك، ولذا ما كُنت ترى فى تلك الأيام حتى طالباً واحداً أو موظفاً واحداً فى صلوات الجماعة أو مجالس التعزية أو بيوت العلماء، وكانت المهاترات تنهش بأظافرها جميع الأطراف، وكان أولئك العاملون يدعون إلى وجوب التقارب بين الطوائف وإيقاف التهم والمهاترات، كما كانوا يقيمون الهيئات لأجل تحقيق المشاريع، أو لأجل التثقيف الإسلامى، وكانوا يلاقون بذلك مشاكل جمة من الأصدقاء قبل أن يلاقوها من المناوئين، وكانت أجمل هدية يتلقونها من الأصدقاء هى التُّهم، ووضع العراقيل فى طريقهم.

ولم يكونوا يبدون أىَّ تعاون، وإذا تكلموا معهم حول عمل مشترك أو تعاون، كانوا يفتحون الحسابات القديمة، لماذا فعلتم كذا؟ ولماذا قُلتم كذا؟ واعملوا مع من كنتم تعملون سابقاً؟ ولماذا أخفيتم عنّا؟ ولماذا لم تشاركوننا فى سابق أعمالكم؟ وأسئلة أخرى ساذجة، يطرحها من يريد العمل فى الحقلين: حقل التطوّر، وحقل التوحيد، ولو كان ذلك التطور بتأسيس مدرسة أو إيجاد فرصة لتوحيد النشاطات وإن كان فى جمع عشرة أفراد لتأسيس هيئة يجتمعون فيما بينهم لتجويد القرآن الحكيم.

فاللازم أن يعلم الفرد العامل أن الطريق ليس مفروشاً بالأزهار، وأن أول المتحمسين للعمل سينقلب إلى أول المعارضين له وصدق سبحانه وتعالى حيث قال: وَلاَ تَكُونُوا أَوَّلَ كَافِرٍ بِهِ ()، بينما كلّنا يعلم أن النبى صلى الله عليه و اله لم يرد إلاّ خيرهم وصلاحهم بتقديمهم إلى الأمام وبتوحيد كلمتهم بما فيه عزتهم وشوكتهم وسعادتهم، ولم يكن البشر فى ذلك اليوم يختلف عن البشر فى هذا اليوم، وإن لم يكن نبىٌ ولا وصىٌ فى الظاهر اليوم.

ثم إن الذين يُعارضون الإصلاح هم على أشكال غالباً فإمّا حسّاد مفترون، أو عاملون لإرضاء كبريائهم، أو جهّال سطحيون، وهؤلاء هم المعارضة، ثم إنهم يسحبون معهم جماعات من طيبى النفوس، ويتخفّون وراءهم؛ لنيل أهدافهم.

وبعد هؤلاء الأفراد الذين غالباً ما نجدهم فى الأصدقاء، يأتى دور الذين يناوئون الإنسان ومشاريعه لأهداف خاصة ووقتية مختلفة عن أهداف الإنسان، مثل أن تكون أنت فى جانب الإسلام وهم فى جانب الإلحاد، أو تكون أنت من أتباع مذهبٍ خاص، وهم من أتباع مذهبٍ آخر.

فالمفترض بالذى يريد التقدُّم أو توحيد الصف أنْ يتّصف بالحزم، ويتحلى بالأخلاق والدفع بالتى هى أحسن، وبمداراة الناس، إن أراد نجاح مشروعه.

العلماء حصون الأمة

زار الملك ناصر الدين شاه القاجارى إحدى الدول الغربية المعروفة باستغلالها للشعوب، يصحبه رئيس وزرائه، وقد استعدّ رئيس تلك الدولة استعداداً عسكرياً كاملاً لإظهار قوة بلاده أمام ناصر الدين شاه ولإدخال الرعب فى قلبه. فأمر الجيش بالقيام باستعراض عسكرى واسع أمام موكب الشاه.

وكان الجيش يتكون من قوة عسكرية كبيرة ومدرّبة ومجهّزة بأحدث الأسلحة، ممّا أعجب الشاه بهم إعجاباً كبيراً بالاستعراض الرائع فى وقت كان فيه الجيش الإيرانى يعانى من الانهيار والتفكك وضعف السلاح.

ولما انتهى العرض العسكرى، التفت رئيس تلك الدولة؛ ليسأل الشاه عن عدد قواته العسكرية؟

يقول الصدر الأعظم رئيس الوزراء الذى كان يرافق الشاه فى سفره: أخذ قلبى ينبض وارتعدت فرائصى من ذلك السؤال، واشتدّ قلقى من جواب الشاه؟، فهل يجيب بما هو واقع وذلك إهانة كبيرة لإيران، وتطميع أكبر بتلك الدولة الاستعمارية، والمثل يقول: (المال المتروك يدفع السارق إلى السرقة)، أو يقول كذباً، وهو فضيحة أمام كل الأطراف التى تعلم بقدراتنا العسكرية؟!

إلّا أنّ الشاه، برع فى الجواب حيث قال: إن جيشنا لا يتعدّى فى أيام السلم عشرة آلاف شخص لحماية البلاد من المخربين والمجرمين

والسارقين، وهـذا العـدد كافٍ فى بلادنا لردع أولئك العـدد القليل من المجرمين فى مجتمعاتنا الإسـلامية؛ لأن الإسـلام يطهّر النفوس ويمنع عنها الإجرام، فيكون وازعاً داخلياً عند عامة الناس، إلاّ من شذّ وندر.

أمّا فى أيام الحرب، فيصبح جيشنا متكوناً من عشرة ملايين! ويشمل جميع البالغين من الرجال والنساء من الشعب الإيرانى.

قـال رئيس الدولـة الغربيـة: وكيف يمكن أن يكون الجيش الاحتيـاطى كـل الشـعب وقـد قـاس الأمر فى فكره حسب موازين الجيوش النظامية ؟.

قال الشاه: نعم، إن ذلك مستحيل فى موازينكم.

أمّـا بالنسـبة إلى بلادنا، فعنـدنا العلماء ممثلون للإمام المعصوم عليه السـلام، وأمرهم مطاع لـدى جميع الناس، وإذا ما أفتى العالم فتوى (الجهاد المقـدس)، فلن تجـد من لا يُلبى هـذا النـداء، فطاعـة العالم فى فتواه كطاعة الله سـبحانه، وعلى جميع المسـلمين ومن بلغ سـن الرشد الامتثال لأوامرهم.

قال الصدر الأعظم: فانخطف لون رئيس الدولة الغربية، وظهرت عليه آثار الدهشة والاضطراب.

نعم، إنّ مـا قـاله الشـاه صـحيحٌ فى ذلك الزمن الغابر، إنّه هكـذا يكون الـدفاع الإسـلامى، فى زمان لم تتوفر فيه الوسائل الحديثـة التى تؤمّن الدفاع.

أمّا اليوم، فإنّ الجيش والـدفاع أصـبح مؤسـسة حديثـة تقوم بتـدريب الناس على السـلاح وتنظمهم على شـكل المقاومة ليصـبحوا على استعداد كامل، متأهبين لساعة الصفر.

فالجهاد الذى هو من أقسام الدفاع واجبٌ على كل مكلف مثل وجوب الصلاة والصيام،ولذا عُدَّ من فروع الدين.

شهادة جاسوس

(كينيازدال كوركى)()، وهو الجاسوس الروسى القيصرى الشهير الذى بعثوا به إلى إيران إبان الحكم القاجارى.

يقول دال كوركى فى مـذكراته(): إنّ روسـيا كانت معجبـة بإيران ومواقفها الصـلبة أمام الإمبراطوريتين الروسـية والعثمانيـة بالرغم من ضآلة عدد سكانها وانعزالها.

ويواصل دال كوركى: وكنا نسأل أنفسـنا، ما هو سـرّ قوتها، حتى تبين لنا أن سرَّ قوتها فى وحدة كلمتها وطاعة الدولة والشعب لعلمائها الذين يعتبرون أفضل حماة للقانون والاستقلال.

ولـذا كنت والكلام لـدال كوركى موفـداً من قبـل دولتى لتفريق كلمـة هؤلاء العلماء، وقـد كنت أبـذل ستين ألف ليرة ذهبيـة لجلب ضعـاف النفوس والعقول إلى جـانبى لتنفيـذ أهـدافى، فكنتُ أكفّر بعضاً، وأفسّق بعضاً، وأقتل بعضاً، وكنت أنفّـذ جميع ذلك بصـرف الأمـوال الطائلـة ومن تحت السـتار. وأخيراً توصـلت إلى أقوى سـلاح وهو اسـتخدام الـدين كوسـيلة لتفريق صـفوفهم وتمزيق ألفتهم، فوجـدت فى (على محمـد البـاب) خيرَ مطيَّة لتنفيـذ ذلـك. فقـد ادّعى الرجـل أنه بـاب (الإمـام المهـدى) ثم قال عن نفسه بأنه (الإمام المهـدى) ثم ادّعى بأنه أكبر من ذلك، وقد تمكّنا بواسطة هذا الرجل وبعملنا الدؤوب الذى لا يعرف الانقطاع أن نفرّق كلمتهم، وأن نحدث شرخاً كبيراً فى صفوفهم.

أقول: هكذا عمل المسـتعمرون فى تمزيق أواصـر المسـلمين، وتضـعيف القوة الإسـلامية. حدث ذلك فى غياب الوعى لدى السلطات التى كانت تحكم البلاد الإسـلامية. وعلى إثر ذلك، جرت حروب وسالت الدماء، وظهر الحزب البهائى() فى إيران، وبعد زوال روسيا القيصـرية وسقوطها على أيدى الشيوعيين، انتهزت بريطانيا الفُرصة فاحتضنت الحركة، وغذّتها بالمال والخطط، وحين ضعفت بريطانيا، قامت الولايات المتحـدة الإمريكيـة بالـدور نفسه، وأخيراً قامت الصـهيونية العالميـة بمـدّ يـد العون والمساندة إلى البهائية، وهكذا امتد الأـخطبوط فى إيران وغير إيران، وكـان بلاءً طالت مـدّته، وسـتطول أكثر طالما ظلّ المسـلمون غير متحـدين حكومـة وشـعباً من أجل

تطبيق الشريعة الإسلامية وقطع دابر المفسدين.

وكل من أراد المزيد من الاطلاع على المخططات الاستعمارية للفتك بوحدة المسلمين، عليه أن يقرأ كتاب «مذكرات كينياز دال كوركى».

ومن الكتب المفيدة فى هذا المضمار: «لعبة الأمم» () و «أعمدة الحكمة السبعة» ()،و «التبشير والاستعمار» ()، و «بروتوكولات حكماء صهيون» ()، و «تشريح جثة الاستعمار»، و «مذكرات مس بيل» ()، و «مذكرات مستر همفر» () الجاسوس البريطانى، و «مجلة ملى تركستان»، و «الإسلام فى قبال الزحف الأحمر»، و «ظلام من الغرب»، و «تركستان فى ظل الشيوعية»، وغيرها من الكتب المهتَّمة بالهجمة الاستعمارية ضد البلاد الإسلامية().

الصبر يصنع الانتصار

كان لأحد مراجع طهران ابنٌ، بعثه إلى مدينة سامراء لتلقى الدراسة الدينية؛ وذلك فى عهد الإمام المجدد السيد الشيرازى رحمة الله عليه، وكان هذا الابن سيئ الأدب بحكم كونه شاباً غنياً، ولعدم تلقيه تربية سليمة فى بلاده، فكان يسيء للسيد الشيرازى بلسانه ويهمزه ويلمزه فى أعماله، وكلّما نُهى عن ذلك لم ينته حتى وصل الخبر إلى الشيرازى، وطلب من الشيرازى بعضُ حواشيه أن يأمر بإرجاع هذا الشاب إلى بلده، لكن الشيرازى لم يوافق على الطلب، وكان الولد مع إحسان الشيرازى إليه وإعطائه الراتب الشهرى وهو لا يستحقه، ومع ذلك ظل يتمادى فى غيِّه. وهكذا طال الأمر، فأصرّ بعض الحواشى على إرجاعه إلى إيران، لكن الشيرازى ظلَّ ساكتاً لا ينبس ببنت شفة.

ومرّت الأمور على هذا المنوال عدَّة سنوات، وحدث تغيّر طفيف فى ثقافة وأخلاق هذا الشاب حتى جاء وفدٌ من طهران إلى سامراء، وتشرّف الوفد بزيارة الشيرازى رحمة الله عليه، فسأل منهم هل عندكم فى محلتكم عالم؟

وهل ترغبون فى إرسال عالم إلى بلدكم؟

فأجابوه بالترحاب.. فبعث الشيرازى إلى ذلك الشاب وطلب منه العودة إلى إيران ليصبح عالماً فى منطقة الوفد القادم. فلبّى الشاب ما طلب منه، فرافق الوفد وعاد إلى إيران معزّزاً مكرّماً. وتعجب الناس كيف قابل الشيرازى إساءة هذا الشاب بهذا الإحسان. ولم يمضِ وقت طويل حتى أصبح هذا الشاب عالماً مرموقاً فى مدينته، ثم أصبح مستشاراً ل (ناصر الدين شاه).

وعندما كان فى معية الشاه وقعت (حادثة التنباك) المشهورة التى أفتى فيها السيد الشيرازى بتحريم التّنباك، فأوصدت الأبواب أمام الشاه، ففكر ذات مرة أن يجمع العلماء فى مكانٍ واحد لعلّه يتمكن من إغوائهم فى نقض فتوى الشيرازى. فأوعز إلى مستشاره وكان عالماً وهو الشاب الذى كان فى سامراء أوعز إليه أن يقوم بجمع العلماء فى داره ويقول لهم بأن الشاه يريد زيارتكم.

وبالفعل جمع العلماء وحضر الشاه ذلك المجلس، ثم إنه تكلم حول فتوى الشيرازى قائلاً: (هل يحق لإنسان أن يُحرِّم ما أحلّه الله؟، مَنْ هذا الرجل المسمّى ب (محمد حسن الشيرازى) القابع فى سامراء؟

وكيف يُحرِّم ما أحلّه الله؟

فأطرق الجميع برؤوسهم، إلاّ العالم المذكور الذى جمعهم، والذى قال خلافاً للجميع الذين سكتوا ولم ينبسوا ببنت شفة.

قال: أيها الملك، إنَّ الإمام آية الله العظمى السيد محمد حسن الشيرازى هو مرجع تقليد الشيعة فى كل العالم.

فغضب الشاه من هذا الجواب غضباً شديداً، وقال: ثم ماذا؟!،

قال العالم: إننا نتوقَّع منك أن تنفّذ أوامر هذا المرجع وإلاّ فنحن سننفذ أوامره بالسيف.

فقام الشاه وهو فى أشدّ غضب وتوتر، وهمهم مع نفسه قائلاً: ترانى أين جئت، جئت إلى بيت أى حمار!!

فغضب العالم منه وقال له بصوت مرتفع: يا صاحب الشارب الغليظ، ليس من حقِّك أن تتكلم حول مرجع تقليد الشيعة بمثل هذا

الكلام.

وانتفض المجلس، وفشلت خطة الشاه، بل باءت بالفشل الذريع. وانتشر الخبر، فكتب بعض الناس القصة إلى الشيرازى فى سامراء، وطلب الشيرازى أولئك الذين أشاروا عليه بإخراج الشاب لسوء أدبه، ثم إنه وضع إصبعه فوق اسم ذلك الشاب حتى لا تعرف حاشيته اسم الشخص الذى انتفض بوجه الشاه. وقال لبعضهم: إقرأ الكتاب، فلمّا قرأه، استحسن الجميع عمل هذا العالم الجسور المضحّى، وبالغوا فى الثناء عليه، وبعد ذلك رفع الشيرازى إصبعه عن الاسم، وكم كانت دهشة أولئك الذين طلبوا منه طرد الشاب وإعادته إلى بلده.

فقال لهم: أ رأيتم فوائد ذلك السكوت والصبر، فاعترفوا بحسن سياسة الشيرازى، ونظرته الثاقبة، العميقة، البعيدة المدى.

وهكذا يجب الحفاظ على العلاقة مع الناس مهما اختلفت أعمالهم ونظرتهم وأفكارهم إلاّ فى حدود معصية الله سبحانه، وقد قال سيد البلغاء أمير المؤمنين عليه السلام: عاشروا الناس بالمعروف معاشرةً إن عشتم حنّوا إليكم وإن متُم بكوا عليكم ().

فالناس يختلفون فى أذواقهم وأفكارهم وآرائهم فلا نتوقع منهم أن يأتى رأيهم مطابقاً لرأينا مائة بالمائة، حتى لو كان هناك تطابق بمقدار واحد بالمائة، علينا أن نستثمر هذا المقدار لنربح المجتمع. وهذا ما قصده أمير المؤمنين عليه السلام فى كلامه المذكور.

الرسول صلى الله عليه و اله ولمّ الشمل

وعلى غرار ذلك هناك من يسأل: لماذا لم يطرد رسول الله صلى الله عليه و اله المنافقين من حوله؟. وقد غفل هؤلاء السائلون عن أمرٍ مهم هو أنه هل كان الأفضل لرسول الله صلى الله عليه و اله أن يقوّى المسلمين فى الشكل والجوهر أم يقوّى جبهة الشرك؟.

فإذا كان رسول الله صلى الله عليه و اله قد طرد المنافقين، لكان قد أضاف عدداً جديداً إلى المجتمع الجاهلى. ومعنى ذلك: توسع فى الجبهة المعادية للإسلام. فقد تخلّص الرسول الأكرم صلى الله عليه و اله بحكمته البليغة من شريحة، كان يمكن أن تنصب له العداء السافر، فاستطاع بأخلاقه أن يُفرّق صفوف المشركين، فكسب أعداداً كبيرةً منهم، وواصل عملية الكسب.

وقد قال أحد الحكماء: دع المنافق فى نفاقه، فإن لم تقدر على إصلاح سريرته لا تُفسد صلاح ظاهره، فإذا مرّ عليك، أليس من الخير أن يسلّم عليك بدلاً من أن يشتمك. ثم لعلّ الله يهديه سواء السبيل، فينقلب صالحاً بعد أن كان طالحاً.

وهذا هو دأب المسلمين من قديم الزمان، فهم يقلّبون ويحولون من هو عدوٌ لهم، ليصبح ولياً حميماً. وقد قال سبحانه وتعالى: ادْفَعْ بِالَّتِى هِىَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِى بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِىٌّ حَمِيمٌ ().

كما أن الله سبحانه وتعالى قال أيضاً: وَمَا يُلَقَّاهَا إِلاَّ الَّذِينَ صَبَرُوا وَمَا يُلَقَّاهَا إِلاَّ ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ ().

الناس سواسية

الناس سواسية كأسنان المشط()، بهذا المنطق الرفيع حكم المسلمون مساحة واسعة من العالم، وتقدّموا أكبر تقدم فى تطبيق ونشر الشريعة الإسلامية، وهو منطق العقل والعلم أيضاً.

فليس ثمة اختلاف بين الناس من حيث الفضل إلاّ بالكفاءة، والكفاءة الحقيقية تتجلى بالتقوى. ومعنى التقوى اجتناب المحرمات والتحلّى بالفضائل، حيث قال سبحانه وتعالى: إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللهِ أَتْقَاكُمْ ().

ومن مصاديق التقوى أن يرى الإنسان نفسه فى مرتبة أخيه الإنسان، ولايرى أخاه دونه، وأصدق مثال على هذه الرؤية الصادقة صلاة الجماعة، حيث يقف المسلمون جميعاً جنباً إلى جنب كأنّهم بنيانٌ مرصوصٌ، ولا يشعر أحدهم بفضل على الآخر.

وإذا ما نظرنا إلى صلاة الجماعة التى يؤديها المسلمون، لرأينا فى صفوف الصلاة الهندى إلى جانب الإيرانى، وإلى جانبهما العربى، وإلى جانبهم التركى، وترى الأسود يقف إلى جانب الأبيض، والفقير إلى جانب الغنى، ولا تشعر بوجود فرق بينهم إلاّ بالتقوى.

وتلاحظ الشيء نفسه في أيام الحج حيث يتساوى الشريف والوضيع والرئيس والمرؤوس، ونجد المالك والفلاح كلَّهم بزيٍّ واحدٍ مُرتدين قطعتين من القماش.

والسؤال المطروح هو: هل نجد هذه المساواة في المرافق الحياتية الأخرى؟، ويمكن طرح السؤال بصيغة المصاديق:

هل يمكن لأي إنسان:

١: أن يُسافر أينما يُريد بدون حدود وبدون جواز سفر وتأشيرة؟.

٢: وأن يبقى في أي بلدٍ يرغب فيه بدون ترخيص، حاله حال إنسان ذلك البلد؟.

٣: وأن يشترى ويبيع كأصحاب البلد دون تفريق؟.

۴: وأن يتاجر، فيستورد ويصدّر أية بضاعة يريدها إلى أي بلدٍ يشاء، وبأية كيفية يرغب إليها، باستثناء الأشياء المحرَّمة؟.

۵: وأن يؤلّف ويكتب ويبدى رأيه كإنسان له مطلق حرية التعبير؟.

۶: وأن يعمل أي عمل شاء بالكيفية التي يُريدها؟.

٧: وأن يدرس كيفما شاء، وفي أي معهدٍ علمي أو أكاديمية، وأن يدرِّس كذلك؟.

٨: وأن يخطب ويتزوج كما يشاء، ومثلما يريد بلا شروط ولا مضايقات ولا إجازة من السلطات؟.

٩: وأن يقيم الشعائر الإسلامية حسب ما أمر الله سبحانه وتعالى به بدون محظور أو تهديد أو إجازة من السلطات؟.

١٠: وأن يعمل بقوانين الإسلام حسب ما أنزل الله سبحانه وتعالى، لابحسب القوانين الوضعية؟.

وفي اليوم الذي يستطيع فيه المسلمون من تحقيق هذه الأمور العشرة وغيرها، فسيكون يوم الخلاص ويوم الانعتاق من الاستعمار، إذ لم يكن الإسلام يوماً مجرد عبادات، بل الإسلام عبارة عن مجموعة قوانين حياتية ومجموعة نُظم اقتصادية وتنظيمات سياسية وقوانين تجارية وأنظمة قضائية وأحوال شخصية وأوضاع اجتماعية وطرق زراعية ومعايير أخلاقية.

وتأتي العبادات لتقوّم تلك الأنشطة الحياتية ولتمنحها الأهداف

السامية.

إلّا أننا ومع الأسف لانجد تلك القوانين والنُظم هي الحاكمة في مجتمعاتنا الإسلامية، بل بالعكس نجد ما هو عكس ذلك، نجد ما يخالف الشرع المبين وما يتناقض وأحكام القرآن.

فقد قال الإسلام: أَحَلَّ اللهُ الْبَيْعَ وَحَرَّمَ الرِّبَا ()، ولكن ترى التعامل مع البنوك الربوية التي تنتشر في عرض البلاد الإسلامية وطولها.

وقال الإسلام: إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالأَنْصَابُ وَالأَزْلاَمُ رِجْسٌ مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ فَاجْتَنِبُوهُ ()، وإنك لترى في البلاد الإسلامية عكس ذلك، ترى محلات بيع الخمور منتشرة وتباع كما يُباع الخبز.

وقال الإسلام: الزَّانِيَةُ وَالزَّانِي فَاجْلِدُوا كُلَّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا مِائَةَ جَلْدَةٍ (). أما في البلاد الإسلامية فترى بيوت البغاء وأماكن الدعارة منتشرة في كل مدينة وحي.

وقال الإسلام: وَإِذَا سَأَلْتُمُوهُنَّ مَتَاعاً فَاسْأَلُوهُنَّ مِنْ وَرَاءِ

حِجَابٍ (). أمّا في البلاد الإسلامية، فترى النساء السافرات في كل مكان، وترى السفور حتى بلغ مبلغ التعرّي، وينتشر في البلاد الإسلامية الاختلاط بشكل عجيب.

وقال الإسلام: تِلْكَ حُدُودُ اللهِ فَلاَ تَعْتَدُوهَا (). أما في البلاد الإسلامية فترى القوانين الوضعية وقد أخذت مكان القوانين الإلهية.

وقال الإسلام: وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللهِ كَذِباً أَوْ قَالَ أُوحِيَ إِلَيَّ وَلَمْ يُوحَ إليه شَيْءٌ وَمَنْ قَالَ سَأُنْزِلُ مِثْلَ مَا أَنْزَلَ اللهُ (). أمّا اليوم، فيقولون أكثر مما قالوا في السابق، فاليوم يقولون: (إنّ ما عندنا أفضل مما أنزل الله)، فالذين يسنّون القوانين الوضعية يقولون: (بأن قوانينهم أفضل من قوانين السماء)!.

وقال الإسلام: كَيْ لاَ يَكُونَ دُولَةً بَيْنَ الأَغْنِيَاءِ مِنْكُمْ (). أمّا المسلمون اليوم، فكلهم فقراء، ولا تجد بينهم غنياً إلاّ ما شذَّ وندر، وستجد بين المسلمين من هو دون مستوى الفقر.

وقال الإسلام: لاَ تَظْلِمُونَ وَلاَ تُظْلَمُونَ ()، أمّا فى عالمنا الإسلامى، فلا نجد بقعة خالية من الظُلم، وكأنّ الظلم هو القاعدة السائدة، أما العدل فهو الاستثناء، فصاحب المُلك يظلم المزارع. وربّ العمل يظلم العامل، وكأنّ الإسلام لم يأت بقوانين إنسانية لحماية العامل والفلاح، ويعطى لكل صاحب حقٍّ حقَّه.

وقال الإسلام: الناس مسلطون على أموالهم وأنفسهم (). أمّا فى البلاد الإسلامية، فلا نجد رائحة للحرية، بل نجد الاستبداد والظلم والديكتاتورية والتسلط على قدم وساق، فأصبح الناس لا سلطة لهم على أموالهم، وهم عرضة للنهب والسلب على أيدى السلطة بمختلف المعايير والحجج الواهية.

وقال الإسلام: لاَ تَجِدُ قَوْماً يُؤْمِنُونَ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللهَ وَرَسُولَهُ ().أما فى البلاد الإسلامية، فماذا تجدون؟! تجدون الحكومات، تلهث خلف الدول الاستعمارية الكافرة، وتشنُّ الحروب ضدَّ دول إسلامية لحساب دول ملحدة أو كافرة.

وقال الإسلام: وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِى آدَمَ (). هذا ما تجده فى القرآن الكريم. أمّا ما تجده فى البلاد الإسلامية، فهو السجون ووسائل التعذيب بأشدّ أنواعها، والإعدامات ومصادرة الأموال وانتهاك الأعراض.

وقال الإسلام: (الأرض لله ولمن عمّرها)(). أما فى البلاد الإسلامية، فتجد القوانين التى تمنعك من الاستفادة حتى من أرضك، فإذا أردت البناء أو الزراعة فعليك أن تأخذ إجازة لذلك، فكيف لو كانت الأرض للدولة؟!.

وكان من نتائج عدم تطبيق حكم الله سبحانه فى الأرض، أن أصبح الملايين من المسلمين بلا مسكن وبلا طعام.

وأصبحت مساحات شاسعة من البلاد الإسلام بائرة.

وقال الإسلام: إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ (). أمّا فى البلاد الإسلامية فلاتجد ذلك، بل نجد اليهودى مفضلاً على المسلم، كونه يحمل جنسية ذلك البلد، أما المسلم، فيُعتبر أجنبياً، فلا حقَّ له بالحياة.

وقال الإسلام: يَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَالأَغْلاَلَ الَّتِى كَانَتْ عَلَيْهِمْ (). أما فى العالم الإسلامى، فقد وضعوا قوانين لم ينزل الله بها من سلطان، وأصبحت هذه القوانين هى المطبّقة فى البلاد الإسلامية، وهى التى تقيّد حرية الإنسان، وتمنعه من ممارسة أنشطته الاقتصادية والثقافية والسياسية.

وقال الإسلام: (المسلمون كالجسد الواحد)(). أمّا واقع المسلمين، فمختلف تماماً، فقد أصبحوا أجساداً متفرقة وعناصر متشتتة، فهذا من عنصر فارسى يمجد القومية الفارسية، وذاك كردى يمجّد القومية الكردية. وذاك من عنصر عربى يمجِّد القومية العربية.

وقال الإسلام: (ما آمن بى من بات شبعاناً وجاره جائع)(). أمّا فى البلاد الإسلامية، فلا تجد سوى الجياع، وهم يعيشون جنباً إلى جنب مع المتخمين.

وقال الإسلام: جَاهِدُوا بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ (). أمّا الواقع، فلا تجد من يجاهد حتى بلسانه، وكان من نتائج ذلك الذل والهوان.

وقال الإسلام: وَأَقِيمُوا الصَّلاَةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ (). و فَأَنَّ للهِ

خُمُسَهُ (). أما الواقع، فيشهد أن هناك أعداداً لا يصلّون ولايزّكون ولا يُخمّسون؟

وقال الإسلام: وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَاناً (). أترى هل يُحسن الأبناء بحق آبائهم، وكم هم عدد الذين يبرّون آباءهم فى هذا الزمن الذى انعدمت فيه أخلاق الأسرة؟.

وقال الإسلام: وَأَنْكِحُوا الأَيَامَى مِنْكُمْ ()، فهل نجد ذلك فى مجتمعاتنا الإسلامية أم نجد العكس تماماً، نجد العزوف عن الزواج؛ لأسباب تافهة وأعذار واهية، ونجد انصراف الشباب والشابّات فى اللهو والمجون، ولا يفكرون بالزواج صارفين طاقاتهم الجنسية فى أمور محرمة.

وقال الإسلام: وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ مَنَعَ مَسَاجِدَ اللهِ أَنْ يُذْكَرَ فِيهَا اسْمُهُ (). أمَّا الواقع، فإنَّ الملايين من المسلمين حُرموا من الحج بسبب القوانين الجائرة.

وقال الإسلام: وَلْتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ ()، وترى كثيرين يتركون الأمر بالمعروف ولا ينهون عن المنكر، وربّما يأمرون بالمنكر وينهون عن المعروف، وهم فى عصرنا كثيرون.

وقال الإسلام: (على الوالد أن يحسن اسم ولده، ويحسن تربيته، ويزوّجه إذا بلغ)()، وترى الأسماء القبيحة حين تسمية الأولاد، وترى الإهمال فى تربيتهم وعدم رعايتهم عندما يكبرون، وعدم السعى لتزويجهم بأعذار واهية.

وقال الإسلام: (النظافة من الإيمان)()، وترى الأوساخ تنتشر فى الشوارع، والأزقّة، والبيوت، وسائر الأماكن الأخرى.

وقال الإسلام: وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ ()، وترى المسلمين يفتقرون إلى تصنيع أبسط أنواع الأسلحة.

وقال الإسلام: وَلَا تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ (). أما فى الواقع، فتجد الإذاعات، والصحف، وقد مُلئت بالمهاترات والمنازعات، فالبعض يتهم البعض الآخر بأسوأ التُّهم.

وقال الإسلام: اجْتَنِبُوا كَثِيراً مِنَ الظَّنِّ (). أما فى الواقع، فلاتجد سوى العمل بالظن السلبى، وهو متفشٍ فى أغلب الناس.

وقال الإسلام: وَلَا تَقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ (). أما فى الواقع، فتجد ظاهرة الانتحار وقد انتشرت فى بلاد الإسلام.

وقال الإسلام: مَنْ قَتَلَ نَفْساً بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِى الأرض فَكَأَنَّمَا قَتَلَ النَّاسَ جَمِيعاً (). أما فى الواقع، فتجد الإبادة الجماعية والقتل على العقيدة، وسياسة التصفيات الجسدية للمواطنين؛ لمخالفتهم للسلطات الحاكمة.

وقال الإسلام: وَلَا تَجَسَّسُوا وَلَا يَغْتَبْ بَعْضُكُمْ بَعْضاً (). وفى الواقع ترى المسلم، يتجسّس على أخيه المسلم، وترى ظاهرة الغيبة متفشية فى كل مكان، وقد قال الله سبحانه عنها: أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَنْ يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتاً فَكَرِهْتُمُوهُ ().

وقال الإسلام: (إن الله جميل يحب الجمال)(). فالجمال هو جمال الطبيعة، وهو الجمال الحقيقى الذى أنعم الله سبحانه به على البشرية، لكن فى الواقع أن البشرية، تلهث خلف الجمال المُزيف الذى لا قيمة له.

وقال الإسلام: (المسلمون إخوة يدٌ واحدة على من سواهم)(). أما الواقع، فنقيض ذلك، فالمسلمون أياد متفرِّقة بعضها ضد بعض.

وقال الإسلام: (الإسلام يعلو ولا يُعلى عليه)(). بينما واقع المسلمين، يشهد عكس ذلك، فالمسلمون فى تراجع مُستمر، وتدهور فى المستوى الحضارى.

وقال الإسلام: وَأَمْرُهُمْ شُورَى بَيْنَهُمْ (). أما فى الواقع، فأمرهم يسوده الاستبداد والديكتاتورية.

وقال الإسلام: (طلب العلم فريضةٌ على كل مسلم ومسلمة)(). أما فى الواقع، فنسبة كبيرة من المسلمين يعيشون حياة الأمية المطبقة، كما وأنَّ الجهل والتخلف هما صفتا العالم الإسلامى.

وقال الإسلام: (أشبهكم بى أحسنكم خلقاً)(). أما الواقع، فيشهد على سوء الخلق، وتدنّى مستوى الثقافة الأخلاقية عند الكثير من المسلمين.

وقال الإسلام: تَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَى وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ ()، لكن فى الواقع، تجد عكس ذلك، تجد التعاون على الإثم والعدوان يسود العلاقات بين الدول الإسلامية بدلاً من التعاون على البرّ والتقوى.

وهكذا، فإن الإسلام قال الكثير الكثير، لكن المسلمين عملوا بالقليل القليل. أمّا ما وافق عملهم لقول الإسلام فهو أشدُّ سوءاً مما لم يوافقه!، فقد قال الإسلام: وَقَالَ الرَّسُولُ يَا رَبِّ إِنَّ قَوْمِى اتَّخَذُوا هَذَا الْقُرْآنَ مَهْجُوراً () فقد عمل المسلمون بذلك.

وهى الآية التى وجدنا لها أكثر من مصداق فى الواقع المعاش. فقد هجر المسلمون القرآن، ولم يرعوا له ذماماً، ولم يعطوه أية قيمة، فأصبحوا لعنةً على التاريخ، وباتوا نهباً لليهود والحكام المأجورين، ففى ذات يوم رأى أمير المؤمنين عليه السلام جنازة وشاهد إلى جانب الجنازة وخلفها رجلين يضحكان، فقال عليه السلام: (كأن الموت فيها على غيرنا كُتب)().

أجل.. كأننا لسنا المستهدفين.. وكأن الإسلام نزل على قومٍ غيرنا.. وكأننا لسنا بمسلمين. وكأننا لم نرَ من الإسلام خيراً فتركناه وراء ظهورنا. وكأن الخير قد جاءنا من غيره فاتّخذناه سبيلاً.

لقد سلب منّا الكفار حضارتنا الإسلامية، وكادوا يسلبوننا الحياة أيضاً، لكننا مع ذلك نتبعهم فى كل شىء. فهل وجدت ضحية تتبع الجلاد باختيارها إلى الذبح أكثر من المسلمين؟!، هذا هو حال المسلمين اليوم().

ألم يقل الشاعر (المسلم) متنكراً لإسلامه:

إنَّنا معشر الشبيبة قومٌ

قد رفضنا الشريعة الأحمدية

ألم يقل شاعر ثانٍ:

سلامٌ على كفر يوحِّد بيننا

وأهلاً وسهلاً بعده بجهنم

وقال شاعر ثالث:

آمنت بالبعث() ربَّاً لا شريك له

وبالميشيل نبيَّاً ما لهُ ثان

وفى (سبيل)() كتابى جلَّ منزله ضربت بالذكر() عمداً عرض حيطان

فإننا أمة لا ينفعنا سوى الإسلام، ولا نجاة لنا إلّا بالإسلام، فلابُدَّ من إعادة الإسلام إلى الحياة.

لابُدَّ من إنقاذ الإسلام من براثن المستعمرين ودسائسهم.

لابُدّ من تطبيق الإسلام بصورة عملية فى كل مرفقٍ من مرافق حياتنا.

وإنّ أى تأخير فى ذلك إنّما هو ضياعٌ لحقوقنا..

وإن أى تبرير فهو تعزيز لسقوطنا مهما كانت تبريراتنا: وَمَا يَخْدَعُونَ إِلاَّ أَنْفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ ().

الاستعمار والنزاعات

طلبت بريطانيا من الحكومة العراقية إبَّان العهد الملكى أنْ تسنَّ قانوناً جديداً، يدعم المصالح البريطانية فى العراق، لكن الحكومة العراقية امتنعت عن تلبية الطلب خوفاً من رد فعل الشعب.

وذات يوم وقع نزاعٌ فى أكثر شوارع بغداد ازدحاماً بالمارة والسيارات وهو شارع الرشيد، وكان وراء هذا النزاع أسباب طائفية، حيث جُرح عدد كبير من المتشاجرين من السنّة والشيعة، وكان كل طرف يتّهم الطرف الآخر بأنَّه تعرَّض لمقدساته بالإهانة والسب، وكادت هذه الفتنة الطائفية أن تنتشر فى أرجاء العراق، لولا قيام السلطات بالإسراع لإخمادها، وإلقاء القبض على المسببين لها.

وعندما تم استجواب المعتقلين، أبدوا عدم علمهم بأسباب النزاع، وقالوا بأجمعهم: إنهم لا يعرفون خلفية النزاع إلّا أنهم مرّوا بالمكان فوجدوا نزاعاً بين السنّة والشيعة فلم يتمالكوا أنفسهم، حيث وجدوا أنفسهم مشتركين فى النزاع دون إرادتهم.

وبعد التحقيق الطويل، توصلت السلطات أن السبب المباشر للنزاع هو شخصان أحدهما سبّ أمير المؤمنين على بن أبى طالب عليه السلام والثانى سبّ عمر بن الخطاب، وبعد التحقيق مع هذين الشخصين تبين للشرطة أنّهما مسيحيان. وأنهما ليسا من أنصار الإمام على عليه السلام ولا من أنصار عمر. لذا أطلقت الحكومة جميع المعتقلين الأبرياء ممن ألقت القبض عليهم والذين أصبحوا ضحية لكيد هذين المسيحيين.

وفى نهاية المطاف تبين للناس أن السفارة البريطانية هى وراء هذين المسيحيين، وأن النزاع هو أمرٌ مفتعل قامت به السفارة البريطانية؛

انتقاماً من الحكومة الملكية؛ لرفضها الطلب البريطانى().

الأحزاب الكافرة والتفرقة

روى لى أحد علماء الأقطار الإسلامية، هناك فى بلدته حزبان متنافسان يكنَّان لبعضهما العداء. وكان ابن أخى والقول للعالم منتمياً لأحد الحزبين، وكانت له علاقة خاصة برئيس الحزب الذى كان على مستوىً كبيرٍ من الوطنية، وعلى درجة من العداء للحزب الآخر.

قال العالم: وتبين لى من حديث ابن أخى: أن زعيم الحزب عميل للاستعمار، فذكرت ذلك لابن أخى، لكنَّه لم يقتنع بقولى، فقد كان قليل التجربة، وعديم النضج، وهو أقرب إلى المراهقة من الرُشد.

وعندما قلتُ له ذلك تفجّر غيظاً من كلامى، ودخل معى فى نقاش تافه، تمليه عليه مداركه القليلة، ومعلوماته الضحلة.

قال هذا العالم: ذات مرة جاء الشاب مرعوباً إلى دارنا وطلب منى إخفاءه عن الأنظار، وبعد أن أخفيناه وهدّأنا من روعه قال: إن الحكومة اقتحمت مقرّنا، وطاردت أعضاء الحزب، فهربنا بأنفسنا، وإذا بنا نشاهد فى زحمة المطاردة أن رئيس الحزب يلتجئ إلى السفارة البريطانية، فعلمنا حينذاك أن الرجل كما قلت أيها العم: إنه عميل بريطانى.

أقول: هكذا تقوم السفارات بإيجاد الأحزاب الكافرة فى البلاد الإسلامية، وتقوم هذه الأحزاب بدور خبيث فى تمزيق المجتمع الإسلامى، ولكى لا تنكشف ارتباطاتهم بالإنجليز، حاولوا أن يصبغوا أنفسهم بصبغة وطنية.

فالواجب علينا أن نتجنب كلَّ أشكال التفرقة مهما كانت المبررات ونحافظ على وحدة الصف مهما كان الثمن غالياً.

فرعون وسياسة فرِّقْ تَسُدْ

يقول الله سبحانه وتعالى: إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلاَ فِى الأرض وَجَعَلَ أَهْلَهَا شِيَعاً يَسْتَضْعِفُ طَائِفَةً مِنْهُمْ ()، وفرعون() حسب التاريخ الذى بأيدينا هو أول من باشر بتطبيق تلك القاعدة الاستعمارية (فرِّق تسد)، وإن كان الإنسان بطبيعته، يميل إلى هذه القاعدة فى غياب الدين والضمير والخوف من العقاب الأخروى.

ولا يخفى أن مكروب الفُرقة سريع الانتشار وسريع النفوذ إلى النفس البشرية. إذ كل إنسان يُعِدُّ نفسه أفضل وأحسن من غيره، وكل شعب يرى نفسه أفضل من الشعب الآخر.

وبعض الناس يرون أن الشخص الرفيع المستوى إنما تسنّم هذه المكانة الرفيعة بالاحتيال وبالطرق الملتوية، وقليلٌ من يعقل الأمور، وقليلٌ من يقدّر الظروف حقّ قدرها، وقليلٌ من يعلم أنّ الفرقة تعود بالسوء على المفرّق نفسه، فهو أول ضحايا الفُرقة.

على عكس التوحيد، فإنه عمل صعبٌ وشاق، بل إن الأصعب أن يلتزم الإنسان موقف الحياد بين الأطراف المتنازعة.

من تجاربى الشخصية

وقد قمت بنفسى بتجربة ذلك فى حياتى؛ ففى جميع الهيئات والتجمعات التى شاركت فيها، كنت أرى الاتجاهات المختلفة فى هذه الهيئات، وكل اتجاه ينسب لنفسه الحق، وكان هؤلاء يأتون إلىّ ويطلبون منى فى الخفاء مقاطعة الاتجاه الآخر أو عدم الاعتناء به.

وكثيراً ما كان بعض أولئك يدعوننى لأن أقف إلى جانبه فى التظاهر ضد التيار الآخر، أو طرد ممثلى ذلك التيار من الهيئة أو الجمعية، وإذا تباطأت فى الامتثال لأمانيهم، كانوا يظهرون البرود نحوى وأحياناً كان بعضهم يهاجمنى بل ويقف منى فى بعض الأحايين موقف الخصم.

هكذا كانت حالتى وموقفى صعباً للغاية. فإذا ذهبت إلى بيت أحد الأطراف، كان الطرف الآخر، ينزعج منى، وإذا أعنت أحدهم فى مشروعه، أو رحّبت به فى مجلس أو ندوة كنتُ ألاحظ علامات الامتعاض على وجوههم.

وهكذا كان الأمر، إذا ما أقدمت على تعيين أحد الإخوة فى إحدى المؤسسات وكان هذا الآخر ينتمى إلى طرف، كان أفراد الطرف الآخر يشتدُّ امتعاضهم منى. كذلك إذا ما أبديتُ تعاطفاً نحو مدرسة دينية تابعة لطرف من الأطراف، حيث كانت مدارس علمية كثيرة فى كربلاء يومذاك أو إذا لم أكن أبدى التعاطف الزائد لمدرسة تابعة إلى جهة أخرى.

وفى بعض الأحيان، كان يقع نزاع بين طالبين، فكان كل واحد منهما، يطلب منى أن أقطع راتب مناوئه، وإذا لم أفعل أبدى فتوراً نحوى. لذا كنت دائماً أقف موقف المسالم، وأتبنى موقف الحياد إن لم أكن أستطيع الإصلاح، كل ذلك مع العلم أنى لم أكن سوى فردٍ لا يملك سلطة أو مالاً أو مقاماً.

الأصفهانى وثقافة الوحدة

نقل لى أحد الثقات من وكلاء المرحوم الإمام السيد أبى الحسن الأصفهانى رحمة الله عليه، أنه كان وكيلاً عنه فى إحدى المُدن العراقية، وذات يوم جاءه تاجر وأعطاه ثلاثمائة دينار، وقال: ادفع هذا إلى السيد إذا ذهبت إلى النجف وائتنى بالوصل، وكان ذلك فى شهر ذى الحجة الحرام.

قال الوكيل: وبعد أيام صادف أن شاهدتُ التاجر فى مكان ما وإذا به يُسلِّم علىّ، ويقول لى: إنى أشكرك على إسراعك فى إيصال الحقوق الشرعية للسيد، ثم أخرج من جيبه الوصل وكُتب عليه بخط السيد وتوقيعه: إن المال قد وصل بيده عن طريق وكيله فلان.

قلت للتاجر: وكيف حصلت على هذا الوصل؟

قال: كانت لنا جنازة فذهبت إلى النجف الأشرف لدفنها ولقيت السيد فى الطريق وأخذتُ منه الوصل.

قال الوكيل: فقلتُ للتاجر: وهل لك أن تعطينى الوصل؟ قال: لا بأس وأعطانى إياه.

وقد امتلكتنى الدهشة: كيف أن السيد أعطاه الوصل لمبلغ لم يصل إليه، وبعد أيام وفى شهر صفر الخير سافرت إلى النجف الأشرف وتشرفت بزيارة السيد فى بيته، وبعد أن تفرّق الناس من حوله، أخرجتُ من جيبى الوصل وأعطيته للسيد وقلت له: هل هذا خطكم وتوقيعكم؟

قال السيد: نعم.

قلت: ومن أعطاكم المبلغ؟

قال السيد: لم يصلنى المبلغ.

قلت: فكيف كتبتم الوصل؟

قال السيد: ليس هناك فرق بين يدك ويدى.

ثم أضاف السيد: إن التاجر جاء عندى وقال: هل وصلك المال؟

قلت له: أى مال؟

قال: المال الذين أرسلته بيد الوكيل الفلانى، وكان قدره كذا.

قلتُ له: وهل تُريد الوصل؟

قال التاجر: نعم، ولذا كتبت له هذا الوصل.

قال الوكيل: فقلت للسيد: لماذا لم تقل للتاجر إن المبلغ لم يصلنى بعد؟.

قال السيد: خشيت أن تضعف ثقته بك، ومن جراء ذلك تضعف ثقته بكل عالم. ثم قال السيد: قلتُ فى نفسى: إنه إما أن تعطينى المال، فقد أديت ما عليك. وإذا لم تعطنى فإنك بحاجة إلى المبلغ على ذلك التقدير ولا فرق بين استلام المبلغ بنفسى وأدفعه إلى المحتاجين أو تستلمه أنت وتسدّ به حاجتك وحاجة غيرك.

قال الوكيل: فتعجبتُ من تـدبير السـيد، وثقافته الدينيـة العالية، وحكمته، وعمق نظره، وبُعد رأيه، ثم أخرجت المال وقدمته إليه، فأخذه السـيد وأعطـانى نصـفه، وكنتُ محتاجـاً إليه فعلاً وكلّمـا ألححت عليه بعـدم أخـذ النصـف، لم يـوافقنى قائلاً: لابـدّ وأن تكون لك مصاريف ونفقات عائلية أو اجتماعية، والأفضل أن تنفقها فى مواردها.

وهكذا كان السيد، يحفظ كرامة الدين، وكرامة وكلائه، ويُراعى وحدة الصف وتماسك المجتمع.

العمل من أجل الوحدة

بعض الناس وهم البسـطاء يظنون أن توحيد الصف ولو على مسـتوى محدود، يمكن تحققه بمجرد القيام ببعض الأعمال اليسيرة، وهذا وهمٌ وخطأٌ محض وناتج عن فقدان معرفة الحياة والبصيرة بأحوال الآخرين وبقضاياهم الاجتماعية.

إنّ توحيـد الصف ليس مُعلقاً فى الفراغ بل هو كسائر الأمور الاجتماعيـة، يحتاج إلى مسائل كثيرة، منها: التدبير والدعاية والخلق الرفيع وإنفاق الأموال والرعاية والحزم، إلى غير ذلك من المسائل.

فلننظر إلى رسول الله محمـد صـلى الله عليه و اله، كيف أوجـد وحـدة المسـلمين بالأخلاـق والمـال والتبليغ والمعاهـدات مع الأعـداء، وإعطاء المؤلفة قلوبهم، والإصلاح بين المتنازعين، ورعاية الأمور والأحداث بدقّة وحزم.

قال أحـد العلماء: لقد اسـتفدت شخصـياً من هذه الخطوة قدر المسـتطاع فى مشاريع مختلفة، ونجحتُ إلى حد بعيد فى توحيد الصف، فكنت أبذل المال للصديق والمناوىء، وأبذل الهدايا وأضيّف خصومى، وأدفع بالتى هى أحسن، وأذهب لزيارة من لا يستحق، وكنت أعطى بعض أعضاء جهاز الأمن الراتب الشهرى دفعاً لضررهم.

ويُضـيف هـذا العـالم: إننى لا أذكر ذلك لـداعى الفضل والمفخرة، بل أريـد أن أشـير إلى أنَّ تجاربى الشخصـية قادتنى إلى الحقيقة التالية: أنَّ العمل الوحدوى ليس معلَّقاً فى الفراغ.

ويواصل هذا العالم: ذات مرة اطّلع أحد الأصدقاء أنى أعطيت مالاً لأحد، وهو يواجهنى بعداء شديد فتعجب، وقال لى باسـتغراب: بأى قانون تعطى المال لهذا؟!.

قلتُ متبسماً: بقانون كُل والعن، ثم نقلتُ له القصة التالية:

كُلْ والعنْ

قـال لى أحـد الخطبـاء: اسـتدعتنى دائرة الأـمن فى إحـدى البلاد، وقـدَّمت لى مبلغاً من المال، ثم قال رئيس دائرة الأمن: وقّع أنَّ المال وصل إليك.

قلتُ: لا أوقّع. قال: لا بأس بـذلك، ولكن امـدح رئيس الدولـة من على أعواد المنبر. قلتُ: لا أمـدح أحداً. قال: أشـر إلى إنجازاته ولو بدون ذكر اسمه. قلتُ: لا أفعل. قال: إذاً فأكرمنا بسكوتك، ولا تذكره بشرّ. قلت: لا أغيِّر طريقتى.

قـال رئيس دائرة الأـمن: إذاً، بـأى عنوان تأخـذ المـال؟ قلت: بعنوان «كُـلْ والعن» آكـل ماله وألعنه. قال الخطيب: فقهقه الرئيس، وقال: لابأس.

ثم أردف العالم لمن اعترض عليه: إن الإمام على عليه السـلام كان يعطى المال للخوارج متأسـياً برسول الله صـلى الله عليه و اله، حيث كـان يعطى المـال للمؤلفـة قلوبهم متخلقـاً بأخلاق الله سـبحانه وتعالى، حيث ورد فى الـدعاء: (عادتك الإحسان إلى المسيئين)()، ثم قلتُ: ألا ترى، إنّ فلاناً يخفف من عدائه إذا أخذ منى المال، إنه كان يقف بوجه مشاريعى لكنه بعد أخذه المال أصبحت مواجهته لى بنسبة ۵۰٪ بعد أن كانت ۱۰۰٪، وفى هذا ربحٌ كبير.

قال العالم: وهكذا، فقد خفّف الرجل من موقفه ضد مؤسساتى وأراحنى من مشكلات جمّة.

إنّ الوضع المتردى للمسلمين محزنٌ جداً، فأعداء الإسلام مسلطون، وهم يشنّون الحروب والانقلابات فى كل مكان.

كما وأن إمكانات المسلمين على كثرتها، تذهب هدراً، والانشقاق والنزاع قائم فى كل مكان على قدم وساق، والفقر والمرض والجهل والفوضى، تغزو قطاعات كبيرة من المجتمع الإسلامى، كما وأنّ المنكرات متفشية فى كل مكانٍ بأبشع الصور، والقوانين أصبحت غير إسلامية، أمّا المصلحون فقد كُمّت أفواههم وكُبّلت أيديهم (عالمها ملجم، وجاهلها مكرّم) على قول المثل.

أمّا الجهة الدينية المتمثلة بعلماء الدين والمتدينين، فهم مهانون ومطاردون إلى حد كبير، بينما الأجواء أصبحت ملائمة ومناسبة لأعداء الإسلام من الملحدين والصليبيين والصهاينة، فالإصلاح وتوحيد الكلمة والتغلب على السلبيات وزرع الأمل فى النفوس وإيجاد الوعى بحاجة إلى جهود وجهاد طويل.

وإنّى لأظنُّ أن الأولويات التى نحتاجها فى هذا الصدد هو الإعلام والتثقيف، فمن أجل التخفيف من غلواء العداء السافر، لابدّ من توزيع مليار كتاب فى العالم بمختلف اللغات ولمختلف المستويات. فى هذه الكتب لابدّ من تبيان ماهية الإسلام، وماهيّة أعداء الإسلام.

دور المؤسسات فى الحياة

كما ولابُدّ من تأسيس مليون مؤسسة دينية كالمساجد والحسينيات والمستشفيات والمدارس والمكتبات والجرائد والنوادى، ويجب إقامة ما لا يقل عن مليون منظمة، ينتظم إليها المسلمون، وفيها يتمّ استثمار طاقات الأفراد، وتقوم هذه المنظمات بأعمال سياسية وثقافية واجتماعية.

فلابُد من إيجاد منظمات تخصصية للقيام بأعمال محددة.

مثلاً: منظمة لتشغيل العاطلين عن العمل.. ومنظمة لتزويج العزّاب.

ومنظمة للتنظيف.. ومنظمة لتجميل المدينة.

ومنظمة لجمع المال.. ومنظمة للإصلاح الاجتماعى.

ومنظمة لتفعيل الاقتصاد وتصنيع البلاد.

ومنظمة لمكافحة المنكرات.. ومنظمة لتربية الكوادر.

ومنظمة للتفكير والإعداد للمستقبل.

وكان المسلمون فى السابق، يعملون على شكل منظمات، فالفرد المسلم كان فى تعاونه ومؤازرته للآخرين منظمة بحد ذاته، ويومذاك تقدم المسلمون أشواطاً كبيرة إلى الأمام.

وتنبع أهمية تشكيل هذه المنظمات هو أننا بحاجة إلى تجذير تكويننا الحضارى على أرض صلبة، والبناء لا يقوم إلّا على أساس متين، كما وأنّ الشجرة لا تقوم إلّا بجذورها والحركة لا تكون إلّا بخلفية متينة كذلك؛ فإنّ الله سبحانه وتعالى قد أبى أن تجرى الأمور إلّا بأسبابها().

وما ذكرناه قليل بالنسبة إلى عوامل الهدم التى يمارسها الغرب() والشرق ضد المسلمين. فمثلاً فى سنة واحدة طبع الاتحاد السوفياتى خمسين مليون كتاب فى أربعمائة وثمانين لغةً عن حياة لينين().

أما (ماوتسى تونغ)()، الرئيس الصينى السابق، فقد صنعوا له من التماثيل بعدد سكان الصين كما ذكرت ذلك مجلة الحوادث اللبنانية.

فهل يمكن أن يتم النهوض فى العالم الإسلامى بدون وجود تشكيلات ومنظمات وكتب ومدارس وما أشبه؟!

نموذج الوحدة

ضرب الرسول الأكرم صلى الله عليه و اله أروع الأمثلة فى الوحدة، فمن أراد الوحدة الإسلامية فليستعن بتراث الرسول الأكرم صلى الله عليه و اله فى هذا المضمار، فإنه صلى الله عليه و اله استطاع أن يجمع الناس بكل الوسائل الممكنة، بالمال والأخلاق والمعاهدات. فتارة بالترهيب والتحذير، وطوراً بغرس روح الفضائل فى أصحابه.

وكان رسول الله صلى الله عليه و اله قد أعطى كل تجمع دوراً سياسياً واجتماعياً، مع علمه الكامل بما تضمره نفوسهم ودخائل أمورهم، وبذلك استطاع خاتم الأنبياء والمرسلين صلى الله عليه و اله إدارة الأمور على أحسن وجه، ولمَّ الشعث مهما كلَّفه ذلك من الثمن.

وقد يتساءل من لا اطلاع له ويقول: لماذا لم يفعل الإمام أمير المؤمنين عليه السلام ذلك وهو الذى عاصر الرسول الأعظم صلى الله عليه و اله وكان أقرب الناس إليه وهو تلميذه، وقد رأى كيف عامل الرسول صلى الله عليه و اله أعداءه، أما كان الأفضل لأمير المؤمنين عليه السلام أن ينتهج النهج نفسه، حقناً لدماء المسلمين، وحفاظاً على وحدتهم؟.

الجواب: إن عمل الإمام عليه السلام كان امتداداً لعمل الرسول صلى الله عليه و اله، فلو كان الرسول فى مكان أمير المؤمنين لفعل الفعل نفسه.

لقد كان عملُ الرسول الأكرم صلى الله عليه و اله هو تأسيس الدولة والمجتمع الإسلاميين، والتأسيس بحاجة إلى جمع الأفراد، فالكثرة العددية ذات أهمية بمرحلة التكوين، فقد كان رسول الله صلى الله عليه و اله يكتفى بشهادة أن لا إله إلّا الله وأن محمداً رسول الله، حتى لو كان المتشهد متناقضاً مع نفسه. وكان رسول الله صلى الله عليه و اله يغض طرفه عن أخطاء وتجاوزات أصحابه، فلو لم يفعل ذلك لكان أكثر الناس فى صف الكافرين، ولتكاتفت أيدى الأعداء ضد الإسلام، وقضت على الحركة الوليدة وهى فى مهدها.

أمّا الإمام أمير المؤمنين عليه السلام فقد قام بثورة تصحيحية إن صح التعبير لتصفية ما علق بالإسلام خلال عقدين من الزمان. فالإسلام قد ترسَّخ فى نفوس الذين أحبوا الإسلام، والذين لايريدون الإسلام كان عليهم أن يحددوا موقفهم، فإذا كانوا معادين للإسلام، فالمواجهة هى الأسلوب الأمثل معهم، أما إذا لم يشهروا العداء ضد الإسلام، فالإسلام يحترمهم، ويحترم حقوقهم.

فكانت حركة أمير المؤمنين عليه السلام حركة تصحيحية لإزالة الأدران عن الجسد الإسلامى، ولو لم يفعل ذلك لبقى الجوهر والحصى مخلوطاً، ولفقد المسلمون الرؤية الصحيحة للإسلام.

فلو لم يفعل أمير المؤمنين عليه السلام ما فعله، لكنت قد رأيت المؤمن والمنافق، وأرباب الدنيا وأرباب الدين، وعباد الله وعباد الشهوات كلَّهم فى صفٍ واحدٍ، ولكان معاوية() بن أبى سفيان..

والمغيرة بن شعبة() قدوات للمسلمين.

ولما كان هناك فرقٌ بين أبى ذر الغفارى()..

وعمرو بن العاص()..

فقد استطاع الإمام أمير المؤمنين عليه السلام وخلال السنوات القليلة من حكومته أن يضع فاصلاً بين الناس الخيرين والناس الأشرار، وأن يفصل بين من على شاكلة أبى ذر الغفارى ? ومن على شاكلة عمرو بن العاص.

أما فى زمن رسول الله صلى الله عليه و اله فقد كان إعلاء كلمة الإسلام هو الهدف الأسمى فى قِبال كلمة الوثنيين التى كان لابدَّ من إسقاطها وزوالها، وفعلاً لم يذهب رسول الله صلى الله عليه و اله إلى بارئه حتى أزال كابوس الوثنية، وأقام صرح التوحيد، وفى زمن أمير المؤمنين عليه السلام لم يكن هناك خوف على كلمة التوحيد، ولم يكن هناك خوف على الموحّدين، حيث ترسخت جذور التوحيد فى نفوس المسلمين.

وفى عهد الإمام أمير المؤمنين عليه السلام حان الوقت الذى يجب فيه تمييز الشرير عن الخيِّر.

إن إعلان رسول الله صلى الله عليه و اله الحرب ضد أبى سفيان()..

وعمرو بن العاص..

وخالد بن الوليد()..

كان سيؤدى حتماً إلى تضعضع المسلمين ممّا يُنتج تقوية جبهة الوثنيين.

أمّا فى عهد أمير المؤمنين عليه السلام فلم يكن هناك خوف من نتائج هذا الصراع، فكان على الإمام أن يقف ليكشف زيف المزيفين

حتى يعرف المسلمون الدين الصحيح ويميزونه عن الدين المزيف.

وما معاوية بأدهى منى

أما قصة دهاء معاوية، ونعت أمير المؤمنين الإمام على عليه السلام بالضعف السياسى فهذا كلام الأعداء وكلام من لا يعرف علياً عليه السلام، ولا يدرك حقائق الأمور، فعلىٌّ عليه السلام كان رجلًا سياسياً من طراز الإسلام()، أمّا معاوية فقد كان رجلًا سياسياً من طراز الدنيا() وهنا تكمن الفروقات فى سياسة على عليه السلام وسياسة معاوية.

لقد كان أمير المؤمنين عليه السلام يتحرك بأفق أوسع من أفق معاوية الذى كان لا همّ له سوى أن يعيش لأيام معدودات فى بحبوحة من العيش الرغيد.

ولذا وجدنا علياً عليه السلام يبقى خالداً فى النفوس بينما ذهب معاوية إلى سلّة المهملات، تلاحقه اللعنة الأبدية حتى من عشيرته وقبيلته().

فهل هذه هى السياسة؟!

اللعنة الأبدية التى تلاحقه مدى الدهر، أم التفاخر به على كل لسان؟

لقد تمكن علىّ عليه السلام من امتلاك القلوب، ولم يكن هناك أذكى منه فى امتلاك القلوب إلّا رسول الله صلى الله عليه و اله، وبعد شهادته جاء أبناؤه وأبناء أبنائه، وشكلوا الحكومات تلو الحكومات فى المغرب ومصر والكوفة وطبرستان.

لقد استطاع معاوية أن يعبّئ أهل الشام؛ ليسبُّوا علياً عليه السلام، فسبُّوه طيلة حكمه()..

وحكم من جاء من بعده() حتى عهد عمر بن عبد العزيز()، لكن ماذا حدث بعد ذلك؟ هل نقص شىءٌ من على عليه السلام؟، لقد ارتفع سبّ علىّ عليه السلام وحلّ محله الثناء والتبجيل، والملاحم الشعرية التى قيلت فيه، لكن ماذا كان مصير معاوية؟. لقد تحوّل إلى مسبَّة حتى يومنا هذا().

على أىّ حال: فإنّ الإمام عليه السلام نفّذ دوره الذى أراده له الله سبحانه أن ينّفذه، واستطاع أن يفصل بين الخير والشر، بين النور والظلام، بين الصدق والكذب، وبين العدل والظلم، بينما معاوية لم يستطع أن يحقق حلم أبى سفيان بتأسيس الدولة الأموية القوية التى تستمر إلى آخر الدهر().

استطاع معاوية بالدهاء أن يحقق بعض المكتسبات الدنيوية المادية إلّا أنّه خسر كلَّ شىء، وأصبح لعنة إلى آخر الدهر.

فإذا كان مقياس النجاح والفشل هو بقاء الذكر الحميد فإنّ معاوية قد خسر معركته مع أمير المؤمنين عليه السلام الذى لازال ذكره يعلو فوق الأسماء، بل إنه خسر معركة الحياة.

أما عن شهادة الإمام أمير المؤمنين عليه السلام، فقد كانت شهادته تتمة للأدوار التى قام بها فى حياته، فقد كشفت شهادته زيف الدعايات الأموية المضللة، كما وأنّ الموجة العاطفية التى أوجدتها شهادته، كان لها فاعلية فى الارتباط بالإمامة؛ حيث إنّ القائد بحاجة إلى العقل والعاطفة، والإمام عليه السلام بشهادته كوَّن أعظم عاطفة حول نفسه.

أمّا ما عُرف عن الإمام عليه السلام بشكواه من أهل العراق ومن أصحابه() فهو ليس دليلًا على ضعف سياسة الإمام، بل جاءت هذه الشكوى بمثابة الإدانة لأهل الشر، وهو جزء من سياسة الإمام أمير المؤمنين عليه السلام فى الكشف عن النماذج البشرية الخيِّرة والشريرة، فقد استخدم أمير المؤمنين عليه السلام كلا الأسلوبين: الكلام والعمل؛ للكشف عن المتخاذلين عن أداء التكليف الشرعى مع الإمام عليه السلام.

فالكلام يُفسر بمرماه لا بمعناه، ولذا لا يُفسر قوله تعالى: وَمَنْ كَانَ فِى هَـٰذِهِ أَعْمَى فَهُوَ فِى الآخِرَةِ أَعْمَى وَأَضَلُّ سَبِيلًا ()، بالعمى الظاهرى، وما قلناه ليس إلّا ضمن المقارنات الزمنية، أما نحن فنعتقد أن علياً عليه السلام كانت له جهة ملكوتية، فلا يعمل عملاً، ولا

يتكلم بكلمة إلاّ عن إرادة الله سبحانه:

عِبَادٌ مُكْرَمُونَ ? لاَ يَسْبِقُونَهُ بِالْقَوْلِ وَهُمْ بِأَمْرِهِ يَعْمَلُونَ ().

ثمّ إنَّ حياة الإمام أمير المؤمنين عليه السلام مقسمة إلى قسمين:

القسم الأول: حياته فى عهد رسول الله صلى الله عليه و اله، وفى هذه المرحلة قام الإمام عليه السلام بمساعدة ابن عمه الرسول الأكرم صلى الله عليه و اله فى هدم بنيان الكفر، حتى إنَّ أحد علماء السنة قال شعراً:

ألا إنما الإسلام لو لا حسامه

كعفطة عنز أو قلامة ظافر

أمّا أولئك الذى يعتّمون على دور الإمام عليه السلام فى غزوات رسول الله صلى الله عليه و اله فهم جاهلون لا يعرفون عن الإسلام شيئاً، أو متجاهلون نواصب.

ومثلهم مثل من يأخذ بفقه أبى حنيفة()، وينسى تشريع رسول الله صلى الله عليه و اله، (فلولا سيف على لما قام للإسلام قائمة) () كما قاله رسول الله صلى الله عليه و اله.

القسم الثانى: حياته عليه السلام بعد وفاة رسول الله صلى الله عليه و اله، فقد قضاها أمير المؤمنين عليه السلام بالعمل الدؤوب لتصحيح الوضع الإسلامى. وكان مما قام به فى هذه المرحلة:

١: نسف الانحراف ديناً ودنياً المتمثل بحرب الجمل أى الحرب مع الناكثين.

٢: مواجهة حالة الإفراط فى الدنيا، وهى المتمثلة فى حرب صفين، وهم القاسطون من أعوان معاوية طلاّب الدُنيا.

٣: مواجهة الإفراط فى الدين المتمثل فى النهروان، وهم المارقون().

وقد أدى الإمام عليه السلام جميع تلك الأدوار، بإخلاص حتى أصبح قدوة حسنة.

وكانت هذه الساحات الأربعة التى خاضها أمير المؤمنين عليه السلام هى سلسلة واحدة، فلو لم يقم الإمام عليه السلام بدور واحد من هذه الأدوار، لجاءت حياته ناقصة ولاحتاج الإنسان إلى قدوة أخرى، تبيّن له الدور الذى لم يكمل.

العلماء وأخلاق الوحدة

يحكى عن المجدد الشيرازى رحمة الله عليه أن رجلاً طلب منه بعض المال؛ ليقضى به حاجته، وبما أنه كان ينوى الذهاب إلى بغداد، وكان هذا الشخص يسكن مدينة بغداد، فطلب منه أن يعطيه حوالة لأحد التجّار؛ خوفاً من ضياع المال فى الطريق.

واستجاب المجدد الشيرازى لطلب هذا الرجل وكتب له حوالة بثلاث ليرات عثمانية إلى أحد التجّار فى بغداد، وقام الرجل بتزوير الحوالة بوضع نقطة أمام الرقم ثلاثة، ليصبح المجموع ثلاثين ليرة، وجاء بالحوالة المزوّرة إلى التاجر، إلاّ أن التاجر استغرب من مبلغ الحوالة، فشكّ فيها، لذا استمهل الرجل حتى يهيئ المال.

أخذ التاجر الحوالة، وبعث بها إلى المجدد، يسأله عن مقدار المبلغ، أعاد المجدد الحوالة إلى التاجر وقد أمضى على المقدار وهو ثلاثين ليرة.

وهكذا أخذ هذا الشخص ثلاثين ليرة بدلاً من ثلاث ليرات، وهو لايعلم بما دار بين التاجر والمجدد.

وبعد أيام ذهب هذا الرجل إلى سامراء، حيث قابل المجدد فأمره بأن ينتظر حتى يفرغ المجلس، ولمّا فرغ المجلس انفرد المجدد بالشخص وقال له بلسان المعاتب: هل تجوز السرقة من الإمام المهدى (عجل الله فرجه الشريف)، ألا تعلم أنّ المال هو مال الإمام المهدى عليه السلام، فانفعل الرجل انفعالاً شديداً، عندما عرف أن السيد على اطلاع بما فعل. فلم يستطع أن يُجيب.

ثم واصل المجدد الشيرازى كلامه للرجل: إنّى حفظت ماء وجهك وصدّقت على الثلاثين، ولكن هل كان تصرُّفك صحيحاً؟

هذه نبذة من أخلاق العلماء الذين استطاعوا بواسطتها أن يجمعوا الصفوف، فيقرّبوا البعيد.

وقد قال الإمام أمير المؤمنين عليه السلام: آلة الرئاسة سعة الصدر ()،وهذا الكلام مطلق وهو يشمل كل أقسام السعة، سعة الصدر فى البذل، سعة الصدر فى الستر على الناس، سعة الصدر فى الحلم، سعة الصدر فى تحمّل أذى الناس، سعة الصدر فى الصبر.. وهكذا.

وللنظرات تفسير

نقل لى أحد المثقفين أنه ذات مرّة زار أحد مراجع التقليد فى داره، وكان الرجل المثقف يُقلّد ذلك المرجع لكنه ومنذ تلك الزيارة ترك تقليده بسبب نظرة استغراب، وجّهها إليه المرجع ولم يعرف هو تفسيرها.

أقول: لكننى فهمت معنى ومفهوم تلك النظرة، وإنى لأقطع أنها من أجل غاية صحيحة.

مداراة الناس

وسمعتُ أنّ عالماً لم يعطِ يده لمقلدٍ له أراد تقبيلها، فعدل ذلك المقلد عن تقليده له.

وعالمٌ آخر أبعد مقلداً له فى يوم ممطر، لئلا يقبّل يده؛ احتياطاً وخوفاً من الطهارة والنجاسة، فترك ذلك المقلِّد تقليده.

وهناك قصص وقصص، وهى كلُّها تعطى الإنسان دروساً بليغةً فى آداب المعاشرة والسلوك وحشد الصفوف، منها:

حذاء يحوّل الصديق إلى عدوّ

جاءنى اثنان يتنازعان على (حذاء)!، وكان أحد المتنازعين صديقاً لى، والآخر ليست بينى وبينه صداقة، وقد رأيتُ أن الحقَّ مع الثانى، فأعطيتُه الحقَّ، ولم أكن أعلم أن هذا الحكم سيغيظ ويُغضب صاحبى وصديقى، وبسبب ذلك قاطعنى مقاطعةً صارمةً، وانقلب يهاجمنى كأنَّه عدوٌّ لدودٌ، وظل على موقفه حتى يومنا هذا، وقد مرّ على الحادثة ما يقارب العشر سنوات، لو كنت أعلم أن الأمر سيصل إلى هذا الحدّ، لكنت على استعداد أن أمنحه ثمن الحذاء من جيبى الخاص، وهو لا يساوى يومذاك أكثر من نصف الدينار.

من الصداقة إلى العداوة

كان لى صديقٌ آخر من الكسبة، يعتقد بى ويقلّدنى ويدفع لى الحقوق الشرعية وكان عضواً فى بعض مؤسساتنا الخيرية، وذات مرة وقعت منازعة بينه وبين زوجته، وحضرا عندى لحل هذا النزاع، فقلت له: إن كان الحقُّ مع زوجتك فاللازم أن تتنازل، وإن كان الحقُّ معك، فعلى الرجل مسؤولية إدارة زوجته؛ لأنّ الله تعالى يقول: الرِّجَالُ قَوَّامُونَ عَلَى النِّسَاءِ ().

ثم نصحتهما قائلاً لهما: إنى لأرجو أن تجتمعا ثانيةً على ما كُنتما عليه، وقبلا النصح ورجعا إلى حالتهما الطبيعية، لأنَّ النزاع بينهما قد حصل لأمورٍ تافهة. ثم تبين أنَّ الرجل المذكور ثارت فى نفسه فيما بعد ثورة عنيفة. من كلمتى (إن كان.. وإن كان)، وتبين لى أنّهُ كان يُريد أن أقول له: إنَّ الحق معك مائة فى المائة، وكان هذا اللقاء هو آخر لقائى به وانتهى معه عمر صداقتنا، وكان أيضاً آخر يوم من عضويته فى مؤسستنا. ثم إنّه لم يكتف بهذا القدر بل صار فى صف المناوئين المهاجمين، وهو كذلك إلى يومنا هذا، وقد مضى على الحادثة حتى الآن زهاء سبع سنوات.

وهناك قصص كثيرة أخرى وقعت لى فى المجتمع، وكلما وقعت لى حادثة من هذا القبيل كنت أقول لنفسى: إننى لازلت فى أول الطريق فلم أصل إلى عمق المجتمع، مع العلم أنى كنت أتجنَّب الكلمات الغليظة وأستعين دائماً بالعبارات اللينة.

كيف نفهم المجتمع؟

وهناك قصة واقعية أخرى أسردها؛ لكى تدركوا مدى ضآلة عقلية بعض الناس، لقد كنتُ فى محضر بعض المراجع، فجاءه شخصان، يتنازعان حول (بئر بالوعة)، وكان كل طرف يدّعى أن البالوعة له. وكنت أعرف أحدهما أنّهُ متدين وخيّر ويحب الصلاح، وتحدث كل واحدٍ منهما فأدليا بأدلتهما وحججهما.

وأخذ المرجع يشرح للرجلين شرحاً حيادياً: إنه إن كان كذا، فالبئر لهذا، وإن كان كذا، فالبئر لذاك، ولم يحكم العالم بشىء، وإذا بهذا الإنسان الذى كنتُ أعرفه بالصلاح، يقول بالحرف الواحد: (إنْ كان الإسلام يحكم بأن البئر له، وليست لى، فأنا برىءٌ من هذا الإسلام)!.

وأضاف إلى حديثه كلمات كفر؛ لا أريد نقلها.

وهنا يستطيع الباحث أنْ يكتشف السبب الكافى خلف المقاصد الذاتية لبعض الأفراد على غرار (شهيد الحمار)، و(شهيد أم جميل)()، وسائر الذين كانوا يرتدّون لأتفه الأسباب، أو الذين جاؤوا لقتل الإمام الحسين الشهيد عليه السلام من أجل حفنة من المال. فليس غريباً أن تنقلب الصداقة إلى عداوة من أجل حذاء، أو بسبب كلمة، ولا عجب أن يتبرأ الإنسان من دينه بسبب بالوعة، فلا عجب فى ذلك.

لو كنت أعلم الغيب

حصل لى مع صديق كان يُقلدنى، ويعطينى الحقوق الشرعية، ويحضر صلواتى فى الأوقات الثلاثة، ويدافع عنّى أشدّ دفاع، وكنت أمرُّ على دكانه فى طريقى إلى حرم الإمام الحسين عليه السلام. وذات مرة مررتُ به فسلمتُ عليه على عادتى إلّا أنّهُ ردَّ سلامى بفتور، وقد حملت فعله هذا على خير، لكننى سلمت عليه مرةً ثانيةً وثالثةً ورابعةً، وكررتُ السلام؛ فى كلِّ مرة كنتُ أمرّ فيها على دكانه، وكان يتلقانى بنفس الفتور السابق، فتعجبتُ من أمره لأنى لاأعرف أننى قصّرتُ بحقِّه، فرأيت أحد أصدقائى؛ فطلبت منه أن يذهب إليه، ويسأله عن سبب هذا الفتور؟.

وبعد مدّة جاء الصديق، وقال: نعم، إنّه ممتلئٌ منك غيظاً.

قلت: لماذا؟!.

قال: لأنه أقام مأتماً حسينياً فى بيته ولم تحضره.

قلت: ولكننى لم أكن أعلم بوجود المأتم، فهل أخبرنى حتى يلومنى على عدم الحضور؟!.

قال الصديق: قلتُ له ما ذكرته لى إلّا أنّه ردَّ قائلاً: صحيح إنى لم أخبره، ولكن لماذا هو لم يعلم بوجود المأتم؟!

فيا للعجب! هل أعلم الغيب؟ أو عندى أجهزة تنصُّت تكتشف المآتم قبل وقوعها؟.

وطالت فترة ابتعاده عنى، إلى أن اكتشف أن الخطأ منه وليس منى، فعاد إلىّ معتذراً وتحسنت الصداقة بيننا وبينه، وجزاه الله خير الجزاء.

مقابلة الهجر بالإحسان

كنت أمرّ على صاحب دكان فى طريقى إلى حرم الإمام الحسين عليه السلام، وأسلّم على صاحبه كما كانت عادتى فى السلام على صاحب كل دكان يقع دكانه فى طريقى، وذات مرَّة سلمتُ على صاحب الدكان، وإذا به يصرف وجهه عنى ولا يُجيب، وتكرَّرت القصَّة مرّات ومرّات حتى تأكدت أنه لا يريد الإجابة على سلامى، ولم يكن بينى وبينه صداقة حتى أبعث إليه برسول يستفسر منه عن السبب، لكننى واصلت السلام، وهو واصل تجاهله للردِّ على السلام.

فتأمّلت كثيراً، وفكرت بعدم السلام عليه، لأنَّ سلامى عليه ليس بواجب وإنى أحمّله تكليفاً شرعياً فى الرد على السلام، كما أن عدم

رده للسلام بمثابة الإهانة لى، وأنا أفكر فى تغيير موقفى منه وإذا بى أتذكر قول الإمام أمير المؤمنين عليه السلام حيث قال: (لا يكونن أخوك على قطيعتك أقوى منك على صلته)(). وتذكرت قول الإمام السجاد عليه السلام فى دعاء مكارم الأخلاق: (وسددنى لأن أعارض من غشّنى بالنصح وأجزى من هجرنى بالبرِّ)()، ولذا أخذتُ أكرِّر قول الإمام عليه السلاممرّات ومرّات وأسلم عليه حتى استحيا وأجاب ببرود، ثم بعد مدة أجابنى بحرارة قليلة. وهكذا حتى رجع إلى سابق عهده.

ولمّا استفسرت عن حاله، قيل لى: إن شيوعياً من أصدقائه أثرّ عليه وحوّله ضدى، لكن إصرارى على السلام أعاده إلى رشده؛ لأنه كشف له عن عظمة الإسلام.

العلماء فى مواجهة الإلحاد

استغلّ الشيوعيون انقلاب عبد الكريم قاسم()؛ فقفزوا إلى السلطة، وسيطروا على المراكز الحساسة فى الدولة، وشرعوا فى القيام بأى عمل مخالف، للشرع والعقل والقانون؛ فقتلوا خصومهم وسحبوهم فى الشوارع وهَتكوا أعراض الناس ونهبوا الأموال، وقام عبد الكريم قاسم بفسح المجال أمامهم؛ لأنهم ادَّعوا حمايته من عبد الناصر()، ومن الأحزاب القومية الموالية له، هذا أولاً، وثانياً أراد عبد الكريم بمؤازرته للشيوعيين أن يُفهم الغرب أن الشيوعيين سند له حتى لا يقوم الغرب بانقلاب ضدّه هكذا كان يقول الناس . وثالثاً أراد عبد الكريم أن يكسب ودَّ الاتحاد السوفياتى، ويحظى بحمايته له من خلال دعمه للحزب الشيوعى فى العراق.

هذا فى الظاهر، أمّا فى الحقيقة، فإن حكم عبد الكريم قاسم لم يكن إلاّ حكماً إنجليزياً برداء من الشيوعية، وذلك لإخراج أمريكا من المنطقة.

وقد ذكر ذلك سفير بريطانيا فى مذكراته، ونقلتها مجلة الحوادث اللبنانية، والموضوع لا يستحق الإطالة؛ لأنه ليس فى صلب موضوعنا()، لكن ما نريد أن نقوله: إن أحد أسباب التفرقة هو طغيان الإلحاد والفساد فى العراق طغياناً هائلاً، وقد فكّر والدى رحمة الله عليه فى التصدّى لهذا الطغيان والفساد بما يستطيع، وبأمر منه شكّلنا وفداً من علماء وخطباء كربلاء المقدسة وذهبنا إلى النجف الأشرف، والتقينا بجمع من العلماء والخطباء، ودعوناهم إلى توحيد الجهود لصدّ التيار الإلحادى، وكانت النتائج كما أردناها.

ومرةً ثانية، أرسل والدى وفداً إلى النجف الأشرف؛ لزيارة السيد الحكيم رحمة الله عليه() وداعياً إياه لزيارة كربلاء المقدسة؛ لأجل توحيد الجهود، وتكتيل الطاقات فى مواجهة السلطة، ولإثارة الناس ضد الحكم وأعوانه، وقد لبّى السيد الحكيم رحمة الله عليه هذه الدعوة فجاء إلى كربلاء واستقبلناه استقبالاً جماهيرياً كبيراً، وقدّم له والدى رحمة الله عليه مكانه فى إمامة الناس فى حرم الإمام الحسين عليه السلام.

وقمنا أيضاً بزيارة المسؤولين فى بغداد لأجل نصيحتهم وإنذارهم بخطورة الشيوعيين وخطورة الأوضاع، ابتداءً من (عبد الكريم قاسم) رئيس الوزراء آنذاك و(نجيب الربيعى) رئيس مجلس السيادة، وانتهاءً بسائر الوزراء وذوى النفوذ أمثال (أحمد صالح العبدى) الحاكم العسكرى العام و(محسن الرفيعى) رئيس الاستخبارات و(أحمد محمد يحيى) وزير الداخلية و(فؤاد عارف) وزير الدولة وغيرهم().

وقمنا أيضاً من أجل تكتيل الناس، وجمع طاقاتهم بإقامة مهرجان أمير المؤمنين عليه السلام الكبير فى الثالث عشر من رجب، يوم مولد الإمام أمير المؤمنين عليه السلام، وكان مهرجاناً خطابياً سياسياً إعلامياً، وكان يمثل صوت الشيعة المعبّر عن أحاسيسهم و أمانيهم، وكان يحضر المهرجان مسؤولون من بغداد، فيستمعون إلى الخطب والقصائد التى تشيد بمواقف العلماء، وتطالبهم بموقف صلب من أعداء الإسلام.

وقد استفدنا من هذه البرامج والمناسبات فى لمّ شعث المتدينين، وتوحيد كلمة العلماء والخطباء ضد الأوضاع السيئة آنذاك، ممّا كان له أبعد الأثر، لا فى ذاك اليوم بل حتى يومنا هذا، وفى المستقبل أيضاً، وهكذا أصبح للوحدة ورصّ الصفوف أعظم الأثر فى حفظ

البلاد من التيارات المعادية.

وقد نوّهتُ إلى ذلك: لأشير إلى حقيقة مهمة أن أسلوب مقابلة الغرب والشرق بادئ ذى بدء يكون برصِّ الصفوف وتوحيد العاملين على الساحة الإسلامية.

العمل الفردى والجماعى

من الحقائق الثابتة فى العمل أن ثمن التوحيد باهظ، بينما ثمن التفرقة أكثر غلاءً، فالإنسان إذا انخرط فى وحدة ما، وإن كانت مكوَّنة من عشرة أفراد مثلاً فإنه لو قام بتشكيل هذه الهيئة بنفسه، فإنّها تأخذ من أعصابه وراحته؛ نظراً للمضايقات التى يتلقاها من بعض الأفراد، كما نشاهد فى الهيئات والجمعيات والبرلمانات ومجالس الشيوخ وغير ذلك.

لكن لو انفرد الإنسان، وأراد تفادى هذه المشاكل، لابد وأن يقع فى مشكلة التأخر ومشكلة غلبة الآخرين عليه، وهاتان المشكلتان تأخذان أكثر من واقعه وسيادته وفكره وأعصابه، وإنّ هذه حقيقة يجب أن يفهمها كل إنسان تقدمى، وكل إنسان له هدف فى هذه الحياة.

نعم، من لا يفهم من الحياة إلّا الأنانية والاستئثار، لا يسير إلّا وراء الغرور والشخصية الموهومة، ولا يصل إلى تحقيق المفاهيم السامية بل المفاهيم الخاطئة.

قال الإمام أمير المؤمنين عليه السلام: (لا وحشة أوحش من العجب)().

ذلك؛ لأنَّ العجب والغرور، يجعلان الإنسان، يعيش فى أتعس حالة، فهو وإن كان يعيش بين ألف إنسان إلّا أنّه يبقى غريباً عنهم فى واقعه المعيشى والاجتماعى.

فلو صلّيت صلاة الجماعة وصلّى خلفك مائة ألف إنسان، ولو ارتقيت المنبر واستمع إليك عشرات الألوف، ولو جاءت المليارات من الأموال واستطعت أن تعطى من هذه الأموال رواتب طلبة العلوم الدينية ورواتب للفقراء والمساكين. لو استطعت أن تكوّن بساعدك الشخصى المدارس والمستشفيات، ثم إنّك ألفت المئات من الكتب فى شتى الموضوعات العلمية والفنية ولو.. ولو...

لو فعلت جميع ذلك، عليك أن تعرف بعد ذلك أن عملك كله لم يخرج من كونه عملاً فردياً، وخليقٌ به أن ينهار؛ لأنّ كل عملٍ فردى مآله إلى الانهيار.

وبالعكس، لو كوّنت هيئة للعلماء للنظر فى شؤون الناس، وللنظر فى شؤون العلماء.

ولو كوّنت جماعة للخطباء، لوضع برنامج متطور للخطابة.

ولو كوّنت جمعية، لأى أمرٍ من الأمور الدينية والاجتماعية أو ما أشبه ذلك، فعليك أن تطمئن أنك أنجزت عملاً اجتماعياً ليس بقاؤه ببقائك، ولا ذهابه بذهابك.

لذا من الواجب على الإنسان أن يكون بعيد المدى، عميق التفكير، وأن يحمل مشاريعه على أكتاف المجتمع، فإن ذلك سوف ينفعُه أولاً؛ لأنه الضمانة على بقائها مهما تقلَّبت الظروف، وينفعه ثانياً بتوفير الوقت له فى أنْ يعمل مشاريع ومؤسسات أخرى حيث لا يقدر على مثلها.

مثلاً: إذا قام بمشروع لوحده، فإنّ المشروع الواحد، يأخذ كل وقته ولا يدع له مجالاً فى تكوين مشاريع أخرى.

اليهود والتنظيم

يُقال: إن فى أمريكا ثلاثة ملايين من اليهود، كما وأن فى أمريكا ثلاثة ملايين من العرب()، وكلنا يعلم أن يهود أمريكا، قبضوا على زمام الاقتصاد والجامعات والإعلام فى هذا البلد بالرغم من كره الأمريكيين لهم.

ومع أن نسبة العرب مساوية إلى نسبة اليهود إلّا أن تأثير العرب فى الحياة الأمريكية لايعدّ شيئاً يُذكر، فقد عجزوا عن الدفاع عن عدالة قضيتهم فى فلسطين.

والسبب فى ذلك أن يهود أمريكا منظَّمون ويعملون فى نطاق مؤسسات قوية تبلغ فى تعدادها ثلاث عشرة منظمة، وتشكّل هذه المنظمات مجموعة واحدة تسيطر على الاقتصاد والإعلام. بينما يعيش العرب مبعثرين ومشتّتين لا يجمعهم جامع.

من هنا، كان اتحاد اليهود سبباً فى تقدمهم وازدهارهم وسيطرتهم.

بينما تحوّل تفرق العرب إلى عامل للضعف والعجز والشعور بالمهانة.

والغريب حقاً أن يتفرّق المسلمون أشتاتاً وفى ثقافتهم الإسلامية تركيز على الاتحاد والتعاون، وقد قال سبحانه وتعالى فى كتابه الكريم: تَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَى وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ ().

والأعجب من ذلك أن الأعداء الذين لا يجمعهم جامع إلّا المال والمصلحة، قد اتحدوا ووحّدوا صفوفهم، وقد وصفهم الله تبارك وتعالى بقوله: تَحْسَبُهُمْ جَمِيعاً وَقُلُوبُهُمْ شَتَّى ()؛ لأنهم يندفعون بدوافع المصلحة التى تُلغى ولو مؤقتاً جميع الخلافات وعوامل الفُرقة.

أرجو من الله سبحانه التوفيق، وأن نكون أهلاً لإقامة الوحدة الإسلامية، وأملنا كبير بذلك؛ لأن الوقت لم يفت بعد، وقد جاء فى المثل: (السمكة كلّما أخذتها من الماء كانت طازجة).

الحفاظ على الأمثولة

عاصر المرحوم السيد أبو الحسن الأصفهانى رحمة الله عليه فترة الهجوم الاستعمارى على الدين بكل مظاهره، فكانت السلطات العميلة تهاجم رجال الدين المخلصين، وتنزع عمائمهم بالقوة، وعندما لم تفلح سياسة القوة فى تحطيم الحوزات العلمية، قام الاستعمار بإعداد جمع من رجال الدين المزيفين، الذين كانوا يفعلون كل منكر أمام مرأى ومسمع من الناس، فلم يتركوا رذيلة إلّا وارتكبوها؛ ليشككك الناس برجال الدين، وينحرفوا عنهم.

وقد أدرك السيد أبو الحسن الأصفهانى رحمة الله عليه خطورة هذه السياسة، وكان على قدرٍ كبيرٍ من الذكاء والفطنة، فاختار أُسلوباً فريداً فى مقاومة تلك السياسة الغربية؛ إذ أخذ يُشجّع الناس على ارتداء العمائم، وكان يضع العمامة بنفسه على رؤوس الأشخاص اللائقين والذين يتحمسون لطلب العلم، حتّى ازداد أصحاب العمائم عشرات الأضعاف.

قال لى الخطيب سلطان الواعظين رحمة الله عليه(): (لقد ازدادت الانتقادات الموجهة نحو السيد نتيجة سياسته تلك، فذهبتُ إليه وقلتُ له: إنَّ الناس ينتقدون عملكم هذا، ألا ترون أن بعض من ارتدى العمامة على أيديكم لا يستحقها؟ أليس من الأفضل الكف عن هذا العمل؟

تبسّم السيد، وقال: ما أشبه كلامك هذا بكلام أصحاب رسول الله صلى الله عليه و اله الذين جاؤوا إليه يستنكرون عليه وجود بعض المسلمين غير اللائقين! فهل كفَّ الرسول الأكرم صلى الله عليه و اله عن قبول إسلام من جاء يُريد الإسلام؟!

ثم واصل السيد الأصفهانى: إنّنا أصبحنا فى زمن يجب علينا أن نستمر فى هذا العمل، لتلافى بعض النقص الذى أوجده الاستعمار فى صفوف أهل العلم، فإذا مضى الاستعمار فى تنفيذ مآربه، وتمكن من تشويه سمعة علماء الدين، فإنّه لا يسقط أهل العمائم وحسب، بل سيكون سبباً لإسقاط لواء الإسلام، فهل نرضى بهذه النتيجة؟!. وأنت تذكر بعض الذين ظهروا غير لائقين، فلماذا لا تذكر الذين ظهروا لائقين، وسدّوا فراغاً فى الدين، أما ترى البُستانى وهو يعطى الماء للأشجار فترتوى منه الزهور والأشواك معاً، ولما لم تكن لرسول الله صلى الله عليه و اله سلطة على إبقاء الناس هداة مهديين لدين الله سبحانه، حيث ورد فى القرآن الكريم: فَذَكِّرْ إِنَّمَا أَنْتَ مُذَكِّرٌ لَسْتَ عَلَيْهِمْ بِمُسَيْطِرٍ ().

فهل لى أنا سلطة الهداية؟.

ثم واصل السيد قائلاً على سبيل اللطيفة : إنك سلطان الواعظين، فإذا ذهب الواعظون فهل يبقى لك سلطان؟ كلا، وإنى سلطان أهل العلم، فإذا ذهب أهل العلم فهل تبقى سلطتى؟!.

أقول: وكان السيد الأصفهانى رحمة الله عليه بهذا الموقف ينظر بعيداً جداً، ولذا قاوم الاستعمار بهذا الأسلوب، كما وضع أشخاصاً واعين على رأس الأمور، كالسيد هبة الدين الشهرستانى؛ الذى كان يرأس مجلة العلم، والشيخ محمد رضا المظفر()؛ الذى فتح المنتدى، والشيخ محمد جواد البلاغى()، الذى كان يجاهد الأفكار الهدَّامة، والشيخ الأمينى()، الذى بحث فى نظرية الإمامة عند الشيعة من خلال موسوعة (الغدير)، والشيخ أغا بزرك الطهرانى()، الذى أردف الحوزة العلمية بأبحاث أساسية فى الرجال والمصنفات. فهؤلاء بأجمعهم كانوا يشكلون مجموعة عمل قوية، كانت تتولى تحريك المرجعية الدينية فى زمن كثرت فيه التحديات.

القمّى وجمعه للعلماء

لقد أفسد الاستعمار بلاد إيران، ونشر المنكرات، وقيّد الحريات، وصادر الأموال، وعمّ الفساد فى أرجاء البلاد، مما حدا بالسيد حسين القمى رحمة الله عليه() أن يقوم بنهضة فى إيران، وقد اتّخذت الحكومة أسلوب التهجير للتخلّص منه، فسُفِّر من إيران إلى العراق واستقر فى مدينة كربلاء المقدّسة، فقام بتجديد الحوزة العلمية فى كربلاء، بعد أن آلت إلى الاندراس، فجمع السيد القمى حوله فريقاً من العلماء الواعين العاملين، الذين كانوا يُساعدونه فى الأمور العلمية والدينية.

وبعد زوال الاستعمار العسكرى من إيران فى أعقاب الحرب العالمية الثانية، رأى السيد أن يذهب إلى بلده؛ ليطالب السلطات بإرجاع الأمور إلى نصابها، فذهب يرافقه المرحوم والدى رحمة الله عليه ومعهم مجموعة من العلماء إلى إيران وبقى فى طهران فترة من الزمن، مصراً على السلطات هناك بإرجاع الأمور إلى نصابها، وقد وفّقه الله سبحانه وتعالى لإنجاز ما أراد، وإلى اليوم ينعم الإيرانيون بنتائج الأعمال الجبارة التى قام بها فى إيران.

ولعل أهم عمل قام به السيد القمى رحمة الله عليه توحيد كلمة العلماء للمطالبة بالحقوق الإسلامية، ورصُّ الصفوف مما أفزع السلطات التى تيقنت أنّها إنْ لم تمنح العلماء تلك الحقوق فالثورة فى طريقها لقلع قصورهم وقلاعهم.

فاتّعظوا يا أولى الألباب

لأجل إعطاء نموذج عن تضامن العلماء؛ نذكر هذه القضية التاريخية:

كان للسيد حسين البروجردى رحمة الله عليه() مجموعة كبيرة من المسلحين، من عشائر (الألوار) وهى تعدُّ بمئات الألوف. وكانت هذه العشيرة رهن إشارة السيد البروجردى. وعندما قام السيد حسين القمى رحمة الله عليه بإعلان مطالبه، وضع السيد البروجردى هذه العشيرة المسلّحة تحت تصرف القمّى، وكان لهذا القرار أثرٌ فى تراجع السلطات، وإسراعها فى منح العلماء الحقوق التى كانوا يطالبون بها.

وقف أيضاً إلى جانب السيد القمّى بقية العلماء الأعلام، كل ذلك نتيجة لجهوده التى أثمرت فى توحيد كلمة العلماء، واستثمار هذه الوحدة فى المطالبة بالحقوق المشروعة.

لذا يجب على العلماء مهما كانت ظروفهم الشخصية، وكيفما كانت آراؤهم الفردية أن يوحّدوا صفوفهم لتقديم الإسلام ولصد التيارات التى تهبّ من بلاد الكفر والملحدين، ولإزالة المنكرات التى تتفشى فى المجتمع بين آونة وأُخرى. ولقد قال سبحانه وتعالى: وَتِلْكَ الأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ النَّاسِ ()، فيوم للدين ولأهل الدين، ويوم يتغلب فيه الباطل، ولكن الكلمة الأخيرة ستكون حتماً للدين وأصحابه.

وإن تعجَّل فيها الظالم الأثم

للمتقين من الدنيا عواقبها

ذكريات سفير

قبل أعوام قرأت كتاباً لأحد سفراء ألمانيا وكان ممثلاً لبلاده فى إيران، يذكر فى هذا الكتاب ذكرياته عن إيران، ولا أتذكر هل تُرجم الكتاب إلى العربية أم أن الكتاب كتبه باللغة العربية؟.

يقول السفير تحت عنوان (الملّا والبازار) أى العالم الدينى والسوق، ما ملخصه:

«إنّ الإيرانيين يقلّدون ويتّبعون مرجعاً لهم وهو يمثل نبيَّهم، وهذا المرجع أمره نافذ فيهم، فعلى كل مسلم أنْ يطيع المرجع إذا أراد الآخرة، ومجتمعهم متماسك بحيث إنَّ أى إنسان لا يجرؤ أنْ يخالف المرجع، لا خوفاً من الآخرة فحسب، بل خوفاً من الناس المسلمين أيضاً، إذ يعدّ المخالف للمرجع خارجاً عن الدين، وعندهم أنّ الخارج عن الدين، لا يحلّ لهم أن يؤاكلوه أو يتعاملوا معه، ولا حتى يزوّجوه ويعاشروه، هذا حال (الملّا) وهناك فى طهران مكان يسمى البازار وفى البازار أعاظم التجّار، وعلى أكتافهم تدور رحى الاقتصاد والتجارة، وكل الكسبة متصلون بهؤلاء التجّار الكبار ويحترمونهم احتراماً بالغاً».

وبعد وصف كامل لهم، يستطرد قائلاً:

«فإذا أرادت الدولة أنْ تسنّ قانوناً القانون الوضعى اطّلع (الملّا) على ما تنويه الدولة فيوعز إلى البازار بإغلاق المحلات احتجاجاً على القانون وإضراباً سلمياً عن العمل، وإذا تعطّل البازار تعطلت طهران كلها وتوقفت الحياة التجارية والاقتصادية. وساد الهرج والمرج والفوضى فى كل البلد؛ مما تضطر الدولة على الانسحاب من القرار».

ثم واصل قائلاً: «ولذا فإن أردنا أن نحصل على النفوذ فى هذا البلد، فيجب علينا أن نتخذ خطوتين:

١: أن نسقّط «الملّا»، بأنْ نزيل مكانته من القلوب بمختلف الوسائل حتى لا يكون أمره واجب الطاعة عند الناس.

٢: أن نُسقط البازار، بأنْ نفرّق التجار، ولا نجعل لهم مجمعاً واحداً حتى إذا فرض أن جماعة من التجار أطاعوا الملّا كانت هناك أسواق ومحلات أُخرى فتكافح مفعول البازار فلا يؤثر فينا إضراب البازار على الاقتصاد والتجارة، وبالنتيجة تتمكن الدولة أنْ تمرّر قانونها بدون الاصطدام بالملّا والبازار».

أقول: وهذا ما فعلوه فى إيران وغير إيران من سائر البلاد الإسلامية، فقد أضعفوا سُلطة الدين وشتتوا جمع المسلمين ثم مرّروا قوانينهم بسلام، وبلا أية معارضة أو بمعارضة ضعيفة لا تُسمن ولا تُغنى من جوع، ولنحاسب، ثم نفكر فى العلاج؟.

أليس فى كل بلاد الغرب توجد نقابات وأحزاب، فإذا أرادت الحكومات تمرير قوانين ضارة بالبلد، يوعز رؤساء تلك الأحزاب والنقابات إلى أفرادها وأجهزتها الإعلامية ونحوها بالإضراب، فيشلّ المجتمع وتعمّ فيه الفوضى، وأخيراً تجبر الحكومة على الانسحاب؟.

أليس علماء المسلمين هم فى طليعة المخلصين للوطن الإسلامى ويضحّون فى سبيل مصالح المسلمين؟

أما العلاج، فليس المهم البازار بذاته بل سيطرة العالِم على المجتمع، بحيث إنَّه متى شاء تمكن من شلِّ الاجتماع، ليكون ذلك سيفاً بيده ضد القوانين التى تضر الدنيا أو الدين. وكل ضرر على أحدهما ضررٌ على الآخر، فضرر الدنيا ضررٌ للدين، لأنّ (من لا معاش له لا معاد له)، وضرر الدين هو ضرر الدنيا، لأنّ الدين وُضع لمصلحة الإنسان، والمجتمع فى يومٍ ما كان منظماً تلقائياً بحيث إنَّ أمراً واحداً من العالِم كان يحرك المجتمع تحريكاً يجعله ينفذ ما يُريد.

أما اليوم فلا يتحرك المجتمع حتى بألف أمرٍ؛ لضعف الوازع الدينى عند الناس ولتشتت المجتمع وانقسامه إلى تيارات وجبهات، فعلى المتدينين أنْ يقوموا بالمهمة المزدوجة:

أولاً: أن يهتموا بكل الوسائل والسُبل بزرع الإيمان فى النفوس حتى يُخرج ثماره فى إقبال النفوس على طاعة العلماء.

ثانياً: أن ينظموا المجتمع تنظيماً إسلامياً حتى يُعطى ثماراً فى العمل على الساحة السياسية، وكلا الأمرين ممكن فى البلاد الحرة، أما

البلاد التى ترزح تحت نير الديكتاتورية، فكلا الأمرين صعبٌ وبحاجة إلى التضحية، لكن ليس بمستحيل، فمهما كان الجو خانقاً فالإنسان يتمكن من أن يتنفس ولو بصعوبة، وحيث إنَّ الوسائل والسبل فى العالَم اختلفت، فزرع الإيمان بحاجة إلى وسائل حديثة وأساليب جديدة، كما وأنّ التنظيم بحاجة إلى ألف مقوّم ومقوّم، فليس مجرد أنْ دُعى الناس إلى شىء أجابوا، مهما كانوا مؤمنين؛ وإن كان الداعى من أبرع الأشخاص وأكثرهم علماً وفضلاً.

انهيار القوّة

لقد كان غريباً حقاً انهيار الجبهة الدينية، وتشتت كلمة العلماء فى العراق، فبمجرد قيام انقلاب ۱۴ تموز سنة ۱۹۵۸م، رمى الجميع اللَّوم على العلماء وأخذوا يتسآءلون لماذا لم يقفوا؟ ولماذا لم يتصدوا؟ ولماذا؟.

لكن النظر العميق فى التأريخ الإسلامى يهوّن الخطب، أما انهارت الجبهة الإسلامية بعد الرسول صلى الله عليه و اله وارتد الناس إلاّ القلة؟

وهل يُشك فى بناء الرسول صلى الله عليه و اله؟ أما انهارت جبهة المسلمين بعد استشهاد الإمام أمير المؤمنين عليه السلام وصفا الجو لمعاوية، بعد ما قاومت جبهة الإمام وخاضت الحروب؟. أما انهارت جبهة الكوفة أيام الإمام الحسين عليه السلام بمجرد أن جاء إليهم الإمام بعد تلك الرسائل والمكاتيب؟.

إنّ كلَّ ذلك معللٌ بعلة واحدة فى الجميع هى انهيار القوة، فانهارت الجبهة، والقوة كانت متمثلة بالنبى والوصى، ? وبموتهما انهارت القوة فانهارت الجبهة والقوة التى كانت متمثلة فى عشائر الكوفة، وبتدخل الشام انهارت قوة الكوفة، لأن الشام كانت أقوى، ولذا انهارت جبهة الإمام الحسين عليه السلام، وكذا حدث الشىء نفسه فى العراق، فقوة الدين كانت تكمن فى عشائر العراق الذين كانوا يملكون السلاح، فإذا أرادت الحكومة شيئاً خلاف الدين، التجأ العلماء إلى العشائر، وتدخّل السلاح فى المعركة إلى جانب العلماء، ولذا كانت الحكومة تخشاهم لا لأنفسهم، ولا لأنّ الحكومة كانت متدينة، بل لأنّ عالم الدين كان مزوداً بالسلاح، ومن قرأ تاريخ العراق الملكى، رأى كيف وكم مرة تدخلت القوة العشائرية لنصرة كلمة العلماء، مما دفع بالسلطة إلى التراجُع.

سياسة قاسم

أمّا عبد الكريم قاسم فقد ضرب العلماء بإشارة من الانجليز، بغية عزل العلماء عن المجتمع العراقى وفسح المجال أمام الشيوعيين الروس. وليستطيعوا فى غياب العلماء تمرير قوانين جديدة ضد العراق وشعبه، وليتمكنوا من إخراج الأمريكان من البلاد.

وكانت أول خطوة قام بها عبد الكريم قاسم، هو تجريد العشائر من السلاح تحت ذريعة المؤامرة.. والعشائر هى ذراع المرجعية فى كل زمان.

ثم فصل بين رؤساء العشائر وأتباعهم من الفلاحين تحت ذريعة الإقطاع وتحت ذريعة الإصلاح الزراعى. ونحن نعرف أنّ الإصلاح الزراعى تحوّل إلى إفساد زراعى. ثم ضرب أصحاب رؤوس الأموال الشيعية، الذين كانوا يموّلون المرجعية تحت ذريعة التلاعب بالأسواق.

وبتجريد العلماء من قوة العشائر ومن قوة المال، أصبحوا بلا حول ولا قوة، فانهارت الجبهة الدينية بسهولة كما هى القاعدة: فَلَن تَجِدَ لِسُنّةِ اللّهِ تَبْدِيلاً وَلَن تَجِدَ لِسُنّةِ اللّهِ تَحْوِيلاً ().

ومما هو جدير بالذكر، أن الدكتور عبد الصاحب علوان، وهو وزير فى الحكم القاسمى، كتب كتاباً حول الإصلاح الزراعى يراه أمراً حسناً، وألّف الأخ السيد الصادق() كتاباً فى الإصلاح الزراعى الإسلامى، سمّاه (الإصلاح الزراعى فى الإسلام)؛ بيّن فيه خطوط الإصلاح الزراعى الإسلامى، وقارن بينه وبين الإصلاح الزراعى السائد فى العراق، وفى غير العراق مقارنة عقلائية، مما أظهر لكل

باحث أنْ لا نسبة بين الأمرين، وأن الإصلاح الزراعى الإسلامى ليس هو الأفضل وحسب، وإنما الإصلاح الزراعى السائد فى البلاد اليوم ضارٌ بالزراعة، وهو الذى جلب الويلات للفلاح والأرض مما أدى إلى نزوح الفلاحين من الريف وتركهم لأراضيهم.

وقد منعت الرقابة على المطبوعات طباعة هذا الكتاب، ثم بعد ذلك أجازت طباعته وقامت بعد انتشاره بشراء كمية كبيرة منه؛ لئلا يقع بيد الناس. وقد وصل كتاب الأخ إلى يد الدكتور الوزير فيما بعد، عن طريق أحد العلماء الذى يعتبر صديقاً للطرفين.

لما رأى الدكتور كتاب السيد صادق، تعجب كثيراً، عن جرأة السيد صادق فى الرد عليه وهو وزير، لكنه وبحكم موضوعيته كدكتور، كان عليه أنْ يرد على آراء السيد صادق، وهذا الذى وعد به، وبعد مدة سأله العالم الذى يكن له صداقة قوية، وقال فى زيارته: هل كتبت رداً على كتاب السيد صادق، ضحك وقال: أنا مأمور بتنفيذ هذه الخطة، وليس لنا حق فى اختيار إصلاح زراعى آخر، وكان هذا هو جوابه لصديقه!

وتكرر نفس الموضوع معى عند لقائى بالدكتور عبد الرحمن البزاز()، رئيس الوزراء فى عهد عبد الرحمن عارف().

فقد جاء إلى كربلاء وزارنى فى مقبرة المرحوم الوالد رحمة الله عليه، وكان برفقته جمع كبير من الساسة والوزراء والضباط.

كما كان برفقتى جمعٌ من العلماء والخطباء.

قلتُ له فيما قلتُ: إنّ قانون العقوبات البغدادى () قانون، وضعهُ قائد الحملة البريطانية، والعراق اليوم مستقل، وعليه أنْ يرمى من على كاهله كل ما يمتُّ بالاستعمار بصلة، فلماذا هذا القانون سارى المفعول، مع العلم أنه طُبع فى أوله: أنّ القانون من وضع قائد الحملة؟

وأضفت: هذا القانون فيه سيئات لا يوجد مثلها فى القانون الإسلامى.

أليس من الأفضل والحال هذه أن يُغيّر هذا القانون إلى قانون إسلامى فى باب العقوبات؟!

ضحك عبد الرحمن البزاز، وألمع إلى أننا مجبورون على تنفيذ هذا القانون، وإن لم يصرّح بهذا اللفظ تخوفاً ممن كان معه().

من نتائج الفرقة

إنّ الفرقة التى أحدثها عبد الكريم قاسم بين العلماء والعشائر، وبين ملّاك الأراضى والمزارعين، أوقعت العراق فى مآسٍ ومهالك كبيرة. ولم يزد فى العراق شىء ولم ينقص، إلّا أنّ الإنجليز أرادوا استبدال عملائهم، خوفاً من انتشار النفود الأمريكى، وكان الضحية لهذه السياسة هو الدين والمسلمين.

وإن العراق لا يرجع إلى السعادة والرخاء إلاّ بالتمسك بحبل الله المتين ونبذ الخلافات والنزاعات والتبصُّر بدسائس الاستعمار ومكائده.

قصة الحاج عبد

يُقال: إنه كان فى قديم الزمان مكارى () اسمه الحاج عبد يأتى بالزوار إلى مدينة كربلاء المقدسة، وكان سيئ الأخلاق، وكان هناك رجلٌ من أهل العلم يزور الإمام الحسين عليه السلام كل عام فى الأربعين، وكان ينزعج من أخلاق الحاج عبد كثيراً، لكنه كان يضطر إلى تحمّله، حيث إنَّه المكارى الوحيد الذى كان يأخذ نصف المبلغ من المسافرين.

وفى إحدى الرحلات غمرت المياه الطريق، وكانت يومها بحيرة الرزازة متصلة بكربلاء، فأخذت السفن بحمل الناس إلى كربلاء، ففرح ذلك العالم الذى كان يأتى لزيارة الأربعين بالوسيلة الجديدة للوصول إلى كربلاء، وكانت فرصة كبرى أن تخلّص من (الحاج عبد) وأخلاقه السيئة.

ومع اقتراب موعد زيارة الأربعين جاء هذا العالم إلى البحيرة وأراد أن يركب السفينة وإذا به يفاجأ بأنّ ربان السفينة هو (الحاج عبد) نفسه فاسترجع قائلاً إنا لله وإنا إليه راجعون ركب السفينة على مضض، وعلى طول الطريق كان مبتلياً بالحاج عبد.

ومرّت السنوات، ومضت الأيام وإذا ب العربانة التى تجرّها الخيول تظهر ويبدأ باستعمالها بين كربلاء والمدن الأخرى.

ففرح هذا العالم أن أنقذته العربانات من الحاج عبد، ففى الرحلة القادمة سيكون على متن إحدى هذه العربانات. وازداد تعجبه وتألّمه عندما وجد صاحب العربانة هو الحاج عبد أيضاً، وما حيلة المضطر إلّا ركوبها.

ومرّت الأيام وتحولت وسائل النقل وظهرت السيارات فى مدينة كربلاء وبدأ باستخدام السيارات بين كربلاء والمدن الأخرى، فشكر الله صاحبنا على هذه النعمة، وفرح أنه قد تخلص من الحاج عبد، لكن لم تطل فرحته كثيراً عندما عرف أنّ سائق السيارة هو الحاج عبد أيضاً.

أقول: وقصتنا نحن العراقيين مع الحكومات المتعاقبة فى العراق، هى قصة هذا العالم مع الحاج عبد، ففى العهد الملكى كان الحكم فى الظاهر بيد الملك فيصل الأول، ثم ولده غازى() ثم ولده فيصل الثانى()، ثم انتقل إلى عبد الكريم قاسم، ثم إلى عبد السلام عارف()، ثم إلى عبد الرحمن عارف، ثم إلى البكر()، ثم إلى...

فالوجوه كانت تختلف، لكن الحاكم الرئيسى هو الاستعمار، وفى كل مرة له لباس وشكل جديدان. فلا عجب أن بقى الاستعمار كل هذه الفترة كما بقى الحاج عبد، لأننا لم نعمل على التخلص منه.

وسائل الإنقاذ

فإذا أردنا التخلُّص من ا لاستعمار كان لابد من تحقيق الأمور التالية:

أولاً: الوعى الجماهيرى، فبدون الوعى الجماهيرى يتشكل «الحاج عبد» كل يوم بأشكال مختلفة مستفيداً من جهل الناس، وقد قرأنا فى المنطق عن الجن أنّه: جسمٌ خفيف نارى، يتشكل بأشكال مختلفة حتى الكلب والخنزير إلّا الأنبياء والأولياء؟

ثانياً: بالاتحاد ونبذ كل أنواع الفُرقة، فما دامت الفُرقة، ف «الحاج عبد» تبقى بيده مقاليد الأمور، وفى المثل مادام الطمع موجوداً تعيش الكلبجة ().

وكل من يشتكى من «الحاج عبد» وهو فى الوقت نفسه يفرّق بين الناس، مثله مثل من يدفع ويسحب بيد.

ثالثاً: بالاكتفاء الذاتى وقطع دابر كل حاجة إلى الأجانب من جهة الأموال والسلاح والصناعة وغيرها، فقد قال أمير المؤمنين عليه السلام فى كلمته التى لا تُثمن: (احتج إلى من شئت تكُن أسيره)().

وطالما فقدت هذه الأمور الثلاثة، فلا رجاء فى التخلص من «الحاج عبد» وقيل فى المثل: مادام ليلك كذا فنهارك هكذا.

إننا نفتقر اليوم إلى هذه المقومات الثلاثة، لا فى بلدنا العراق وحسب، بل فى أغلب بلاد المسلمين، فالمفترض أنْ نشرع فى ذلك كلٌ بقدره وبقدرته لا يكلّف الله نفساً إلّا وسعها ().

فالمرء مكلّف بما يتمكن، فإذا لم يقدر على إيجاد الوحدة العامة، عليه أن يجمع على الأقل عشرة أنفار فى هيئة أو جمعية؛ لتصبح هذه الهيئة نواة للاتحاد الكبير.

والمرء الذى لا يقدر على تصنيع البلاد، عليه أن ينجز ما هو أقل من ذلك. وأن يوجد مصنعاً صغيراً بدلاً من المصنع الكبير، فإذا عمل كل واحد منا بهذا المنطق فسيكون هناك تقدمٌ فى البلاد.

وكيف كان الأمر، فإنّ الهدف من هذا الكتاب هو توحيد الصف، وبالمناسبة يقول الشاعر الإيرانى: (اتحدت فيك الملاحة والجمال.. ولذا غزوت العالم)()، نعم بالاتحاد يُغزى العالم.

المكر البريطانى

نقل لى أحد الثقات: أنّ إيران كانت تقترب بخطوات سريعة نحو الولايات المتحدة وتبتعد بنفس المسافة عن بريطانيا.

فدبّرت بريطانيا خطة زرع الاختلاف بين الطرفين؛ لتقع القطيعة ولتستفرد بريطانيا بإيران مجدداً، وكانت هناك سقاية ماء، بناها رجلٌ من أهل الخير يُسمى نوروز خان، وكانت هذه (السقا خانه) لقدمها معروفة لدى أهل المنطقة، وإلى جانب هذه «السقا خانه» رجل أعمى يتكفف بالقُرب منها، فعزم هذا الرجل المكفوف زيارة أقربائه فى بلدته هذا فى ظاهر الأمر أما فى واقع الأمر فإنّ الأخبار السرّية ترددت أن البريطانيين أخذوه إلى لندن.

وفى لندن أجريت له عملية جراحية عاد بعدها بصيراً، ثم أرجعوه بعد أن شفى إلى محله فى طهران، وجلس فى مكانه المعتاد بالقُرب من «السقا خانه» يتكفف، وتعجب الناس الذين كانوا يعرفونه وأخذوا يختبرون بصره فوجدوه شيئاً آخر غير ذلك الأعمى الذى عرفوه فى السابق، ولمّا سألوه ماذا حدث لعينه وكيف عاد بصيراً؟

خطب فى الجماهير وقال بشكل مختصر: رأيت البارحة فى منامى أنّ سيداً جليلاً وقف بالقرب من السقا خانه وقال لى: أنا الموكّل بهذه «السقا خانه» فهل لك من حاجة؟

قلت: نعم أريد أن أبصر بعينى.

قال لى: امسح يدك على (السقا خانه) ثم ضع يدك على عينك ففعلت كما طلب منى وإذا بى أرتد بصيراً، وانتشر الخبر فى الأرجاء أنّ «سقا خانه نوروز خان» تُشفى من الأمراض وتأتى بالمعجزات! فازدحم الناس حولها وأخذ عملاء الإنجليز يبثون الدعاية، ثم فى الأثناء شفت «السقا خانه» أعرج معروفاً بالعرج فعاد سليماً، طبعاً بواسطة عملية فى لندن، وآخر مشلول اليد بواسطة عملية فى لندن أيضاً.

وأخذ الناس يأتون إلى السقا خانه زرافات زرافات، بقصد الشفاء، واعتكف المرضى حولها لا يبرحونها، ليل نهار.

وذات مرة زار السفير البريطانى السفير الأمريكى وأخذا يتجاذبان الحديث حول سخافة عقلية المسلمين، كيف أنّ السقا خانه تتحول إلى طبيب لشفاء المرضى، ومن فرط ما سمعا قررا أن يذهبا إلى «السقا خانه» ليأخذا من الناس الملتفين حولها صوراً يبعثانها إلى بلديهما،ليتعرّف الغرب على سخافة المسلمين وزارا كما قرر «السقا خانه»، وعند وصول عربتهما قرب «السقا خانه» سرت شائعة بين الناس أنّ سفير أمريكا جاء لهدم «السقا خانه» فاستعدّ له الناس البسطاء، وحسب الخطة المدبرة من قبل السفير البريطانى، ولما نزل من (العربانة)() وبيده جهاز التصوير الذى ظنّه البعض أنه قنبلة، فأسرع صاحب المقهى الذى كان قد هيأ نفسه للهجوم على السفير الأمريكى، وحمل (سماوره)() المملوء بالماء المغلى، وأفرغه على رأس السفير الأمريكى فهرب السفير البريطانى ب (العربانة) تاركاً السفير الأمريكى بين أيدى الناس، الّذين وسعوه ضرباً بالعصى والسكاكين حتى قتلوه فى مكانه ولم تفلح محاولات الشرطة فى إنقاذ حياته، وكل ما استطاعوا أن يفعلوه أنهم أنقذوا جثته من الإحراق.

وبهذه الخطة المحكمة والمُدّبرة وقعت أسوأ قطيعة بين أمريكا وإيران، وكسب البريطانيون الجولة.

ولا يخفى: أن للإنجليز فى كل مكان من العالم الإسلامى «سقاخانه‌نوروز خان»، ففى العراق صنعوا الصنيع نفسه، وقد نقل لى من شاهد ذلك مباشرة ورأى بعض مكفوفى البصر الذين شفوا ببركة «الإنجليز» فى الخفاء وببركة الشىء فى الظاهر.

ولم أستطع أنْ أتعرّف على أهداف هذه السياسة البريطانية فى العراق آنذاك.

قصة من البحرين

نقل لى بعض الثقات أن الإنجليز حرّكوا خفية قاضياً من قضاة البحرين المحترمين أن يسبّهم فى مجالسه لقاء أجر كبير، وفعل القاضى المغفل ذلك، وإذا بالناس يفاجؤون باحتجاج الحكومة البريطانية على البحرين، وتبين بعد ذلك أنهم أرهقوا كاهل البحرين بمعاهدة مذلة، أسندت هذه المعاهدة إلى إهانة حكومة بريطانيا فى البحرين علنا، فكان جزاء ذلك على البحرين أن تؤدى ثمن هذه الإهانة.

أقول: إنّ الشرق والغرب بمختلف حكوماتهم لا يزالون كالسابق، يكيدون للمسلمين ليفرقوا كلمتهم ويضربوا بعضهم ببعض،

ويضطروهم للانضواء تحت نير المعاهدات والأحلاف، والمسلمون لا يزالون على سابق عهدهم من البساطة وحسن الظن، والتسامح والغفلة، ولا علاج إلّا بتطبيق ما ذكرناه فى (حكاية الحاج عبد).

من هنا، كان يجب علينا أن ننظر إلى مصالحنا لا إلى ما تفرضه علينا سياساتهم، ويجب علينا أن نوحّد كلمتنا، وألّا ننخدع وإنْ رأينا أنّ الأعمى قد أبصر، أو الأعرج أصبح سليماً فى مشيه، وأنَّ الأبكم نطق فجأة، إلّا بعد أنْ نتحقق، هل ذلك ببركة «حيلة مخفية» أو ببركة كرامة ظاهرة.

وصدق الشاعر الفارسى الذى قال ما ترجمته: إلى الوقت الذى لا يفيق الشيخ من غفلته فإنّ القافلة ستبقى جاثمة فى مكانها().

ناصر الدين والوحدة

عندما أعلن المجدد الكبير رحمة الله عليه عن تحريمه للتنباك فى إيران، وفشل محاولات الإنجليز فى منع تحقق هذه الفتوى، فكّر الإنجليز فى إيجاد ضغط من جانب الحكومة العثمانية على الحكومة الإيرانية فى عدم نقض المعاهدة أو على المجدد لنقض الفتوى، ولذا ذهب سفير بريطانيا إلى السلطان عبد الحميد() الخليفة العثمانى المشهور، وقال له فى أول كلامه:

هل فى البلاد الإسلامية الشرقية أو الوسطية أكثر من إمبراطوريتين، إمبراطورية الخلافة وإمبراطورية الشاه؟

قال عبد الحميد: كلا، فلا حكومة ثالثة للمسلمين!

قال السفير: فمن هذا الرجل الذى يسمّى محمد حسن الشيرازى الذى يُقيم فى سامراء وما هو شأنه؟ وكم جيشه؟ أليس هو فى بلدٍ من بلادكم، وكيف يتمكن من الإتيان بجلائل الأعمال التى هى من اختصاصات الحكومات الكبيرة!

فأحسّ السلطان عبد الحميد بالمكيدة، وقال له بالحرف الواحد: إنه عالم دينى ليس له جيش ولا سلاح ولا مملكة وإنما له خادمان ينفذان أوامره، وهذا هو كل ما يملك؟

قال السفير متلهفاً: ومن هما ذانك الخادمان؟

قال عبد الحميد هما: ناصر الدين شاه وعبد الحميد فانقطع السفير وبُهت ولم يحر كلاماً، وعلم أنّ خطته فاشلة، وكان موقف ناصر الدين شاه فى دعم العالم الجليل المجدد الشيرازى هو من ثمرات الوحدة الإسلامية، وقد أفهم السلطان عبد الحميد أنه متمسك بهذا المبدأ.

أقول: وبقدر ما كانت الوحدة الإسلامية قوة ومنعة، كان التفرّق ضعف وانحطاط. ولا يخفى أنّ عبد الحميد كان إلى جانب ألمانيا، ولذا قال هذه الكلمة لسفير إنجلترا.

وقد سمعت أحداً يقول بحسرة: إن فتوى المجدد الشيرازى فى تحريم التنباك كشفت قوانا، وكانت هذه القوة مخفية؟. قلت له: أبهذه البساطة تؤخذ الأمور؟.إنّ ألف خطةٍ وخطةٍ، وألف تدبيرٍ وتدبير استُخدمت ضد المسلمين وحطمت قِواهم وسلبت دينهم ودُنياهم.

إنّ الغربيين والشرقيين على اختلافهم متفقون على تحطيمنا، وكانت أول وصايا (لينين) هدم الخلافة العثمانية وغزو إيران.

ولم تتوان جمعية الاتحاد والترقى() فى تنفيذ مآرب لينين، وكانت الجمعية مرتبطة بالاستعمار الغربى.

وجاء فى أحد بنود المعاهدة السرّية بين حكومة أمريكا وحكومة الشاه بتقويض صلاحيات رجال الدين فى إيران.

أترى كيف أن الشرق والغرب على ما بينهما من عداء ظاهرى متفقان على تحطيم بلادنا وهدم كياننا وسلب ديننا؟.

وما ذكرناه ليس إلّا سطراً من كتاب ضخم من تاريخ الكفار وكيدهم للمسلمين.

إنّهم على اختلافهم فى الأفكار متفقون على تحطيمنا، أليس ذلك حافزاً لنا على الاتفاق مع وحدتنا فى المبدأ والعقيدة والشريعة؟.

وقد قال الشاعر:

وهل ينفع العطشان إلّا فراتها

ومادام لم نفعل نبوء بغصة

هكذا تفعل الدنيا بأبنائها

كـان السـيد المسـيح عيسـى عليه السـلام يسـافر من بلـدٍ لآخر، وكان معه ثلاثـة من الـذين أظهروا الإيمان به، وفى الطريق مرّوا بمكانٍ فوجدوا ثلاث قطع من الذهب، ولما رأى الأصدقاء الذهب ارتخت أرجلهم ولم يتجرؤوا أن يأخذوها أمام السـيد المسـيح عليه السلام، إذ كان السيد المسيح رمزاً للزهد، وقد علَّمهم الزهد والعزوف عن الدنيا، ففكّر كل واحدٍ فى حيلة للانفصال عن المسيح عليه السلام. وبدأ كل واحد يتخلى عن السـيد المسـيح عليه السـلام بشكلٍ أو آخر. الأول اعتذر واستأذن السيد المسيح بالعودة والرجوع.. والمسيح عليه السلام يأذن له وينصحه بأن لا تغره الدنيا ولا يرتكب حراماً من أجلها. وهكذا الآخران.

ولما انفصـلوا عنه جاؤوا واجتمعوا على الـذهب يتنازعون عليه، وأخيراً قرروا تقسـيمه بالسوية، وعندما جلسوا للتقسـيم قالوا: نحن جياع ونخشـى إنْ ذهبنا بالذهب إلى المدينة سينكشف أمرنا، فليذهب أحدنا إلى المدينة ويشترى لنا طعاماً، قال أحدهم: أنا آتيكم بالطعام، فقد وجد هذا الثالث أنّ هذه أفضل وسيلة للتخلص من الاثنين، حيث سيضع السمّ فى الطعام، فيموتا ويصبح الذهب له وحده.

وعنـدما ذهب إلى المدينـة اتفق الإثنان أن يقتلا صاحبهما، ليخلص الـذهب لهما فيقسـمانه نصـفين، بـدل أن يكون نصـيب كل واحد منهما الثلث.

وهكـذا كـان، فقـد وضع الثـالث السّم فى الطعام، وجاء به إلى صـديقيه، وما إنْ وضع الطعام على الأرض، حتى هجما عليه وقتلاه، ثم جلسا يأكلان الطعام، فانتشر السم فى جسميهما، وماتا فى الحال.

وعندما عاد السـيد المسـيح عليه السـلام ومرّ بذلك المكان وجد الذهب فى مكانه، والثلاثة إلى جانب الذهب ممددين، فحركهم فلم يتحركوا، فعرف أنّهم ميتون، حينها قال عيسى عليه السلام لتلاميذه: هكذا تهلك الدنيا أبناءها وتبقى هى فى مكانها.

وقال الشاعر:

إنّما الدنيا فناء ليس فى الدنيا ثبوت

إنّما الدنيا كبيت نسجته العنكبوت

ولقد يكفيك منها أيها الطالب قوت

ولعمرى عن قريب كل من فيها يموت

أقول: وهذه هى عاقبة الاختلاف، فى الدنيا العار، وفى الآخرة النار.

وعلى العاقـل أن يعتبر بهـذه القصـة أكبر اعتبار إن كان له قلبٌ أو ألقى السـمع وهو شـهيد. إنّ عاقبـة الاختلاف الفشل وعاقبـة الاتحاد التقدّم واقتطاف الثمر، يقول الشاعر:

لسانك لا تُبدى به سوءة امرئٍ

فكلك سوءآتٌ وللناس ألسن

وعينك إنْ أهدت إليك معايباً

من الناس قل يا عين للناس أعين

وفى كلمـة ذهبيـة عـن السـيد المسـيح عليه السـلام قـال: (مـا لكم لاـ ترون الجـذع فى أعينكم، وترون القـذى فى أعين أخيكم). وفى الحديث: (ضع أمر أخيك على أحسنه)().

وفى حـديث آخر: (إنْ شـهد عندك خمسون قسامة وقال لك قولاً، فصدّقه وكذبهم)()، أى لا ترتّب أثراً على كلامهم، فى غير مورد الشهادات الشرعية.

وبهذه الخطوات يتمكن الإنسان من أن ينظر إلى الناس بمنظار صحة أعمالهم وحسن نياتهم وسلامة أهدافهم، وهكذا يخطو خطوة كبيرة نحو الألفة وتوحيد الكلمة.

أما إذا نظر إلى الناس بمنظار سوء الظن، وحمل أعمالهم على الفساد بأنهم خونة لصوص سُراق فاسدو العمل، فإنّه لا يجتنى من ذلك إلّا الإهانة لنفسه أولاً، وتفككك عُرى الاجتماع ثانياً، إذ: (لا يجتنى الجانى من الشوك العنب، ولا من الحنظل يُجتنى الرُطب).

لا تزكّوا أنفسكم

ذات مرة كان أحد المؤمنين فى حرم الإمام أمير المؤمنين عليه السلام ورأى زائراً يضجّ ويبكى بكاء مراً ويتوسّل بالإمام عليه السلام بأن يرد إليه نفقته المسروقة قائلاً ـ بحرقة: يا أمير المؤمنين، ليس لى مال غيره، وأنا هنا غريب وإذا لم أحصل على مالى، كان معنى ذلك أن أتكفف، وهل ترضى أنت بذلك وأنا ضيفك، وهكذا كان يقول ويكرر هذا الكلام بأسى ولوعة، وأخذ يدعو ويلحّ ويتضرع.

فتأثر هذا المؤمن من هذا المشهد تأثراً بالغاً، وتوجه إلى الإمام وأخذ يخاطبه كالمعترض يا أمير المؤمنين إذا لم تستجب دعاء هذا الرجل ولم تكشف له عن سارقه، فمتى وأين يُستجاب دعاء المؤمنين بكم؟.

وفى الليل رأى هذا الرجل الإمام عليه السلام فى المنام: ويظهر أنّه كان قابلاً لهذا المقام حتى يرى الإمام ليسمع جواباً، فقال له الإمام عليه السلام: إن كان شأننا كشف اللصوص لكشفناك أولاً وقبل سارق هذا الزائر!.

قال: وكيف يا أمير المؤمنين، وهل أنا سارق؟

قال الإمام عليه السلام: أجل، ألم تأخذ من فلان مقداراً من المال أجرة على قضاء صلاة الميت، ولم تأت بالصلوات إلى الحال؟

نكّس الرجل رأسه أمام الإمام عليه السلام وقام من منامه فزعاً مرعوباً، وتاب إلى الله تعالى عن ذنبه، وأدّى ما كان عليه من قضاء العبادة.

نعم، أيّنا منزّه حتى نحاسب الناس على أعمالهم؟

(وأى عبدٍ لك ما ألمّا)، وإنى لا أتكلم فى هذا الموضوع الآن من الوجهة الدينية والأخلاقية، بل بالنظرة الاجتماعية، وإن الإغضاء عن سيئات الآخرين أول الطريق إلى الألفة والمودة.

حزب المؤتمر وتوحيد الهند

انظر إلى الهند، فقد كان المسلمون يحكمون فيها، وقد أخذها الإنجليز من المسلمين وأعطوها إلى الهندوس، وهذه الحقيقة تظهر لمن طالع تاريخ الهند().

وإنى لأتعجب كثيراً كيف أن المسلمين طيلة ألف سنة لم يتمكنوا من إدخال جميع الهند فى الإسلام، فهل كان الشعب الهندى غير راغب فى الإسلام، أم أنّ هناك تقصيراً من قبل القادة؟ فإيران والعراق ومصر وسوريا وتركيا وإندونيسيا وغيرها من البلاد الإسلامية دخلت فى الإسلام بمجرد أن حكمها الإسلام، وقد قبلت بالإسلام طواعية لا جبر ولا إكراه، وإنما كانت الحكومة التى تأخذ البلاد ترفع الموانع التى تحول دون دخول غير المسلمين إلى الإسلام.

أمّا القسم الإسلامى من الشعب الباكستانى والشعب الهندى فليس الكلام حولهم، بل الكلام حول كل الشعب، والكلام حول هذا الموضوع طويل وله محلٌ آخر.

وإنما الكلام الآن فى أن حزب المؤتمر()عندما تشكّل لتحرير الهند بزعامة (غاندى) كان يتعامل مع شعب يتكون من ثلاثمائة دين ومئات الولايات، وثلاثمائة لغة ولهجة، وكان صعباً على حزب المؤتمر استيعاب هذا الكم الهائل والمتناقض من الشرائح الاجتماعية،

إلاّ أنه فى أول خطوة قام بها هو توحيد الجمع الهائل من اللهجات والقوميات فى بوتقة واحدة، وبعد خمسين عاماً من الجهود المضنية، استطاع أن يوحّد البلاد وينقذ العباد من الاستعمار.

إلاّ أن حالنا نحن وبعد خمسين سنة من الاستعمار، ومن العمل لأجل إزالته، لانزداد إلاّ انقساماً، وبالاستعمار إلاّ تمسكاً. والحال أنّ ديننا يأمرنا بالوحدة والتعايش والألفة، يقول القرآن الكريم: وَاذْكُرُواْ نِعْمَةَ اللّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَآءً فَأَلّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوَاناً () ويقول:

وَلاَ تَنَازَعُواْ فَتَفْشَلُواْ وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ ().

والحال أنّ ديننا واحد ولغتنا هى القرآن، وإن كانت لنا لغاتٌ شتى.

ولا قوم أفضل من قوم فى ديننا.

ألم يحن الوقت لأن ننبذ كل أنواع التفرقة، ونوحّد الصف ونقوم بنهضة جبارة نطرد فيها الاستعمار الاستيطانى والاستعمار الاقتصادى والاستعمار الفكرى من بلادنا لترجع إلينا سعادتنا وسيادتنا، ولا تُنهب ثرواتنا، ولا نقوّى الكفار على أنفسنا، ولا يصافح بعضنا الشرق وبعضنا الغرب، وتكون بيننا الحروب والمهاترات بصورة مستمرة.

والوحدة المنشودة هى التى تتم فى ظل الدين فقط.

أما الوحدة التى يريدونها تحت ظل القومية فهى سيف يقطع أوصال الأمة ويمزق الجسد الواحد().

والوحدة فى ظل حزب واحد أو مبدأ واحد هو التشتت والتفرقة والتمزّق.

أمير المؤمنين عليه السلام والوحدة

يتساءل البعض عن مغزى عدم تجريد الإمام أمير المؤمنين عليه السلام لسيفه بعد وفاة رسول الله صلى الله عليه و اله ومطالبته بحقه من أعدائه وانتقامه ممن اعتدى على فاطمة الزهراء عليها السلام؟

فى الجواب نقول: إنّ علياً عليه السلام لو فعل ذلك لذهب الإسلام ولم يبق من الإسلام حتى الاسم. كما قال ذلك لزوجته فاطمة الزهراء عليها السلام. ذلك بأن أكثر المسلمين كانوا جديدى العهد بالإسلام، وكان المسلمون محدقين بأعداء كثيرين يحيطون بهم من كل جانب، فالفرس من جانب والروم من جانبٍ آخر، كانوا يتحينون الفُرص للانقضاض على المسلمين.

فلو كان علىّ عليه السلام قد جردّ سيفه، كان يؤدى ذلك إلى انقسام الجسم الإسلامى، وكان هذا الانقسام سيؤثر على ضعيفى الإيمان الذين كانوا سيتركون هذا الدين مع أول انقسام، حينذاك لكانت الدولتان الفارسية والرومية، قد انتهزت الفُرصة وانقضّت على الدولة الفتية وقضت على المسلمين، ولكان حال الدولة الإسلامية حال دولة الأندلس فيما بعد.

لذا كان قرار أمير المؤمنين عليه السلام بعدم المطالبة بحقه وجلوسه فى البيت هو عين الصواب كما كان له فى نهوضه أول الدعوة الإسلامية فضل بدء الإسلام.

من هنا، يجب علينا أن نجعل هذه المنطلقات أمام أعيننا فى كافة تحركاتنا وسكناتنا. ثم نتقدم لتوحيد الصف وتقديم الإسلام إلى الأمام، دون الاهتمام بالامتيازات والاعتبارات الأُخرى.

مَن فرَّق المسلمين؟

قال أحد الغربيين فيما قرأته فى إحدى الكُتب: إنّ علينا نحن أنْ نصنع تمثالاً من ذهب لمعاوية بن أبى سفيان، ونضع له تمثالاً فى كل بلد، لأنه هو الذى لم يدع علياً عليه السلام أن يتقدم، وأنْ يحكم البلاد وينشر الإسلام فى الأصقاع().

أقول: من حقهم أن يثنوا على معاوية لأنه استطاع أن يشق عصا المسلمين وأن يمزّق وحدتهم ويقطع أوصالهم بحربه مع الإمام أمير

المؤمنين على عليه السلام، تلك الحرب التى حالت دون أن يتقدم المسلمون خطوة واحدة.

فلولا معاوية لكانت البشرية قد عرفت الإسلام بصورة أوضح ولاكتشفت العدالة، عدالة أمير المؤمنين عليه السلام ومساواته بين نفسه وأبسط رعيته، ولكان الإسلام قد انتشر تحت ظل هذا الإشعاع النير. وقبل معاوية هناك أيضاً من شوّه صورة الإسلام ومنع من انتشاره.

إلّا أنّ ما يسلى الفؤاد أنّ القرآن الكريم وعد المستضعفين بأنهم سيورَّثون الأرض من أيدى الكفّار، وأنهم سينتصرون بقيادة مهدى هذه الأمة (عجل الله فرجه) على الشرق والغرب فيدخل الجميع تحت ظل الإسلام العظيم.

من أخلاق الوحدويين

جاء أحد تجار إيران إلى كربلاء المقدسة فى زمن المرحوم السيد أبو الحسن الأصفهانى رحمة الله عليه وكانت معه حقوق شرعية للسيد، وكان الرجل لم ير السيد ولم يعرفه من قبل ولا حتى يستطيع أن يميّز صورته عن الآخرين.

وفى ليلة وصوله سأل عن السيد فأرشده بعضهم إلى عالم آخر كان جالساً فى حرم الإمام الحسين عليه السلام، فسلّم لهذا العالم الحقوق الشرعية التى كان يجب أن يُسلمها إلى السيد أبو الحسن الأصفهانى وهو يظن أنه السيد نفسه.

قال التاجر: فى صباح ذلك اليوم ذهبتُ إلى الحرم الشريف وتوجهتُ إلى المكان الذى يصلى فيه السيد داخل الحرم، وإذا بى أراه مختلف الوجه عن ذلك العالم الذى سلمته المال فى البارحة، لكننى قلتُ فى نفسى لعلى على خطأ فيما أرى وأشاهد من المخالفة بين العالم وبين السيد، لأن وقت تسليم المال كان فى الليل ولم يكن فى الحرم فى ذلك الوقت النور الكافى.

على أى حال: تقدمتُ إلى السيد وطالبته بورقة إيصال بالمال الذى قدمته له البارحة، وقلتُ فى نفسى إذا أعطانى السيد الإيصال فإن ذلك دليل أنه هو الذى قبض منى المال وإذا لم يعطنى فإنّ ذلك دليل على أن المال أخذه غيره.

قال السيد: لا بأس تعال إلىّ بعد شروق الشمس فى الدار.

ذهبتُ إلى السيد فى الموعد المقرر فى الصباح فى داره، فقال لى: كم كان المال؟ لأن الأموال التى استلمتها مختلفة.

فقلت له المقدار، فكتب السيد إيصالاً بالمقدار الذى ذكرته وأعطانى الوصل.

قال التاجر وفى الليلة التالية شاهدتُ العالم الذى أعطيته المال عوضاً عن السيد فى الحرم، حينها تيقنت أنّ المال لم يصل إلى السيد.

وفى الغد ذهبتُ إلى السيد وقلت له: سيدنا كيف تعطينى الوصل بما لم تستلمه، ونقلت له حكايتى مع السيد.

فردّ السيد الأصفهانى: نعم، إنى عرفت أنّك اشتبهت وأعطيت المال لفلان لأنه يشبهنى لكن ما الفرق بينى وبينه؟ أليس هو أيضاً عالمٌ ووكيلٌ للإمام الحجة عليه السلام وأنت لم تقل لذلك العالم إنّ المال للسيد أبو الحسن حتى لا يأخذه منك.

قال التاجر: خرجتُ من عند السيد وأنا متعجب من أخلاقه الرفيعة كيف يحافظ على سمعة العلماء، وكيف يواظب على وحدة الصف وإن كان فيه تنازل عن قدر كبير من المال؟

وهكذا، يجب أن يكون كل إنسان يُريد الحفاظ على وحدة الصف، فالحفاظ على الوحدة ليس بالشعار والكلام المعسول الخالى من العمل، بل بالسيرة الحسنة والأخلاق الحميدة وبالتغاضى عن الأمور الجزئية والابتعاد عن نقاط التشنج. وهى أمور ليست بسهلة، وليس كل واحد قادراً على التمسك بها، لذا ترى القائلين بالوحدة كثيرين والعاملين به قليلين، بل أقل من القليل.

وحدة صفّ المقاتلين

استغرب القادة العسكريون فى بلاد فارس من تقدّم المسلمين وانتصارهم عليهم بالرغم من قلتهم عدداً وعدةً، وضعف كفاءتهم العسكرية، فى وقتٍ كان الجيش الفارسى يتفوق عليهم فى العدَّة والعدد، وفى الكفاءة العسكرية وفنون القتال، ومن الخبرات الكثيرة

التى اكتسبها فى حروبه الماضية مع الروم وغيرهم.

فكان انتصار المسلمين عليهم مدعاة لأن يعيدوا النظر والتفكير فى أساليبهم وخططهم، فاجتمعوا للتشاور فيما بينهم وأخذوا يدلون بدلوهم ويطرحون آراءهم.

قال أحدهم: إنَّ السبب هو الدين الذى يقاتلون باسمه؟

وجاء الجواب من أحدهم: كلا- إنّ دينهم مزيّف حسب عقيدة الفرس يومذاك ثمَّ إنَّ الدين لا- يُوجب أى تقدم، أليس الرومان أصحاب دين، والفرس قد انتصروا عليهم؟

قال آخر: إنّهم سحرة.

فأجابهم آخر: كلا، فالسحر لا يوجب انتصاراً فى الحرب، ولا يتسبب فى هزيمة جيش بأكمله.

وقال ثالث: إنّه بالصدفة انتصر المسلمون وليس هناك سبب حقيقى وراء انتصارهم.

فأجابه البعض: كلا- لا- يمكن أن نؤمن بالصدفة، فالصدفة لا- تكرر الشىء نفسه، ثم هل التكتيك الحربى يعرف الصدفة؟ وهكذا دواليك.

وقال أحدهم: أرى من الأفضل أن نسأل المسلمين أنفسهم وذلك بأن نختطف أحدهم ونسأله عن علة انتصارهم علينا، فاستحسن الجميع هذا الرأى. فبعثوا بقوة عسكرية لخطف أول مسلم يجدونه منفرداً ويأتون به إليهم.

وفعلاً تم خطف جندى من جنود المسلمين وجاؤوا به إلى خيمة القيادة، ولما أراد المسلم الجلوس، جمع ما تحته من الفراش وجلس على الأرض، فأثار ضحك واستهزاء الجميع.

ثم إنهم قالوا له: كان عندنا سؤال أردنا أن نسألك به، والآن صار السؤال سؤالين؟

قال المسلم: وما هما؟.

قالوا: أما السؤال الأول فهو: لماذا جمعت الفراش من تحتك وجلست على الأرض؟.

السؤال الثانى: كيف استطعتم أنتم معاشر المسلمين أنْ تحققوا النصر علينا مع قلة عددكم وعُدتكم؟.

أجاب المسلم: أما الجواب عن السؤال الأول فهو، إننا نعمل بتوصيات نبينا صلى الله عليه و اله بأنْ نساوى بين أنفسنا وبين الآخرين سواء فى الحضر أم فى المغيب، وإخوانى المسلمون فى جبهات القتال لا فراش لهم، فكلهم عندما يجلسون، يجلسون على الأرض، وكان حرياً بى أن أتأسى بهم، وأشاركهم هذا الأمر، بأنْ أمتنع عن الجلوس على الفراش.

أما الجواب على السؤال الثانى: نحن وحدة واحدة ليس بيننا من يشعر أنّه فوق الآخرين، ولذا إذا أجار جيش العدو أحدنا كأنما أجاره القائد،.وبهذه الروح تتقوى عزائمنا وتتضاعف إرادتنا وتشتد سواعدنا على القتال فنغلب الأعداء.

قالوا: وهل بإمكانك أنت أن تجير جيشنا؟

قال: نعم.

قالوا: فأجر حتى نشاهد صدقك عن كذبك؟.

قال: لا بأس، ثم أخذوه إلى ساحة المعركة فصاح فى المسلمين: أيها المسلمون، إنى قد أجرت جيش الفرس يوماً وليلة، فقبل قادة الجيش الإسلامى إجارته لهذا الجيش، وكفوا عن القتال فى المدة المقررة.

وهنا أخذ القادة من الجيش الفارسى ينظر بعضهم إلى بعض، ثم يشيرون إلى حقيقة لم يكن باستطاعتهم طمسها هى أنّ وحدة المسلمين المتماسكة والصادقة، هى السبب فى تقدمهم وانتصارهم.

الهيئات نواة الوحدة

تقدّم الكلام فى السابق أنّ توحيد الصف يحتاج إلى الوعى الكامل وإلى انخراط المسلمين ومشاركتهم فى هيئات وانتظامهم فى منظمات عامة فى الحقول المتنوعة، كحقول تتعلق بأمر الدين وأمر الدنيا، ثم وجود تناسق وتناغم مشترك بين هذه الهيئات والمنظمات بحيث تشكل بمجموعها نسيجاً واحداً متكاملاً، كنسيج الجيش الواحد الذى يتكون من رتل مدرعات ورتل طيارين ورتل مظليين ورتل مشاة وهكذا.

وممّا هو جديرٌ بالملاحظة أن أسوأ ما تُمنى به الهيئات العاملة هو سوء ظن بعضها بالبعض الآخر، وكيل التُّهم جزافاً، ثم المقاطعة ثم عمليات التخريب، مما يصرف كل الطاقات أو أغلبها فى الهدم عوضاً عن البناء، ولذا يصبح ضرر هذه الهيئات فى مثل هذه الحالة أكثر من نفعها فى بعض الأحيان.

لنفترض أنّ هناك فى بلدٍ إسلامى جمعية عاملة ومجلة ومدرسة ومكتبة ونادياً، فالجمعية تقوم بتوجيه اتهام الجمود إلى أصحاب المجلة، وأعضاء المجلة يتهمون طلاب المدرسة وأساتذتها بالعجز عن أداء الخدمة الإعلامية المطلوبة، وطلاب المدرسة يتهمون أعضاء المكتبة باستغلال المكتبة لأغراضهم الشخصية، وأعضاء المكتبة يتهمون المنتسبين إلى النادى بانحرافهم عن الخط الإسلامى، وما ذكرناه من باب المثال، كما هو واضح.

لماذا هذا الاختلاف؟

لماذا هذا التنافر؟ لماذا هذا التراشق بالاتهامات؟

أليس الجميع يعملون لهدف واحد؟

أليس الواحدة من هذه الهيئات تكمّل الأُخرى؟

وهل مساحة العمل باتت ضيقة إلى الحد الذى لا تتسع للآخرين حتى يتكالب كلٌ ضد الآخر، فباستطاعة أصحاب الجمعية أن يفتحوا مدرسة، وأصحاب المدرسة أن يفتحوا مكتبة، وأصحاب النادى أن يفتحوا مدرسة وهكذا، فالبلاد الإسلامية هى من السعة بحيث لو أضفنا جميع هذه الأنشطة لما استطعنا أن نستوعبها بكاملها، فالبلاد الإسلامية بحاجة إلى مئات الألوف من المؤسسات والهيئات وغيرها.

وعندما يدخل أىّ مسافر إلى مدينة ما ويرى الأنشطة المكثفة يفرح من قلبه، ويقول: كم هذه المدينة ممتازة وفيها أنشطة كثيرة، لكن ما أن يدخل مدينة أخرى خالية من الأنشطة حتى تشمئز نفسه مما يرى فيقول: يا ليت بينى وبينها بُعد المشرقين، فالذى يراه هو المهاترات والتخريب وكيل الاتهامات والقطيعة.

سألتُ أحد العلماء وقد زار مدينة من هذا القبيل، كيف وجدتها؟ قال: وجدتها معملاً للغيبة والتهمة.

أقول: إنّ أية هيئة عاملة إنْ أرادت التقدم السريع واستقطاب أنظار الناس فليس عليها إلّا أن تشتغل بعيوب نفسها عن عيوب الآخرين سواء كانت هذه العيوب عيوباً حقيقية أو عيوباً وهمية، فإنّ من عادة الناس تعظيم العامل الصامت واحتقار العامل المهاجم، مهما كان له من مبررات التهجم.

إنّ الهيئة إذا لم تتمكن من قطع الطريق أمام المهاترات لا تستطيع العمل بصورة دؤوبة، وهنا تتحقق نصف المهمة وهى إيقاف نصف الحملات؛ لأنّ كل هيئة إذا امتنعت عن المهاترات معناه: زوال نصف هذه المهاترات، ويبقى النصف الآخر من مسؤولية الطرف الآخر.

حكمة بهلول

يُقال فى التاريخ: إنّ كفّاً خرجت من دجلة فى زمن الإمام موسى بن جعفر عليه السلام حيث كان سجيناً ببغداد، وقد تفرّجت أصابع الكف، وتحيّر الناس فى أمرها لمن هى؟ وما المقصود منها؟ وخافوا أن يذهبوا قريباً منها وازدحم الناس حول النهر ينظرون إليها باندهاش كبير، وأُخبرت السلطة العباسية بذلك، فأرسلت من يذهب إلى الماء ليجد أصل الكف؟ لكنهم فوجئوا بأنّ الكف متصلة

بذراع كأنها حديد لا تتحرك ولا تتزحزح، قال البعض: إنّ ذلك من الغيب، وقال آخرون: إنّه سحرٌ، وفسّر كل واحد منهم تفسيراً.

وبينما هم فى اختلاف واضطراب، مرّ بهلول() فوقف قبال الكف ورفع يده وقد قبض أصابعها إلّا إصبعى السبابة والوسطى، وإذا بالكف الخارجة من دجلة تغوصُ فى الماء وتغيب، فتعجب الناس من هذا الحادث وسألوا بهلولاً عن السبب؟.

قال: إنّ الكف كانت تشير إلى أنه لو اتحدّ خمسة تمكنوا من التقدم، لكنى أشرت اليها بأنه لو اتحد إثنان تمكَّنا من التقدم، ولما رأت الكف صدقى غابت بعد أن وصلت إلى مرادها من توعية الناس إلى طريق التقدم.

فهل هذا صحيح؟ نعم مائة فى المائة، ولكن بشرطها وشروطها.

من المعروف أنّ كفاً واحدة لا تُحدث صوتاً إلّا إذا انضمت إليها أكفٌ أخرى، وهذا غير صحيح.

جرّب: اضرب يدك على الحائط أو أى جسم صلب ثم انتظر هل تُحدث اليد الواحدة صوتاً؟ أليس أول كل حركة فكرة إنسان ثم إنسان ثان ثم ثالث، وهلمّ جرّا.

الرسول الأعظم صلى الله عليه و اله كم فرداً كان أول ما نزل عليه الوحى؟ وكم فرداً كان السيد المسيح عليه السلام، وكم فرداً كان موسى عليه السلام،وكم فرداً كان غاندى()؟.

فكل الأديان والمذاهب والتيارات، حقاً كانت أو باطلاً، ابتدأت بفرد، أما شرطها وشروطها، فالشرط الأساسى هو الاستقامة، والشروط هى: الحزم والصبر ومعرفة الظروف والاستفادة من الفُرص.

ولعلّ الكفّ التى ظهرت فى نهر دجلة إن كان الأمر واقعاً كانت تُشير إلى إمكان التخلص من هارون وظلمه بالاتحاد أو كانت تشير إلى إمكان خلاص الإمام عليه السلام من السجن بالاتحاد، وسواء أكان هذا أم ذاك فلم يعمل المسلمون للتخلص من هارون وعصره المُظلم الأسود.

ولم يُقدم الشيعة على تخليص الإمام عليه السلام من السجن فذاقت كلتا الطائفتين وبال عدم عملهما.

ربَّ مشهور لا أساس له

اشتُهر عند جماعة من المغفلين تسمية عصر هارون العباسى() بالعصر الذهبى، لنرى هل صحيح هذا أم مغالطة؟ أم أنّ ذلك من قبيل قلب المفاهيم كما يُسمى الأسود أبيض والأعمى بصيراً؟.

إنّه يكفى للدلالة على ظلم هارون أن نعرف أنه أقام حكومته على أجساد العلويين، وكان يقتل فى كل ليلة ستين علوياً بين شيخ وشابٍ ويلقى بجثثهم فى البئر()، لا لظُلم اقترفوه إلّا لأنّهم قالوا له: قف عند حدّك ولا تتخذ مال الله دولاً وعباده خولاً، ويكفى قتله للإمام موسى بن جعفر عليه السلام بعد أن سجنه وقد أطال سجنه لا لجرم ارتكبه، إلّا لأنه عالمٌ عابدٌ مصلٍ صائمٌ يهدى إلى الحق، ويرشد إلى الصواب..

وفى دولة هارون كان الفجور والخمور والخلاعة المنتشرة فى البلاط العباسى، وكان هارون أول من يعقر كاسات الخمر مع ندمائه من أمثال أبى نُواس()، ولا مكان للأخيار فى حكم هارون العباسى، ثم ماذا كانت حصيلة ذلك المُلك العريض الذى يُقال عنه إنه كان يقول للسحابة: «أمطرى حيث شئت فسيأتينى خراجك» ().

فهل كان فى عهد هارون اختراعٌ علمى بالمستوى المطلوب؟.

أم تقدمٌ فكرى؟.

أم تقدّم حضارى؟.

هل تم اكتشافٌ علمى فى عهد هارون العباسى بالمستوى المطلوب؟.

إنّ من المخجل حقاً أنْ يُسمّى عهد هارون بالعصر الذهبى وهو الذى يسهر الليالى مع الغلمان والجوارى، يعقر الخمور ويرتكب

الفجور، لقد فاتت هارون الفرصة الذهبية. فكان باستطاعته أن يجهِّز الجيوش لنشر دين الله الحنيف، وكان بمقدوره أن ينشر الفضيلة والتقوى، وكان باستطاعته أن يفتح فى كل قرية مدرسة لكثرة العلماء ولوفرة الأموال، فماذا فعل هارون حتى يستحق هذا اللقب؟.

هل ترك شيئاً يستحق الذكر والتفاخر؟!، فهؤلاء البابليون والكلدانيون والفينيقيون والسومريون والآشوريون والفراعنة والساسانيون وغيرهم وغيرهم ذهبوا وتركوا لنا آثاراً تدل على حضارتهم وتقدمهم.

أما هارون فماذا ترك لنا وذهب؟.

أجل ترك لنا قصائد المجون التى كانت تُتلا فى مجالسه.

ترك لنا حفلات الرقص والغناء والزنا وصنع المخنثين وشرب الخمور ولعب القمار.

ترك لنا كبت الحريات وخنق الأنفاس وإشاعة الفوضى وقتل الأبرياء.

لقد بيّض هارون العباسى وجه جنكيز خان()..

ونيرون()، وهتلر()، وموسولينى()، وستالين() وأضرابهم.

إن من المخجل حقاً أن يأتى أديسون() بموارده المحدودة بثلاث آلاف اختراع، أحدها الكهرباء ويؤتى بمُلك هارون الواسع والعريض ببضع ترجمات لبعض الكتب وساعة إن صحت هذه المقولة، فعلى أى منطق يُسمى هذا العصر بالعصر الذهبى؟!

إقصاء العلماء عن الحياة

برع الغربيون وعملاؤهم فى العراق فى ابتكار آخر الأساليب والطرق التى تكفل لهم إزاحة علماء الدين والمتدينين عن مراكز الحكم، مستخدمين شتى الحيل فى ذلك، مثل: أسلوب الاتهام وأسلوب التجميد وأسلوب القتل والتشريد وأسلوب الإغراء.

فقد كان العلماء مُتّهمين بمختلف التّهم المزعومة، اتُهموا بالتجسس والعمالة كما كان يحدث فى زمن الملكيين والجمهوريين فى العراق، وكان الإنجليز إذا أرادوا تحطيم سمعة عالم من العلماء، اتهموه بالعمالة لهم.

واستخدموا أساليب التجميد، فقد رأيتُ شخصاً كبيراً، التفّ حوله جماعة من المرتزقة، وأدخلوا فى روعه أنهم ثقات، ثم جمّدوه عن التحرك بوحى من عملاء المستعمرين.

وأما أسلوب القتل والتشريد، فالجميع يعلمون، كم قتلوا، وكم شردوا من رجال العلم ومن المتدينين؟.

وأما أسلوب الإغراء؛ فأتذكر أن السلطات كانت تمدح كل رجل دين لايأمر بالمعروف ولا ينهى عن المنكر ولا يتدخل فى الأمور الاجتماعية، وكان الرؤساء والمسؤولون يزورون كل من هو على هذه الشاكلة، بينما كانت الحكومة تهمل زيارة العالم النشط وتذمُّه قائلةً له: ما له والتدخل فى الشؤون السياسية؟! فالواجب عليه أن يصلّى جماعة وأن يستخير ويُجيب عن الأسئلة الفقهية فقط.

وفى نظر السلطة أن واجب الخطيب هو وعظ الناس وإرشادهم فقط وتعليمهم الصلاة والصيام ثم ذكر مصيبة الإمام الحسين عليه السلام.

وأخذت هذه الفكرة، تنتشر فى المجتمع، فالناس على دين ملوكهم، وهكذا حتى وصلت الحالة إلى أن (ذكر المقارنة بين الدجاجة المحلية والدجاجة الأمريكية) صار سياسة. وأن التكلُّم حول تحريف اليهود للقرآن، صار سياسة، وهى أمور محظورة!.

وقامت السلطات باعتقال أحد الكتّاب؛ لأنه كتب كتاباً حول تحريف اليهود للقرآن الكريم()!.

الاستعمار ورجال الدين

ومن باب الطريفة: أنّ خطيباً صعد المنبر وقال: أيها الناس، إن الإمام الحسين عليه السلام، أصابه الزكام فى المدينة المنورة فى يوم من الأيام، ثم اشتدّ مرضه، ولم ينفعهُ معالجة الأطباء حتى ابتلى بمرض ذات الرئة، وتوفى هناك!، ثم شيع جثمانه تشيعاً لائقاً به وصلى عليه

ولده الإمام السجاد عليه السلام، وأودع فى البقيع على رسم الأمانة، ثم نقُل جثمانه الطاهر إلى كربلاء المقدسة!.

ثم نزل الخطيب من المنبر بعد أن أدّى مراسم الدعاء، فضج الناس لكلامه هذا، مستنكرين هذا التحريف، وانتشر خبر الخطيب فى الأرجاء، فاستدعى من قبل السلطة؛ يسألونه عن كلامه هذا وما مغزاه، وأرادوا إدانته؛ لأنه تسبب فى البلبلة.

قال لهم الخطيب: إنكم تمنعون الخطباء من التكلم فى هذا الموضوع، فإذا قلتُ: يزيد بن معاوية الخمار، أو يزيد المستبد، أو يزيد اللاعب بالكلاب قتل الحسين عليه السلام العابد، الزاهد، المصلّى، الصائم، الآمر بالمعروف، والناهى عن المنكر، والمجاهد فى سبيل الله، قلتم: لِمَ ذَكَرت الخمر، وذكرت الاستبداد، وذكرت لعب الكلاب، وذكرت الأمر بالمعروف، والنهى عن المنكر، وذكرت الجهاد؟! وإذا لم أذكر هذا وذاك، فعلمونى كيف أذكر مصاب الإمام الحسين عليه السلام، وماذا أقول فوق منبرى؟ وهل تأمرون بأن أترك المنبر وأصبح بقالاً؟!

هكذا استطاع المستعمرون وأذنابهم، أن يصادروا الوعى من عند المسلمين، وتبعاً لانعدام الوعى أصبح المسلم يظنّ أنه غير مسؤول، ولذا أخذ كلٌّ جانباً، وتجنّب العمل، خصوصاً العمل الاجتماعى الذى هو المقصود فى ما نحن فيه، وإذا أراد الإنسان العمل، نصحه أصدقاؤه بترك العمل؛ خوفاً من المشاكل، وحتى إذا تبنى العمل، فإنما يتبناه إذا كان عملاً سطحياً، ويتجنب الأعمال التى فيها عمق.

إنّى رأيتُ أشخاصاً، يتجنّبون التفاف الشباب حولهم خوفاً من أن يُقال لهم: إنّه (حزبى)، كما رأيت شباباً يتجنّبون العمل خوفاً من التهمة نفسها، كما رأيت أناساً يتجنبون التكلُّم حول الاقتصاد،والحريات الإسلامية،وحقوق العامل والفلاح؛ خوفاً من أن ينسب إليهم التبعية للرأسمالية أو الشيوعية.

إنَّ عملية الإنقاذ بحاجة ماسَّة إلى العمل، والعمل لا يثمر إلّا عندما يصبح عملاً جمعياً، فالعمل الفردى فوائده قليلة جداً ف يد الله مع الجماعة ()، والعمل الجمعى لا يكون إلّا بالوعى، والوعى له مقومات من أهمها: الرؤية الثاقبة، والممارسة الصحيحة. فبدون الرؤية، لايتحقق الوعى، كما وأنه بدون الممارسة لا تكمل الرؤية، قال الله تعالى: وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا () فالهداية الكاملة إنما تكون بممارسة الجهاد.

إنَّ مَثل الهداية مثل الاكتشاف، فكل اكتشاف يفتح للإنسان الباب لاكتشافٍ آخر مكمّل للاكتشاف الأول. كذلك الجهاد، وهو من ثمرات الهداية البدائية فهو سببٌ للهداية الكاملة، ولذلك قال سبحانه: سُبُلَنَا بلفظ الجمع لا بلفظ المفرد.

وكيف كان، فاللازم على المتدينين أن يزدادوا وعياً، وأن يعودوا بقوة إلى مزاولة الحياة، سياسياً، واقتصادياً، وغير ذلك من سائر الحقول، وإلّا فمادام المتدينون منسحبين عن الحياة لا يتمكنون من إقامة كلمة الله وحكم الله فى الأرض، فالكلمة والحُكم لمن سيطر، محقّاً كان أم على باطل.

من مقومات الحركة

من أهم مقومات أية حركة هم الجماهير، فمن فقد الجماهير؛ لا يتمكن من الحركة، ومن وجد الجماهير، تمكّن من الحركة، والجماهير كانوا ولا يزالون على نمط واحد، فبمقدار ما تتمكن الحركة من كسب الجماهير، تتمكن من الوصول إلى أهدافها، وإلّا فهى لا تقدر على شىء.

إنَّ العالِم الدينى الذى لا جماهير له، لا مقلِّدين له أيضاً، والخطيب الذى لا جماهير له، لا يُسمّى خطيباً، والمؤلف الذى لا جماهير له، لا قيمة لكتبه، والإمام الذى لا جماهير له، لا يتمكن من إقامة صلاة الجماعة، وحتى الحاكم الذى لا جماهير له يسقط بصورة طبيعية، أو يُسقطونه بالقوة، لذا فإنّ من أراد العمل، أول ما عليه هو الحفاظ على الجماهير بكل ثمن، والإنسان إذا لاحظ المصلحين والمراجع الكبار، رأى أهم ميزة فيهم أنَّهم يلاحظون الجماهير، حتى قال رسول الإسلام صلى الله عليه و اله: (إنه ما من مرة نزل علىّ جبرائيل إلّا وأمرنى بمداراة الناس)().

فمن تبجّح بأنه صريح، وأنّهُ لا يعرف المداراة، يجب عليه أن يعيد النظر فى تعامله، فالمداراة هى أساس النجاح فى العمل، مثلاً الخطيب الصريح الذى يستمع إلى مواعظه ألف إنسان؛ يجب أن يعلم أنه إذا كان مُدارياً، كان سامعوه خمسة آلاف.

كما وأن توحيد الفئات، ورصَّ الصفوف بحاجة إلى المداراة، والمداراة لا تعنى ألَّا يكون الإنسان صريحاً بل يجب أن يكون صريحاً بتعقل وحكمة. وهذا معنى المداراة().

مداراة المجدّد الشيرازى

يُنقل عن المجدد الشيرازى رحمة الله عليه أنّهُ وكَّل عالماً على بلدة، وبعد مدة قصيرة تصرَّف ذلك العالم ببعض التصرفات غير اللائقة، وجاء بعض الثقات إلى المجدد، وأخبروه بتصرف ذلك العالم المشين، وطلبوا منه عزله، لكن المجدد لم يعزلْه. وتكرّر الأمر فى المرة الثانية والثالثة، وفى كلِّ مرَّةٍ، كانوا يراجعون المجدد، و المجدد لا يحرك ساكناً حتى طار صوابهم، فقالوا للمجدد بعد نفاذ صبرهم: هل أنتم فى شك من كلامنا؟!.

قال المجدد: كلا، فإنى أعتقد بما تقولون، ولكنى أفكرُ فى شىء وهو أنّ هذا العالم، كان له من المنزلة عند الناس مقدار خمسين فى المائة مثلاً ووكالتى له زادته خمسين فى المائة أخرى، فصار اعتباره مائة فى المائة، فإذا عزلته أخذتُ منه ما كان له وما زدته أنا، ولا يحقّ لى شرعاً أن آخذ ما كان له، ولذا أفكرُ فى طريقة أستطيع بها أن آخذ ما زدته وأبقى ما كان له من الخمسين مثلاً.

أقول: مثل هذا المرجع المدارى للناس إلى هذا الحد، يستطيع أن يحقق وحدة الصف، وبالتالى يتمكن ومن خلال الوحدة أن ينسف المستعمر بفتوى واحدة.

جاسوس بزىّ راهب

روى لى أحد الثقات، قال: جاء إلى مدينة كربلاء المقدسة أحد الوزراء فى العهد القاجارى()، وكان صديقاً لى، وإنّه حكى لى هذه الحكاية:

قال الوزير: كان فى بعض الجبال الموجودة فى أطراف طهران راهب مسيحى، يتعبّد لله فى صومعته منذ عشرات السنين، وكان بمرأى ومسمع من القوافل الذاهبة والعائدة، وكان الناس معجبين بعبادته وانقطاعه عن الناس.

وفى ذات يوم جاءنى إنسان وقال: إنّ الراهب الفلانى يدعوك فى يوم كذا فى صومعته، قال الوزير: فتعجبتُ وقلتُ فى نفسى: ما للراهب ولى؟ ولكنى لبّيت دعوته.

وفى اليوم المحدد، ذهبتُ إليه، وإذا بى أرى جماعة من الشخصيات أيضاً عنده مما تبين أنهم كانوا مدعوين، مثلما أنا مدعوٌ، وكل من جاء كان متحيراً من هذه الدعوة غير المرتقبة.

قال: فتكلّم الراهب، وبلغ عمره مائة ونيفاً، حسب ما يظهر من تقاطيع وجهه.

قال: قد انقضى عمرى وقرب موتى، ولا أظن أنّه بقى من عمرى إلّا أيامٌ معدودات، وأنى دعوتكم لأمرين:

الأمر الأول: أن أظهر الإسلام أمامكم؛ لتشهدوا لى يوم القيامة عند رسول الله صلى الله عليه و اله بإسلامى، فإذا متُّ جهّزوا جنازتى حسب المراسيم الإسلامية، فإنى بمطالعاتى اقتنعتُ أنَّ الإسلام على حقٍّ، وأنَّ المسيحية منسوخة.

الأمر الثانى: أُريد أن أُبيّن لكم حقيقة مهمة، وهى:

أنى ومنذ شبابى أسكن هذا الجبل وفى هذه الصومعة، وفى الظاهر أنا راهب، ولكن فى الباطن كنتُ جاسوساً بريطانياً على إيران، وكنت مركزاً للأخبار التى أجمعها بواسطة عملائى عن العشائر والبلاد، وكنتُ أراقب تحركات إيران، وأُقدم التقارير حول هذا الأمر، وقد تبتُ إلى الله عزوجل، بعدما عرفت أحقِّيَّة الإسلام عن سالف أعمالى وإنى أعلمكم أن هناك من أمثالى الكثير فى البلاد

الإسلامية وهم جواسيس متلبسون بلباس الرهبانية أو الأطباء أو ما أشبه ذلك، وأعمالنا الرئيسية هى الاستطلاع وإيجاد الفرقة والاختلاف بوسائلنا الخاصة،فلا تعتمدوا بعد ذلك على مظهرنا الخارجى.

قال الوزير:

إن الرجل قال كلامه هـذا وقد تعجب الجميع من ذلك، وكان عجبهم من الأمر الثانى أكثر من عجبهم من الأمر الأول؛ إذ ليس هناك من يستطيع أن يستوعب أن مثل هذا الراهب المنقطع فى هذا الجبل لعشرات السنين، يصبح جاسوساً بهذا الزّى.

قال الوزير:

ولم تمض بعد ذلك إلاّ مدّة قليلة حتى أُخبرنا بأنَّه قد مات، وعمل بحسب وصيته من تجهيزه ودفنه فى مقابر المسلمين().

أقول: المشكلة ليست فى بعث الجواسيس إلى بلادنا، المشكلة تكمن فى ضعف الجسد الإسلامى وتمكن الجواسيس من اللعب بمقدرات المسلمين، فالميكروب موجودٌ فى الهواء دائماً لكن لا يصيب إلاّ الإنسان الضعيف قليل المناعة، أما قوىّ المناعة فلا يُصاب بالميكروب أبداً.

فالحكومة العثمانية() والحكومة القاجارية، لم تكونا بالمستوى المطلوب، ولم تكونا بالدرجة المثلى، فبينما كان الغرب يتقدم أشواطاً إلى الأمام، كانت الحكومتان ترقدان فى نومٍ عميقٍ، وكانتا تكرران عبارة (الإسلام يعلو ولا يعلى عليه)()، وكان حكامهما يعتقدون أنّ هذه العبارة كافية لصنع التفوّق، ناسين أو متناسين الآية الكريمة: وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ (). والآية الكريمة ثُمَّ أَتْبَعَ سَبَباً (). والحديث الوارد عن أبى عبد الله عليه السلام: (أبى الله أن تجرى الأشياء إلاّ على الأسباب)().

لقد ولّى ذلك العهد، ولم يعد للحكومة القاجارية، ولا للحكومة العثمانية وجودٌ بيننا.

وهلُمّ إلى واقعنا اليوم:

فهل حكوماتنا اليوم بالمستوى اللائق؟

وهل شعوبنا حسب الوصف المطلوب؟

ذلك سؤالٌ يُجيب عليه منطق تأخر المسلمين القاتل. ومنطق تفوُّق الغرب والشرق الساحق.

فمن غير المشكوك إخلاص بعض الجماعات فى الشعوب، ولكن هل الإخلاص وحده ينفعنا؟، إنَّه ما لم نأخذ نحن المسلمين بكل أسباب الدنيا، بالإضافة إلى الأخذ بأسباب الدين، لا يمكن أن نتفوق مطلقاً، فإذا أخذنا بالدنيا وحدها، وعلى فرض تمكننا الكبير فى مجال الدُنيا وإحاطتنا الكاملة بها، إلاّ أننا سنكون حينذاك مساوين لغيرنا فى هذا المجال، أما إذا أخذ بالدنيا وبالدين معاً فسنتفوّق على الآخرين، ولَتقدمنا على الآخرين؛ لأن ما عندنا ونحن متحدّون أكثر مما لدى الآخرين.

فلو جمعنا الموارد فى بلادنا الإسلامية لكانت أكبر من موارد الولايات المتحدة وأكبر من موارد أية دولة عظمى أخرى.

ومعنى ذلك سيكون عالمنا الإسلامى هو القوة العظمى لكن هذا لا يتحقق إلاّ من خلال الدين.

فالدين وحده يوحدنا ويرتب صفوفنا.

أمّا إذا تخلينا عن الدين، فسنبقى متفرّقين متمزّقين، والتمزّق لا يأتى إلاّ بالتراجع إلى الخلف، بالإضافة إلى أنّ البعثرة والتشتت ستزيدنا ضعفاً على ضعفنا؛ لأن الواحد منَّا سيُحارب الآخر، وهذه هى النتيجة الحاسمة لكل بعثرة وتشتّت.

تطويق الخلافة العثمانية

لقد اشتركت الحكومات الغربية بأجمعها فى تمزيق الخلافة العثمانية، وبالأخص دولة بريطانيا()، ومن شاء المزيد من المعلومات فى هذا المجال عليه بكتاب (أعمدة الحكمة السبعة) للورنس العرب، وسيجد أن الدور الذى كان يقوم به لورنس هو توجيه فيصل بن الحسين توجيهاً مباشراً()، وفيصل يومذاك كان من أبرز القادة العرب الذين قاموا بالثورة ضد العثمانيين.

إنّ فيصلاً وأمثاله، كانوا يعملون من الداخل، أمّا الإنجليز والفرنسيون والروس، فكانوا يعملون من الخارج، حتى تمكنوا من هدم الإمبراطورية الواسعة الأرجاء().

وممّا يذكره لورنس: لمّا دخل فيصل سوريا فاتحاً، ضرب موعداً بينه وبين (الجنرال أللنبى)()، ذهب فيصل إلى (أللنبى) برفقة لورنس().

فكان ممّا قاله لورنس عند لقاء الطرفين: (لقد قُدتُ الهلال إلى الصليب بعد حرب دامت ألف سنة)().

والإشارة إلى الحروب الصليبية التى فتكت بالأمة الإسلامية، والتى انتهت إلى انتصار الصليب على الهلال، ذلك الانتصار الساحق؛ وأى انتصارٍ كان أعظم من انتصار الكفار على المسلمين، انتصاراً فكرياً وعملياً، ذلك الانتصار الذى هدَّم دنياهم، وجعلهم يتركون دينهم، وهذا ما يُعبَّر عنه بالاستعمار الفكرى. وتتكرر المأساة اليوم مرّةً أخرى ومرّةً ثانية وثالثة.

فالمسلمون؛ تراهم اليوم أكثر سرعة من الغرب فى تمزيق الإسلام، فهل كانوا مجبرين على وضع القوانين المخالفة للإسلام؟!

وهل كانوا مجبرين على إباحة الخمور وبيعها بصورة علنية فى أسواق المسلمين؟!

وهل كانوا مجبرين على إباحة الربا فى البنوك؟!

وهل كانوا مجبرين على أن يميز الواحد منهم الآخر، هذا كردى، وهذا عربى، وهذا تركى، وهذا فارسى؟!

لقد اتجهت حكوماتنا الإسلامية إلى الأمور الجزئية، وتركت الأمور الرئيسية، اتجهت الحكومة العثمانية إلى سياسة التتريك بدلاً من سياسة نشر الوعى الدينى.

وأخذ الولاة المسلمون، يحتقرون المسلمين من غير الترك، كما أخذوا يُضيِّقون الخناق على الشيعة فى العراق() وغير العراق، ولذا وجدنا الجميع، قد ثاروا ضد الخلافة العثمانية؛ لأنَّها كانت حجر عثرة أمام تقدّم المسلمين فى عصر كانت فيه كل الشعوب تتسابق نحو التقدم.

وبسبب هذه السياسة الهوجاء، قامت الشعوب بالثورة على الخلافة العثمانية، وقد تصدّى العثمانيون للثوّار بشكلٍ قاسٍ فنصبوا المشانق، وساقوا الناس إليها.

فكل من اطّلع على حياة «بالدز» فى تركيا، ومجازر جمال باشا السفاح فى لبنان وسوريا، ومجازر حمزة بك فى العراق، يدرك حجم ذلك؛حيث إنهم قتلوا ونكّلوا وعذّبوا الأبرياء وسجنوا الصالحين وصادروا أموال الناس.

وكان الأمر يزداد سوءاً على سوء، وقد اغتنم الغرب والشرق تلك الفُرصة الذهبية للانقضاض على الخلافة العثمانية، وتمكّن الغربيون من تحطيم هذا الكيان خلال بضع سنوات بينما استغرق بناؤه أكثر من خمسة قرون.

ويعود السبب فى ذلك إلى التفرقة، وصدق الله سبحانه وتعالى حيث يقول: وَلاَ تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ () و وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللهِ قِيلاً ().

كانت سوريا الكبرى جزءاً من الخلافة العثمانية، وكانت تضم كلاً من لبنان وفلسطين والإسكندرونة وسوريا والأردن، فكل هذه الدول كانت تشكل بلداً واحداً، ولمّا جاء المستعمرون فى الحرب العالمية الأولى()، قسّموا هذه البلاد، فأعطوا لبنان للمسيحيين، وفلسطين لليهود، والإسكندرونة للأتراك، وجعلوا سوريا والأردن دولتين مستقلتين، ولكل دولة حُماة، وقادة، ودُعاة، وعندما أعلنت عصبة الأمم() عن حق الشعوب فى تقرير مصيرها، تشكل وفدٌ من هذه البلاد وذهب إلى عصبة الأمم لتقرير مصير شعوبها وإرجاع بلادها واحدة كما كانت.

ألف سنة لتفريق المسلمين

وكان من جملة الوفد شخصٌ مسيحى اسمه بطرس، يقول هذا الرجل: (فجئنا، وذهبنا، ولقينا من لقينا، وتكلّمنا. ولكن كانت النتيجة

التسويف، والمماطلة، والوعود، والكلام المعسول) كما هو الحال الآن حول فلسطين.

قال بطرس: وفى ذات يوم، استدعانى أحد زعماء الغرب، والذى بيده زمام الأمور، وقال لى بالحرف الواحد: (عزيزى بطرس، أنت لماذا؟ قلت: ولِمَ؟، قال: إنّا تعبنا ألف سنة منذ الحروب الصليبية كى نفرِّق هؤلاء المسلمين()، والآن تمكَّنا من ذلك، فالمسلمون إذا كانوا يطلبون الوحدة، كان لهم الحق فى ذلك، أما أنت المسيحى، لماذا جئت معهم()؟!

أغرقوهم بالفرقة

قال أحد الزعماء الصليبيين لأعوانه بالنسبة للمسلمين: «أغرقوهم بالفُرقة»، وكان الأمر كما قال؛ حيث انتشرت التفرقة فى بلاد المسلمين بكافة صنوفها وأشكالها:

۱: التفرقة فى العنصرية.

۲: التفرقة فى الإقليمية.

۳: التفرقة فى لون البشرة.

۴: التفرقة فى القُطر.

۵: التفرقة فى البلد.

۶: التفرقة بين المالك والفلاح والعامل.

۷: التفرقة بين السياسة والدين.

۸: التفرقة بين الأقوام والأعراق.

۹: التفرقة بين أبناء المحلة وأبناء المحلة الأخرى.

۱۰: التفرقة بين الحكومة والشعب.

۱۱: التفرقة بين هذه الفئة وتلك، وبين هذا الحزب وذاك.

شعار عدم التفرقة

من يريد العمل من أجل إنقاذ بلاد المسلمين من براثن الغرب، عليه أولاً وقبل كل شىءٍ أن يرفع شعار (عدم التفرقة)، فإنَّ رسول الله صلى الله عليه و اله انتصر عندما رفع هذا الشعار وطبّقه على واقعه، فقد جمع بين بلال الحبشى، وسلمان الفارسى، وصهيب الرومى، وأبى ذر العربى، فلا فرق فى الإسلام بين اللون والجنس واللغة.

كما كان المدنى، والمكى، واليمنى، والبحرانى بمنزلة واحدة، وهكذا كانت جميع الشعوب والطوائف منصهرة فى بوتقة واحدة تحت لواء الناس سواسية ()، و إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللهِ أَتْقَاكُمْ ().

ولو كان رسول الله صلى الله عليه و اله يفعل ما يفعله المسلمون اليوم، لما كان قد بقى من الإسلام شىءٌ، ولم يحقق الانتصار الكبير على دول الشرق والغرب، لقد أصبح حالنا ونحن نختلف لأبسط الأمور، نختلف حول هلال شهر رمضان، وهلال شهر شوال، وهلال شهر ذى الحجة، مع أن الشهر يثبت برؤية الهلال؟ وطالما للرؤية ميزان ومعيار، فلماذا هذا الاختلاف؟!.

إنّ منشأ جميع هذه الاختلافات غالباً هو الهوى().

قلت: (غالباً)، لأنه نادراً ما يكون الاختلاف حسب الاجتهاد.

ثم إنّ ثقة الشهود لا تعتبر عند بعض طوائف المسلمين، بالإضافة إلى ذلك يمنحون جائزة لمن رأى الهلال، وماذا ستكون النتيجة؟ طبعاً عيداً سعيداً فى كل عيد، عيداً بلا اختلاف، وصوماً بلا اختلاف.

عدم رعاية الموازين

ذات مرّة حكم القاضى بهلال شهر شوال، ولما استفسر عن الشهود، قيل: إنّ شاهداً واحداً شهد الهلال، فذهب جمعٌ إلى ذلك الشاهد وسألوه: هل أنت رأيت الهلال؟، قال: نعم.

فأقسموا عليه بدينه ومذهبه إن هو شاهد الهلال.

قال: لم أر الهلال؟.

فقالوا له: ولِمَ قلت ذلك؟.

قال: رأيت أنّ أمة محمد قد هلكت من الصوم، فقلت: أفرّج عنهم قليلاً.

إن مثل هذا الرجل مثل ذلك الجاهل الذى سرق خبزاً ورماناً، ثم تصدق بهما، ولما سئُل عن ذلك؟ قال: السرقة سيئة واحدة، والتصدّق بعشر حسنات، وإذا طرحنا السيئة الواحدة عنها، بقيت لى تسع حسنات.

إنَّ الاختلاف حول الهلال، ينشأ غالباً من عدم الخوف من الله عزوجل، ومن عدم رعاية الموازين الإسلامية فى الشهادة.

إنى لا أقول بتوحيد بلاد المسلمين فى أول الشهر، فإنَّ استظهارى الفقهى على خلاف ذلك، كما ذكرناه فى الفقه()، فحال الصيام حال الصلاة فى اختلاف الأفق، وإنّما أقول: لماذا الاختلاف فى قطرٍ واحدٍ وبلدٍ واحدٍ؟

أليس هذا الأمر يُوجب الأسف الشديد، وكثيراً ما يصبح النزاع على شيءٍ وهمى.

لك وحدك الربح

ومن الحكايات التى مرّت علينا فى حياتنا، ذات مرّة كنا مُسافرين من بلدٍ إلى بلدٍ آخر وكان للسيارة دلّالان، قد جمعا أجرة الركاب، وكل واحد منهما توهّم أن الآخر هو الذى فاز بحصة الأسد ثمناً للدلالة، فتنازعا داخل السيارة ونحن سائرون حتى وصل الأمر إلى الضرب، وتوسط الركاب بينهما، وأقنعوهم بالحل الوسط، وهو أن ننزل فى أول محل استراحة، ويكون الربح بينهما بالتناصف، قبل كل واحدٍ من الدلالين هذا الحل على مضض، ونزلنا فى أول موقف لحل المشكلة، وبعد أنْ أجرينا الحساب تبيّن أن الربح لا يزيد عن أربعة فلوس عراقية فقط، وكانت الأجرة المقررة لكل راكب فى ذلك الوقت فى العهد الملكى هى عشرون فلساً.

أُغرق الجميع فى الضحك لهذه النتيجة، أما الدّلالان وبعد أن شرب كل واحد منها جرعة كبيرة من الخجل، قال للآخر: لك وحدك الربح، أنا لا أريده.

سوء الظن بالآخرين

ويذكر فى التاريخ أنّ فقيرين أحدهما أعمى والآخر بصير،كانا يستعطيان، فقدّم لهم أحد الخيّرين سلَّة من العنب، فأخذ الأعمى يأكل حبّة حبّة، ثم أخذ يُسرع فى التهام السلّة حبّتين حبّتين، ثم أخذ يلتهم العنقود مرّة واحدة، ثم أخذ السلّة بعده وقال لزميله: ما لك قد أكلت كلّ العنب، وقد حرمتنى منه؟ والحال أن صديقه المُبصر لم يأكل بعد ولا حبّة واحدة.

أقول: إنّ أغلب المنازعات التى تقع بين الأفراد هى من هذا القبيل، فإمّا أن يكون النزاع على شيء تافه جداً أو على لا شيء.

إنّ بعض الظن إثم

شاهدتُ فى حياتى الكثير من هذه المنازعات، فذات مرّة حضرت مجلساً لأحد الخطباء، وشاهدت الحاضرين وكأنَّهم لا يعرفون اللغة الفارسية، وكان الخطيب يُلقى خطبته باللغة الفارسية.

وبعد ليلة حضرت مجلس خطيب ثانٍ، وكان الحاضرون كلهم من الشباب، ولا يعرفون إلّا العربية، والخطيب يُلقى عليهم باللغة العربية.
وبعد انتهائه من الخطاب اشتكى لى الخطيب أن زميله قد سحب أهل مجلسه، فقلت له: من حسن الصدف أنى كنت حاضراً مجلس زميلك الليلة البارحة، وكان الأمر خلاف ما تقول، وبعد توضيح من قبلى، قبل هذا الكلام على مضض.

الخبر الكاذب

وهنا تذكرت قصة من اصطدمت سيارته، فأشيع أنّه قد مات، وأقام بعض أصدقائه مجلس الفاتحة إلى روحه، وينقل لى القصة نفس الميت المزعوم. وهو حالياً حيّ يُرزق.
قال: دخلتُ مجلس فاتحتى وأنا أعلم لمن الفاتحة، وإذا بالجميع ينده‌شون، ويتفاجؤون بميتهم يرونه حياً، وأخذ الجميع يسألوننى: ألست متّ فى حادث السيارة؟
قلتُ: كلا، وإنى الآن حيٌّ والحمد لله.
قال أحدهم: عجيب، لقد نقل لى شخص أثق به أنك قد متَّ!.

اختلاف فى محل اختفائى

لظروف أمنية، اختفيت فترةً من الزمن فى عهد الاستبداد البعثى فى العراق، الذى جاء بقطار أنجلوأمريكى() وكنت خلال فترة اختفائى على اتصال دائم بالمجتمع عبر الأقرباء والأصدقاء الخاصّين().
وقد راحت حول اختفائى تسعة أقوال:
قسم قالوا: إننى فى كربلاء المقدسة فى محلة حى الحسين عليه السلام.
وقسم قالوا: إننى فى قرية الجرية القريبة من كربلاء فى إحدى البساتين.
وقسم قالوا: إننى فى النجف الأشرف.
وقسم قالوا: إننى فى بغداد.
وقسم قالوا: إننى فى الكاظمية.
وقسم قالوا: إننى فى الكويت.
وقسم قالوا: إننى فى سوريا.
وقسم قالوا: إننى فى لبنان.
وقسم قالوا: إننى فى إيران.
وكان بعض الناقلين لهذه الروايات، يقولون: إنهم رأونى فى المكان المعين.
وكل هذه الأقوال لا أساس لها من الصحة إطلاقاً،فإنى لم أمرّ على تلك المناطق التى ذكروها حتى مرور الكرام، فكيف البقاء فيها؟!.

التجربة أكبر برهان

إنَّ الأخبار التى تتناقلها الألسن لا تتطابق مع الحقيقة مائة بالمائة، فهناك إضافات على كل خبر، يضيفها الشخص الناقل، بناءً على حالته النفسية والاجتماعية، ويمكن أن نجرّب ذلك فى أية حادثة تقع، من موتٍ، أو عرس، أو دهسٍ، أو ما شابه ذلك، فلو كان خمسة أشخاص شاهدوا الحادث، لكان لكل واحد من هؤلاء الخمسة رواية خاصة به، تختلف عن رواية الشخص الآخر.
ولو أردت أن تجرِّب هذه القضية بصورة عملية، اهمس فى أذن شخص كلاماً معيناً، واطلب منه أن ينقل هذا الكلام همساً فى أذن

شخص ثانٍ، ثم الثانى ينقل للثالث، ثم الثالث ينقل للرابع، ثم الرابع ينقل للخامس، ثم إسأل الشخص الخامس ماذا وصل إليك عن ذلك. فحتماً سينقل شيئاً غير الذى همست فى أذن الأول، إما يُنقِص من الكلام أو يُضيف عليه.

وهذا هو السر وراء هذا الاختلاف الذى نشاهده فى أرقام التاريخ وفى حوادث الحياة.

حتى نجد هذا الاختلاف فى تاريخ مواليد ووفيات الأئمّة، ? مما هو ليس محل الكلام الآن.

والمقصود: أنه كثيراً ما يكون سبب النزاع والاختلاف، سوء الظن والأخبار الكاذبة عن عمدٍ أو اشتباه، فاللازم على الإنسان أن يُحقق ولا يبنى عمله على شفا جُرفٍ هارٍ فانهار به فى نار الفُرقة والاختلاف، الأمر الذى يحرق أولاً من أساء الظنّ ثم يحرق غيره. قال الله تعالى: اجْتَنِبُوا كَثِيراً مِنَ الظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ ().

وفى آية أخرى: وَذَلِكُمْ ظَنُّكُمُ الَّذِى ظَنَنْتُمْ بِرَبِّكُمْ أَرْدَاكُمْ ().

نازع الأسد دون الهرّة

أحد الحكماء أوصى ولده قائلاً له: لا تُنازع أحداً، وإن نازعت، فاحفظ هذه الحكمة: (لا تُنازع هراً بل نازع الأسد)، معللاً ذلك: أنك إن نازعت الهرة سواء غَلبت أو غُلبت، فأنت مغلوبٌ لا محالة، أما إذا غَلبت قال الناس: ألا يخجل فيُنازع الهرّة؟، وأما إذا غُلبت فأنت مغلوبٌ ومهان.

أمّا إذا نازعت الأسد، فإنك غالبٌ، سواءٌ غَلبت أو غُلبت، قال الناس: إنه عظيم حيث يستعدّ لمنازعة الأسد.

لا طاقة لى بالنزاع

تنازع اثنان فى أمرٍ من الأمور، ثم أنهى أحدهما النزاع، بينما كان الآخر يستمر فى النزاع، قيل للذى أنهى النزاع: لماذا أنهيت؟

قال: لأنى عرفتُ أنى لا أطيقُه، فإنّ طاقتى فى الخصام نصف طاقته، قلتُ فى نفسى: مادام الأمر كذلك لماذا أصرف طاقتى عبثاً.

أقول: إنّ الإنسان يجب أن يتنكب النزاع بكل قواه الضابطة، وإذا اضطر اضطراراً شرعياً، عليه رعاية هذه الأمور المهمة:

١: لا يخرجه سخطه عن طاعة الله سبحانه وتعالى.

٢: قيل لأحد المعصومين: ? وما الحيلة؟ قال عليه السلام: (ترك الحيلة)().

٣: أن لا ينازع هراً بل يُنازع الأسد، فالذى يُنازع من هو دونه لا فخر له.

۴: إذا شاهد أن خصمه أقوى منه فى النزاع، فالأفضل أن يُلقى سلاحه.

موازين النزاع

أمّا مقام «الجهاد»، و «مقام الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر»، ومقام «التضحية المشروعة»، فهى نزاعات لها موازينها الخاصة المذكورة فى الكتب الفقهية، وليس كلامنا هنا فى مثل هذه النزاعات، بل فى النزاعات العُرفية المنتشرة فى كل مكان وكل زمان.

ويجب على الإنسان أن يعلم أن لكل قصة زوايا متعددة، فاللازم عليه أن يتجنَّب الزوايا الحادّة، فالزوايا الحادّة تُحرج الإنسان، وقد تكون الزاوية الحادّة فى كلمة، وقد تتجلّى فى حركة، وقد تظهر فى إشارة صغيرة، أو فى بسمة عريضة من الشفاه، أو فى جواب على سؤال.

الابتعاد عن المحذور

يُذكر عن المرحوم الشيخ محمد تقى الشيرازى رحمة الله عليه قائد ثورة العشرين فى العراق أنه قلّما كان يُجيب على سؤال إذا كان

يرى محذوراً فى ذلك، بل كان يرى اللازم على الإنسان العاقل ألاَّ يسأل سؤالاً قد يكون فى جوابه المحذور، ولذا قال سبحانه وتعالى: لاَ تَسْأَلُوا عَنْ أَشْيَاءَ إِنْ تُبْدَ لَكُمْ تَسُؤْكُمْ ().

ويقول الشاعر الفارسى:

لماذا يفعل العاقل عملاً يُوجب الندم

فقد ندمت زليخا أشدّ الندم على سجن يوسف().

تحمُّل الآخرين

منذ عهدٍ طويل، كنت عضواً فى لجنة تقوم بالإجابة على الأسئلة التى ترد إلى إحدى المجلاّت، وقد وُجّه إلىّ سؤال، وقمتُ بالإجابة عليه، إلاّ أن هذا الجواب لم يُقنع أحد الإخوة الذى لا علاقة له بالمجلّة، فأخذ يهاجم جوابى على السؤال، ويهاجم المجلّة أيضاً.

أمّا أعضاء اللجنة، فأخذوا يُدافعون عن الإجابة.

لكن ذلك الصديق أصرَّ على رأيه!.

فقلتُ له: حسناً تفضلوا أنتم، وأجيبوا على الأسئلة، ونحن نقوم بوضع جوابك محل جوابى فى المجلة التى لم تزل فى مرحلة الإعداد ولم تُطبع بعد.

أخذ صاحبنا القلم بيده وأخذ يُفكر ملياً ثم قال: أنا الآن مشغول الفكر، ولا أستطيع الإجابة على السؤال، وهكذا انسحب من الميدان.

لا تخسر أصدقاءك

واتفق مرّة أنْ كان لى صديق، كنت أحافظ على صداقته رغم رفض الأصدقاء الآخرين له،بل ممارستهم الضغط علىّ بأن أتركه، وبعد مدّة قليلة، حدثت لنا مشكلة، فقلتُ: من يستطيع حلَّها؟

من يتمكن أن يذهب إلى الموظف الحكومى ويطلب منه حل المشكلة؟.

الجميع لم ينبسوا ببنت شفة، فقلت لهم: إنّ صديقنا الذى طلبتم منى تركه، هو القادر على لعب هذا الدور، وبالفعل أنجز المهمة التى وكلت إليه.

وكان لنا صديق آخر لا يرغب فيه بقيّة الأصدقاء، وكانوا يتمنَّون أن أتركه أو أطرده أو أبعده عنى، وكنت أفعل العكس، وصادف أن جاء أهل قرية فى شهر رمضان، وكانوا يريدون خطيباً، فأحجم الجميع عن الذهاب إلاّ هذا الصديق الذى وافق على المقترح سريعاً، وذهب إلى القرية ونجح فيها.

فقلت لهم: إذا كنّا قد طردناه، ماذا كانت النتيجة!!.

وهناك الكثير من القصص المشابهة التى اتفقت لى، وللقارئ طبعاً قصصاً مشابهة أيضاً، وكلها تُشير إلى حقيقة واحدة هى: أن فائدة توحيد الصف والصبر على نقاط الضعف، خيرٌ من التفرقة والتشتُّت، والناس الذين لايتحملون المسؤولية، تجذبهم السلبيات أكثر من الإيجابيات.

أمّا الذين هم أهلٌ للمسؤولية، فهؤلاء إيجابيون دائماً فى الحياة، وكان على أصحاب المسؤولية إقناع من لا مسؤولية عنده أن يتوقف عن ممارسة السلبيّات حتى يعم الخير أرجاء الكون، ويخف وطء الشر والأشرار.

وحدة الوعى

وممّا يوجب توحيد الصف، توحيد الوعى الموجب لتوحيد الاندفاع، فإنّ الوعى كالجوع الذى يجمع الناس حول الخباز فى وقت

الظهيرة لشراء الخبز بدون مقدمات، وتوحيد الوعى شيءٌ صعب، لذا تضع له الدول ميزانية وموظفين، وتُخطط له تخطيطاً واسعاً.

وتوحيد الوعى الإسلامى فى البلاد الإسلامية وغيرها بحاجة إلى مقومات كثيرة، منها: نشر المفاهيم الإسلامية فى الأصول والفروع، ومن أساليب نشر المفاهيم أسلوب الكتابة ونشر الكتاب.

وأرى أننا بحاجة إلى ما يلى:

١: تحقيق وطباعة الكتب المخطوطة الموجودة فى المكتبات والبيوت، فهناك عشرات الألوف من الكتب المخطوطة التى لم تُطبع بعد، وتعتبر هذه المخطوطات تراثاً حضارياً، لابُد من الاهتمام به.

فمثلاً للشيخ عبد الله الأفندى كتاب «العوالم» فى مائة مجلد.

وللشيخ الكاظمى كتاب «الهداية» فى زهاء مائة مجلد.

وللشيخ البرغانى كتاب فى «التفسير» زهاء مائة مجلد، هذا إذا طبعت هذه الكتب على أسلوب البحار طبعة حديثة، وهكذا وهلُمّ جرّا.

٢: طبع الكُتب المطبوعة بإخراج جديد فى التبويب والشرح والتعليق، فمثلاً (بحار الأنوار) بحاجة إلى شرح تفصيلى حتى تظهر قيمة الكتاب، فالمجلسى، ? قام بشرح الآيات والأحاديث على أسلوب وعلى علوم عصره، سواء فى الأصول أو الفروع، أو الفلك أو التشريح أو علم الاجتماع، أو الطب، أو علوم الكون أو غيرها، وقد تغيّر كثير من هذه العلوم، كما تغير مصدر النور من الشمعة إلى الكهرباء، وكما تغيرت وسائل النقل من الحمير إلى الطائرة، فكلّيات الآيات والروايات تحتاج إلى التطبيقات الجديدة.

٣: تأليف وطبع عشرات الآلاف من الكتب المرتبطة بمختلف الشؤون الإسلامية السابقة والحاضرة، فلكل زمان أسلوب وطريقة وإطار، وإذا لم يكمل الأسلوب والهيكل، لم يلائم الكتاب العصر، مما يُوجب التفاف الناس حول ما يلائم العصر، فإن واقع المعرفة يشبه واقع الموضة، فالقماش نفسه ولكنه إذا فُصّل على موضة قديمة رُفض، ولم يرغب فيه أحد.

۴: تأليف وطبع الكتب التى تسلط الضوء على أوضاع المسلمين فى مختلف أنحاء العالم، مثلاً: كم هو عدد المسلمين فى العالم، وأين يقطنون، وما هى مقوماتهم الحضارية، وما هى إمكاناتهم الاقتصادية والسياسية والثقافية؟.

وكم عندهم من أوقاف ومساجد ومزارات وحسينيات ونوادٍ ومكتبات ومدارس وجرائد ومجلات ومطابع و...

وما هى طريقتهم فى التنظيم، فى تنظيم الجمعيات والهيئات والأحزاب، وما هى مشاكلهم وكيف يمكن حلها؟

وربما يستغرب القارئ من هذا الكلام، ويتساءل: هل هناك إمكانيات بشرية ومادية تكفى لمثل هذه المشاريع؟

الجواب: التكلم ليس على مستوى الأفراد والهيئات المحدودة الطاقات، بل على مستوى الأمة ككل، يقول الشاعر:

لو لا المشقة ساد الناس كلهم

الجود يفقر والإقدام قتّال

والكلام هنا ليس حول إنشاء جمعية خيرية أو فتح مدرسة أو تأسيس مؤسّسة، بل الكلام يُصب باتجاه إنهاض الأمة، ويبقى بعد ذلك أن نشرع فى الأمر شروعاً جدِّياً، وما كان لله ينمو.

وإذا شرعنا فى هذا المشروع من الآن، فلعلّه لا يمرّ ربع قرن إلّا وقد أنجز المشروع بإذن الله سبحانه.

ظاهرة انتشار السفور

زارنى عالم من إحدى البلاد الإسلامية، وشكى إلىّ وجود السفور والخلاعة فى بلاده.

قلتُ له: منذ متى والسفور منتشرٌ فى بلادكم؟.

قال: منذُ نصف قرن.

قلتُ: وكم كتاباً نُشر ضد السفور بلسان يفهمُه الإنسان العصرى؟

فكّر العالم قليلاً، ثم قال: لعلّه زهاء عشر كُتب كُتِبت فى هذا الموضوع.

قلتُ: لنفرض أنَّ كل كتابٍ طُبع منه عشرة آلاف نسخة، فالمجموع يصبح مائة ألف نسخة ولمدة خمسين سنة، إنّ بلدك نفوسه أكثر من ثلاثين مليوناً.

ثم واصلت الحديث: ولكن هل تعلم كم من الكتب والمجلات والجرائد قد طُبعت ونُشرت ضد الحجاب والعفّة، وإذا أضفنا إلى نشر وسائل الأعلام الأخرى كالإذاعة والتلفزيون، والمدارس التى تشجّع أيضاً على السفور لكان الخطب أشدّ وقعاً.

فإذا كانت الفتاة المسلمة تعيش فى مثل هذه الأجواء التى تشجعها على السفور، وليس هناك ما يمنعها أو يحذِّرها من مخاطره فكيف نتوقع من الناس الانضواء تحت لواء الحجاب؟

يقول الشاعر:

نفسى وشيطانى ودنيا والهوى

كيف الخلاص وكلهم أعدائى

وليس كلامنا الآن فى ظاهرة السفور والحجاب، بل فى إنهاض الأمة فى مختلف جوانب حياتها، فعملية النهوض بحاجة إلى مقومات كثيرة..

كما قال الشاعر:

إسلامنا لا يستقيم نظامه

بكلام شخصٍ فى زوايا مسجد

فإذا وفّرنا هذه المقومات، نهض الإسلام، وإلاّ انتظر من يحصل على تلك المقومات، وليس الأمر مستحيلاً بل قام الناس بأكثر من ذلك، ألم تنهض الهند بعد استعمار دام ثلاثة قرون، ألم تنهض الجزائر بعد استعمار دام قرناً كاملاً.

إنَّ الأمل كبير وكبير جداً بالنهوض إذا ما قررت الأمة ذلك واستعدت إليه بكافة طاقاتها الخلاّقة.

الخاتمة

قبل أكثر من عشرين سنة كنت أكتب وأظن أنى أملك سلَّة من الأقلام، وكنتُ أعلم أنى لا أملك غيرها، ولذا كتبتُ فى بعض مؤلفاتى ذلك. لكن الظروف تغيرت وعلمت بعد ذلك وعند انقلاب عبد الكريم قاسم فى العراق، أنى لا أملك حتى قلم واحد.وكما يقول الشاعر: وهل يملك الموتور قائم سيفه.

ما يطالعه زائر هذا الكتاب ليس إلاّ رُبع ما ينبغى أن يُكتب: فإنّ نصف الموضوع يحوم حول السياسة التى حرَّمناها على أنفسنا منذأن فشت فى المسلمين وبإيعاز من المستعمرين، الكلمة القائلة: (دع ما لقيصر لقيصر وما لله لله)!.

وربع الموضوع الذى يتناوله هذا الكتاب يُثير الحساسيات بحيث يصبح ضرره أكثر من نفعه، فلم يبق إلاّ الربع.

والربع المتبقى بالطبع لا ينفع كثيراً، أو أن نفعه قليلٌ جداً.

فحال الربع هو حال ربع الإنسان فإذا أفاد ربع الإنسان: الذى اجتث ثلاثة أرباعه، أفاد ربع الموضوع أيضاً.

إلاّ أنى أكتب ما أستطيع عليه، و لاَ يُكَلِّفُ اللهُ نَفْساً إِلاَّ وُسْعَهَا ().

و لاَ يُكَلِّفُ اللهُ نَفْساً إِلاَّ مَا آتَاهَا (). و(الميسور لا يسقط بالمعسور)().

وليس تركى للأرباع الثلاثة جُبناً، وإن كنت لا أُبَرِّئُ نَفْسِى ()، وإنما لأنّ القسم المتروك تركته لأنّه إما ما لا يمكن أن يرى النور، أو يثير الحساسيات، فضرره أكثر من فائدته. لذا آثرت تجاوزه لوقتٍ وظروفٍ أُخر إن شاء الله تعالى.

والمسؤول هو الله سبحانه، نرجوه أن يوفِّق الجميع لما فيه رضاه.

وأن يتقبّل هذا الجهد القليل بقبول حسن، تأسياً منّا بزينب عليها السلام عندما رفعت جثة أخيها الحسين عليه السلام، وقالت: (اللّهم هذا قربان نبيك فَتَقَبَّلْهُ أحسن القبول)(). وقد قال تعالى فى كتابه: إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ ().

وقال أيضاً فَتَقَبَّلَهَا رَبُّهَا بِقَبُولٍ حَسَنٍ ().

نرجو قبوله إنه هو الموفق وهو المستعان.

سُبْحَانَ رَبِّكَ رَبِّ الْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ، وَسَلَامٌ عَلَى الْمُرْسَلِينَ، وَالْحَمْدُ لِلهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ (). ۱۳۹۵ه

محمد الشيرازى

المحتويات

پی نوشتها

() سورة التوبة: الآية ۱۰۵.

() سورة الأنفال: الآية ۴۶.

() سورة آل عمران: الآية ۱۰۳.

() شرح نهج البلاغة لابن أبى الحديد: ج۱۷ ص۲۸۱.

() نهج البلاغة، قصار الحكم: ص۵۰۰ ح۱۶۱، خصائص الأمة: ص۱۰۸.

() سورة آل عمران: الآية ۱۰۳.

() حيث كتب سماحة الإمام الراحل رحمة الله عليه هذا الكتاب قبل ثلاثين سنة وبالتحديد سنة ۱۳۹۵ه (۱۹۷۵م).

() سورة فصلت: الآية ۳۴.

() سورة التغابن: الآية ۱۴.

() وأصل الشعر بالفارسية:

سر تقسيم بهم جنكيدند

سومى آمد وزر را زد وبرد

دو نفر دزد زرى دزديدند

آن دو بودند جه كرم زد وخورد

() إشارة إلى الحديث الوارد: الحسود لا يسود غرر الحكم ودرر الكلم: ص ۲۹۹ ح۶۷۹۵، مستدرك الوسائل: ج۱۲ ص۲۱ ب ۵۵ ح۱۳۴۰۱.

() فقد ورد فى هذا الصدد أحاديث عديدة منها: الحسد ينكد العيش غرر الحكم ودرر الكلم: ص۳۰۰ ح۶۸۲۶، لا عيش أنكد من عيش الحسود والحقود غرر الحكم ودرر الكلم: ص۳۰۰ ح ۶۸۲۸، أسوأ الناس عيشاً الحسود غرر الحكم ودرر الكلم: ص۳۰۰ ح۶۸۲۷.

() سورة فصلت: الآية ۳۴.

() ناصر الدين شاه، رابع ملوك القاجار، الذين حكموا إيران مدة ۱۳۳سنة من ۱۲۱۰ه (۱۷۹۵م) وإلى سنة ۱۳۴۳ه (۱۹۲۵م)، ولد سنة ۱۲۴۷ه (۱۸۳۱م)، وحكم من سنة ۱۲۶۴ه (۱۸۴۸م) وإلى سنة ۱۲۸۶ه (۱۸۶۹م)، اتّسم حكمه بالظلم والاستبداد والتبعية للغرب؛ فقد منح امتياز التنباك للإنجليز مقابل مبلغ زهيد من المال، ومن مقولاته فى الحكم: أود أن أكون محاطاً بحاشية من الأغبياء لا يعرفون عن بروكسل هل هى مدينة أو نوع من الخس؟. أُلّف باسمه الكثير من الكتب باللغة

الفارسية، منها: مرآة البلدان، ناسخ التواريخ، سعادة ناصرى.

() نسبة إلى فشاركك، من قرى مدينة أصفهان الإيرانية التى بزغ منها عدة أعلام، منهم:

١ المولى محمد باقر بن محمد جعفر الفشاركى المتوفى سنة ١٣١٥ه، عالم جليل، له عدة مؤلفات، منها: آداب الشريعة، أسباب الفقر والغنى.

٢ السيد محمد بن المير قاسم الطباطبائى الفشاركى، ولد سنة ١٢٥٣ه وتوفى فى شهر ذى القعدة سنة ١٣١٦ه، عالم قدير وفقيه مجد، له عدة مؤلفات، منها: رسالة فى حكم الجاهل فى العبادات، رسالة فى حكم المبتدئة والمضطربة فى الحيض، رسالة فى أصالة البراءة، رسالة فى الخيارات، رسالة فى الإجارة. تتلمذ عند أخيه (السيد إبراهيم) والفاضل الأردكانى والمجدد الشيرازى. ترجمه نقباء البشر فى القرن الرابع عشر.

٣ المولى محمد حسين الفشاركى الأصفهانى، الذى توفى سنة ١٣٥٣ه فى أصفهان عن عمر يناهز التسعين سنة، وكان فقيهاً أصولياً معروفاً، له باع واسع فى الإحاطة بالفروع الفقهية، يعد من تلاميذ الشيخ زين العابدين المازندرانى والمجدد الشيرازى والميرزا حبيب الله الرشتى، ترجمه أعيان الشيعة: ج٩ ص٢٣٢.

() أى زيارة السلطان عبد العظيم أخى الإمام الرضا عليه السلام.

() سورة الأنفال: الآية ۴۶.

() حرب النكسة الهزيمة التى نشبت بين إسرائيل والدول العربية المحيطة بفلسطين؛ حيث بدأت إسرائيل الحرب بهجوم جوى كثيف ومباغت فى صبيحة الخامس من حزيران سنة ١٩٦٧م عندما هاجمت طائراتها مصر وهاجم الجيش الإسرائيلى صحراء سيناء والأردن برّاً، وفى هذه الحرب احتلت إسرائيل هضبة الجولان السورية وسيناء المصرية وكل ما بقى من فلسطين تحت الانتداب بعد سنة ١٩٤٨م بالإضافة إلى قطاع غزة الذى كان تحت الإدارة المصرية، ووصلت القوات الإسرائيلية إلى شاطئ قناة السويس جنوباً وإلى الطريق المشرف على دمشق شمالاً وإلى نهر الأردن شرقاً، وتعرف هذه الحرب بحرب الأيام الستة، وبلغت خسائر مصر وحدها خمسة عشر ألف شهيدٍ وستة آلاف أسير و٨٠٠ دبابة و٣٠٠ طائرة، وبلغت خسائر مصر وفق النسب: من المعدات العسكرية ٨٥٪ من القوة الجوية والدفاع الجوى ومن القوات البرية،

و١٠٠٪ من القاذفات الثقيلة والقاذفات الخفيفة، و٨٧٪ من المقاتلات، وعندما دخلت قوات إسرائيل القدس سنة ١٩٦٧م، تجمهر الجنود اليهود حول حائط المبكى، وأخذوا يهتفون مع موشى دايان: «هذا يوم بيوم خيبر». وتابعوا هتافاتهم:

حطوا المشمش علتفاح

دين محمد ولى وراح

وهتفوا أيضاً: «محمد مات، خلف بنات». وفى حينها طبعت إسرائيل بطاقات معايدة، كتب عليها: «هزيمة الهلال» وبيعت بالملايين لتقوية الصهاينة الذين يواصلون رسالة الصليبين الأوربيين وهى محاربة الإسلام وتدمير المسلمين.

() هذا وفق الإحصاءات السابقة، أما الإحصاءات الفعلية فقد بلغوا قرابة الخمسة ملايين يهودى فى إسرائيل حالياً، وقلّت نسبتهم عالمياً.

() التّنباك: أحد أنواع التبغ الذى كان شائعاً فى إيران فى القرن التاسع عشر الميلادى، وكان يوضع فى النرجيلة لتدخينه. قامت ثورة التنباك بعد أن منح ناصر الدين شاه امتياز التبغ إلى شركة بريطانية لبيعه داخل إيران وخارجها. ونتيجة لفتوى الإمام الشيرازى رحمة الله عليه بتحريم استعمال التبغ، اضطر الشاه أن يلغى الاتفاقية بعد أن امتنع الناس من التدخين وساروا فى تظاهرات صاخبة، عمّت جميع المدن الإيرانية للتنديد بالشاه وبالاتفاقية، كما اضطر الإنجليز إلى سحب جيوشهم من إيران التى كان قوامها أربعمائة ألف مقاتل.

() السيد محمد حسن الشّيرازى، المعروف بالمجدّد، عميد الأسرة الشيرازية، ولد فى مدينة شيراز سنة ١٢٣٠ه (١٨١٥م)، ودرس فى أصفهان والنجف الأشرف، وتوفى فى مدينة سامراء سنة ١٣١٢ه (١٨٩۴م) إثر دس البريطانيين السم إليه، ودفن فى النجف الأشرف.

تتلمذ عند السيد حسن المدرّس والمحقق الكلباسى والشيخ محمد حسن الجواهرى والشيخ الأنصارى، آلت إليه المرجعية بعد وفاة الشيخ الأنصارى. له ثمانية مؤلفات، يقول عنه الأمينى فى كتابه شهداء الفضيلة ص۲۸۸: «مجدد المذهب فى القرن الرابع عشر، الإمام المؤتمن ... لم يثبت التاريخ نبأ زعيم دينى أكبر منه فى القرون الإسلامية»، قاد ثورة التنباك ضد الإنجليز وحكومة ناصر الدين شاه القاجارى بعد أن قادت بريطانيا جيوشاً جرّارة على إيران فى ربيع الثانى سنة ۱۳۰۹ه الواقع فى تشرين الثانى من عام ۱۸۹۱م، وكان قوامها ۴۰۰ ألف مقاتل، وكان هدفهم الحصول على امتيازات التبغ، زراعة وشراءً وتصديراً مقابل ۲۵۰ ألف ليرة إنجليزية تقدمها لندن لناصر الدين شاه، وقد أحبط الشيرازى هذه المؤامرة وأحزمت الجيوش الإنجليزية حقائبها ثم ولّت منهزمة تجر أذيال الخيبة والانكسار، كما ألهمت هذه الثورة المسلمين الوعى السياسى فى تاريخه الحديث ونبهتهم للأخطار التى يسببها النفوذ الأجنبى فى بلاد المسلمين. ومن مواقفه السياسية أيضاً: وقف بوجه الفتنة الطائفية التى أحدثها ملك أفغانستان عبد الرحمن خان وبتخطيط من الإنجليز؛ حيث أخذ هذا الملك يذّبح رجال المسلمين الشيعة وأطفالهم ويستحيى النساء ويعتبرهم أسرى حرب ويبيعهم بأبخس الأثمان. راجع أسرة المجدّد الشيرازى لنور الدين الشهرستانى.

() الشيخ زين العابدين المازندرانى، عالم فاضل وفقيه متبحّر، ولد فى مدينة مازندران الإيرانية وهاجر منها إلى مدينة كربلاء المقدّسة، ودرس عند المولى محمد سعيد المازندرانى الشهير بسعيد العلماء والسيد إبراهيم الطباطبائى صاحب (ضوابط الأصول)، ثم هاجر إلى مدينة النجف الأشرف ودرس عند الشيخ محمد حسن الجواهرى والشيخ مرتضى الأنصارى، اشتهر أمره فى التقليد فى بعض البلدان ولا سيما فى بلاد الهند، توفى فى ۱۶ ذى القعدة سنة ۱۳۰۹ ه، ودفن فى حرم الإمام الحسين عليه السلام، من مؤلفاته: زاد المتقين، زينة العباد الكبرى، الدرّة النجفية، مناسك الحج.

() بصائر الدرجات: ص۱۴۸ ب۱۳ ح۷، وورد فى الكافى (أصول): ج۱ ص۵۸ ح۱۹ (حلال محمد حلال أبداً إلى يوم القيامة وحرامه حرام أبداً إلى يوم القيامة لا يكون غيره ولا يجيئ غيره).

() وسائل الشيعة: ج۲۶ ص۱۴ ب۱ ح۳۲۳۸۲، معانى الأخبار: ص۲۸۱، مصباح الكفعمى: ص۳۴۶، نهج الحق: ص۴۸۹ وص۵۰۶، غوالى اللآلى: ج۱ ص۲۲۰ ح۹۳.

() منح الامتياز للأجانب.

() جمع وسق، والوَسْقُ والوِسْقُ: مِكْيَلَة معلومة، وقيل: هو حمل بعير وهو ستون صاعاً بصاع النبى صلى الله عليه و اله، وهو خمسة أَرطال وثلث، فالوسْقُ على هذا الحساب مائة وستون مَناً؛ قال الزجاج: خمسة أَوسق هى خمسة عشر قَفِيزاً، قال: وهو قَفِيزُنا الذى يسمى المعدّل، وكل وَسْق بالمُلَجَّم ثلاثة أَقْفِزَةٍ، قال: وستون صاعاً أَربعة وعشرون مكُّوكاً بالمُلَجَّم وذلك ثلاثة أَقفِزَةٍ، لسان العرب: ج۱۰ ص۳۷۸.

() احتلت القوات البريطانية مدينة الفاو الواقعة جنوب العراق، سنة ۱۳۳۳ه وبالتحديد فى السادس من تشرين الثانى سنة ۱۹۱۴م وأكملوا احتلال العراق سنة ۱۳۳۷ه (۱۹۱۸م)، وقد عاملوا الناس عند احتلالهم أسوأ معاملة فكانوا يقتلون الجرحى ولا يرحمون الأسرى ويخرجون الجثث من القبور، طمعاً فى الثياب والملابس. وكانوا يقطعون الرؤوس ويرسلونها إلى لندن ليجعلوا من جماجم المسلمين مطافئ لسجائرهم.

() بعد احتلال الإنجليز لأرض العراق سنة ۱۳۳۷ه (۱۹۱۸م)، وتعيين بيرسى كوكس حاكماً على العراق، تصدى لهذا الاحتلال العلماء الأعلام بقيادة الشيخ محمد تقى الشيرازى رحمة الله عليهسنة ۱۳۳۸ه (۱۹۲۰م)، فقد أصدر الشيرازى فتواه قائلاً: «مطالبة الحقوق واجبة على العراقيين ويجب عليهم فى ضمن مطالبتهم رعاية السلم والأمن ويجوز التوسل بالقوة الدفاعية إذا امتنع الإنجليز من قبول مطالبهم»، وأخرجوا القوات الإنجليزية من أرض الرافدين بعد أن كبدوها خسائر جمة فى الأرواح والمعدات، وقد انطلقت شرارتها فى ۳۰ حزيران سنة ۱۹۲۰م، عن هذه الثورة راجع كتاب: (الحقائق الناصعة) للفريق مزهر آل فرعون، و(الثورة العراقية الكبرى) للسيد عبد

الرزاق الحسنى، و(ثورة الخامس عشر من شعبان) لعباس محمد كاظم، و(تاريخ الحركة الإسلامية فى العراق بين ۱۹۰۰ ۱۹۲۴م) لعبد الحليم الرهيمى، و(تاريخ العراق السياسى الحديث) للسيد عبد الرزاق الحسنى، و(تاريخ القضية العراقية) لمحمد مهدى البصير، و(لمحات اجتماعية من تاريخ العراق الحديث) للدكتور على الوردى، و(دور الشيعة فى تطور العراق السياسى الحديث) للدكتور عبد الله النفيسى، و(البطولة فى ثورة العشرين) للدكتور عبد الشهيد الياسرى، و(دراسات حول كربلاء ودورها الحضارى) لمجموعة من الباحثين.

() آية الله العظمى الشيخ محمد تقى الشيرازى، قائد ثورة العشرين التحرّرية فى العراق ضد الاستعمار البريطانى، ولد فى شيراز سنة ۱۲۵۶ه (۱۸۴۰م) واغتيل بالسم فى الثالث عشر من ذى الحجة سنة ۱۳۳۸ه (۱۳/۸/۱۹۲۰م)، ودفن فى حرم الإمام الحسين عليه السلام، تتلمذ فى سامراء عند المجدد الشيرازى، وفى كربلاء عند الشيخ حسين الأردكانى والسيد على نقى الطباطبائى، له باع طويل فى حفظ الحوزات العلمية ونشر علوم أهل البيت عليهم السلام. من مواقفه السياسية: إصداره فتوى ضد الاحتلال الإنجليزى للعراق سنة ۱۹۱۴م وتخطيطه للثورة ضدهم، وإصداره فتوى فى العشرين من ربيع الثانى سنة ۱۳۳۷ه (۲۳/۱/۱۹۱۹م) ضد المعتمد السامى البريطانى بيرسى كوكس، الذى نصب نفسه حاكماً على العراق عبر الانتخابات الصورية، كما أصدر فتوى أخرى، جعل الإنجليز يجرون أذيال الخيبة والانكسار ويسحبون جيوشهم من أرض الرافدين، ومن مواقفه أيضاً استنكاره للمعاهدة البريطانية الإيرانية سنة ۱۳۳۶ه؛ والذى أدّى موقفه إلى إلغائها، قال عنه السيد حسن الصدر فى التكملة: عاشرته عشرين عاماً فما رأيت منه زلة ولا أنكرت عليه خلة، من مؤلفاته: (حاشية على المكاسب)، (رسالة فى صلاة الجمعة)، (رسالة فى أحكام الخلل). ترجمه طبقات أعلام الشيعة، أعيان الشيعة، معارف الرجال، نقباء البشر فى القرن الرابع عشر.

() سورة آل عمران: الآية ۱۰۳.

() وكشاهد على مقدار التعصّب الذى يكنه الاستعمار للمسلمين الشيعة، يقول السيد جواد هبة الدين الشهرستانى: «عندما طلب فيصل الأول قبل تتويجه اللقاء بوالدى، قال فيصل: إن كافة الإجراءات قد تمت على يوم تتويجه وإنه يرغب أن يتوج بحضور كبار العلماء فى العتبات المقدسة ويتوسم البركة واليُمن فى حضورهم الحفلة، فاعتذر والدى لفيصل عن حضور كبار العلماء وإنما فى الإمكان حضور من ينوب عنهم من الأجلّة، ولكن متى سيكون التتويج؟ قال فيصل: يوم السبت ۲۰ آب. ولما أحسّ فيصل أن التاريخ الميلادى غير واضح لعدم التعامل به، قال: ثانى يوم بعد انتهاء فترة عطلة عيد الأضحى. قال والدى: ولم اخترتم هذا اليوم؟ قال فيصل: هذا اختيار وزارة المستعمرات فى لندن ولا يمكن تغييره! قال والدى: بالعكس يمكن تغييره إلى ثلاثة أيام بعده بدل السبت يوم الثلاثاء، قال فيصل: وما هو الفرق بين اليومين؟ أجابه: اليوم الأول السبت يوم نحس لدى العارفين ويوم الثلاثاء يوم سعد. وأنتم فى التتويج إلى اليوم الثانى أحوج. وطال النقاش حتى اقتنع فيصل بضرورة تغيير يوم التتويج من ۲۰ آب إلى ۲۳ آب وأن يطالب المندوب السامى مرجعه فى لندن بضرورة تغييره بناءً على إصرار الملك عليه. وتم له ما أراد وجرى التتويج عليه. وكان والدى قد اقترح أن يتم تتويج الملك رسمياً فى بغداد صباح الثلاثاء ۲۳ آب وحضره مع نخبة من علماء كربلاء والنجف وأن يجرى التتويج الشعبى عصراً فى الصحن الكاظمى، واحتلفت البلدة بمقدمه، وحين حضر الحفل المُقام فى الصحن الشريف، وجد البلدة فى أبهى زينتها ممّا أذهله روعة ما شاهده بحضور كبار علماء الكاظمية وأشرافها إلى جانب كبار الدولة الرسميين وغيرهم مما لم يشهد مثيله فى بغداد وألقيت القصائد والكلمات، أشادت بيوم الغدير يوم تتويج الإمام على عليه السلام من قبل رسول الله صلى الله عليه و اله بأمر من الله سبحانه وتعالى. وهو اليوم الذى يحتفل فيه فريق كبير من المسلمين بميمنته والتبرك به. وانتبه المسؤولون من الحاضرين كيف غفلوا عن هذه الناحية وكيف فات على نقيب الأشراف رئيس الوزراء عبد الرحمن الجيلانى وهو العارف بمثل هذه الأمور. كيف جعل كل قراراته فى هذا التاريخ ۱۸ ذى الحجة الحرام، ومعناه أن هذا التاريخ سيخلد إن اتخذناه رسمياً وطال النقاش والملامة حوله. حتى اتفقوا على عدم الاحتفال فى العام المقبل وفق التاريخ الهجرى وإنما يكتفى باتخاذ التاريخ الميلادى ۲۳آب هو الجارى عليه بينما استمروا على

المحافظة بالتاريخ الهجرى وحده فى كافة المقررات ولعدة سنوات والاحتفال بعيد ۹ شعبان من كل عام ماعدا يوم التتويج وحده الذى أبقوه عليالتاريخ الميلادى للسبب المذكور، راجع كتاب الشيخ كاظم آل نوح ص۳۲ ۳۳ للمؤلف د. جمال عبد الرسول.

() فيصل بن حسين حاكم مكة، ولد فى الطائف سنة ۱۳۰۱ه (۱۸۸۳م) وتوفى سنة ۱۳۵۲ه

(۱۹۳۳م) فى سويسرا ودفن فى بغداد، كان ضابطاً فى الجيش العثمانى فى إسطنبول ونائباً فى مجلس النواب العثمانى سنة ۱۳۳۱ه (۱۹۱۳م)، وعاد إلى مكة بعد نشوب الحرب العالمية الأولى، وكان من عملاء الإنجليز؛ إذ تربّى على يد لورنس الجاسوس البريطانى، نصّبه الإنجليز حاكماً على سورية بعد تكوينها من قبلهم فى ۱۷ جمادى الآخرة ۱۳۳۸ه (۸/۳/۱۹۲۰م) كما عينوا أخاه عبد الله على شرق الأردن ثم نصبوه حاكماً على العراق سنة ۱۳۳۹ه (۱۹۲۱م) بعد أن طرده الألمان من سوريا عند احتلالهم لها، واستمر فى الحكم إلى سنة ۱۳۵۲ه (۱۹۳۳م). يقول فريتزا غرويا المفوض الألمانى فى العراق فى مذكراته عن طريقة تنصيب فيصل حاكماً على العراق: «تسلم الملك فيصل فى كانون الثانى من سنة ۱۹۲۱م دعوة من ملك بريطانيا لزيارة لندن، حيث كان سيعرض عليه عرش العراق وكان يرافق فيصلاً كل من: رستم حيدر والأمير عادل أرسلان ومرافقه الشخصى تحسين قدورى»، راجع العراق فى مذكرات الدبلوماسيين الأجانب لنجدة فتحى صفوة: ص۱۲۸، أولى جُلَّ اهتمامه على إرضاء الإنجليز وكسب ودّهم، وقال فى خطبة التتويج: «وقد صرحت مراراً بأن ما نحتاج إليه لترقية هذه البلاد يتوقف على معاونة أمة تمدنا بأموالها ورجالها وبما أن الأمة البريطانية أقرب الأمم إلينا وأكثرها غيرة على مصالحنا فإننا سنستمد منها ونستعين بها وحدها على الوصول إلى غايتنا المنشودة فى أسرع وقت».

() إشارة إلى الحديث الوارد عن الرسول الأكرم صلى الله عليه و اله: (القرعة لكل أمر مشكل). فتح الأبواب: ص۲۹۲، غوالى اللآلى: ج۲ ص۱۱۲ وص۲۸۵ وج۳ ص۵۱۲.

() أحد الشخصيات التى قارعت الاستعمار الإنجليزى، له باع طويل فى ثورة العشرين، رشحه الإمام الشيرازى رحمة الله عليه لإدارة العراق.

() السيد محمد على بن مهدى الطباطبائى الحائرى، ينتهى نسبه إلى الإمام الحسن عليه السلام، ولد فى كربلاء المقدسة سنة ۱۳۰۲ه (۱۸۸۴م) وتوفى سنة ۱۳۸۱ه (۱۹۶۱م) ودفن فى كربلاء. تتلمذ عند الميرزا جعفر الحائرى والسيد هادى الخراسانى والشيخ محمد تقى الشيرازى. شارك فى ثورة العشرين وتعرض للاعتقال عدّة مرات، نفاه الإنجليز إلى جزيرة (هنجام) مع رجالات الثورة، ترجم له فى تراث كربلاء: ص۲۸۹ للسيد سلمان هادى آل طعمة.

() توماس أدوَرد لورنس، المشهور ب لورنس العرب، ولد بمقاطعة ويلز سنة ۱۸۸۸م، درس فى أكسفورد تحت إشراف دايفيد ج هوغارث ضابط المخابرات المتخصص بشؤون الشرق الأوسط الذى كانت معلوماته عن أوضاع البلدان العربية فى ظل الحكم العثمانى لا تضاهى فى ذلك الحين، قام لورنس برحلة على الأقدام فى عدد من البلدان الإسلامية، تخرج سنة ۱۹۱۰م من الجامعة فى أكسفورد والتحق بمدرسة الإرساليين الإمريكيين فى لبنان لتحسين لغته العربية. انخرط رسمياً فى سلك المخابرات العسكرية البريطانية سنة ۱۹۱۴م وتسلّم قيادة العمليات العسكرية لاحتلال العراق سنة ۱۹۱۷م واستولى على مدينة بغداد فى ۱۱/ ۳/ ۱۹۱۷م، أصبح مستشاراً للرئيس البريطانى تشرشل فى شؤون الشرق الأوسط، ويعد مهندس تمزيق الأمة الإسلامية ومهندس تجزئة أراضيها، وقام برسم الحدود بين العراق وإيران. يصف لورنس أهدافه قائلاً: أهدافنا الرئيسية تفتيت الوحدة الإسلامية ودحر الإمبراطورية العثمانية وتدميرها ... وإذا عرفنا كيف نعامل العرب وهم الأقل وعياً للاستقلال من الأتراك فسيبقون فى دوامة من الفوضى السياسية داخل دويلات صغيرة حاقدة ومتنافرة غير قابلة للتماسك إلّا أنها على استعداد دائم لتشكيل قوة موحدة ضد أية قوة خارجية. قتل بحادث دراجة نارية سنة ۱۹۳۵م إثر انهيار فى دماغه. من مؤلفاته: أعمدة الحكمة السبعة. راجع الوقائع السرية فى حياة لورنس العرب ص ۵۲ ۵۳ للمؤلفين: فيليب نايتلى وكولين سمبسون، وكتاب أعمدة الحكمة السبعة للورنس.

() الكافى (فروع): ج۵ ص۶ ح۶، شرح نهج البلاغة لابن أبى الحديد: ج۲ ص۷۴.

() السيد محمد حسن الصدر، ولد فى مدينة سامراء سنة ۱۳۰۴ه(۱۸۸۷م)، أسّس حزب الاستقلال سنة ۱۳۳۷ه (۱۹۱۹م) والذى عرف بحرس الاستقلال فى فترة العمل السّرى، لعب دوراً بارزاً فى ثورة العشرين، فكان الرابط بين قيادة الثورة والعشائر المحيطة بلواء الدليم وسامراء، نفاه الإنجليز سنة ۱۳۴۱ه (۱۹۲۲م) مع بعض العلماء الأجلاء إلى خارج العراق وعاد إليه سنة ۱۳۴۳ه (۱۹۲۴م)، ترأس مجلس الأعيان فى العهد الملكى لدورته الأولى والرابعة، وترأس مجلس الوزراء سنة ۱۳۶۷ه (۱۹۴۸م)، ومن المهام التى عملها فى وزارته: إلغاء معاهدة «بورتسموث» التى تضمنت إقامة تحالف دفاعى مشترك مع بريطانيا، وكذلك ألغى المعاهدة الموقعة مع الإنجليز سنة ۱۳۴۹ه (۱۹۳۰م)؛ ولأجل ذلك لم تدم وزارته أكثر من خمسة أشهر، توفى فى ۴ نيسان ۱۹۵۶م.

() الشيخ محمد رضا بن محمد جواد الشبيبى، عالم وشاعر وسياسى، ولد فى النجف الأشرف سنة ۱۳۰۷ه (۱۸۸۹م)، وتوفى فى بغداد سنة ۱۳۸۶ه (۱۹۶۶م)، ودفن فى النجف الأشرف، تتلمذ عند السيد مهدى بحر العلوم وشيخ الشريعة الأصفهانى والسيد عبد الهادى الشيرازى، أحد الأعضاء البارزين لحزب الاستقلال، الذى أسسه السيد محمد الصدر، شارك فى ثورة العشرين، وكان رابطاً مع شيوخ العشائر فى الفرات الأوسط، تقلّد وزارة المعارف فى خمس دورات ورئاسة مجلس الأعيان فى دورته الثالثة سنة ۱۹۳۷م، وأصبح عضواً لمجلس النواب فى ثمانى دورات ورئيساً للمجمع العلمى العراقى، وعارض حلف بغداد والتبعية للغرب، وفى سنة ۱۳۸۵ه (۱۹۶۵م) رفع مذكرة احتجاج إلى عبد الرحمن البزاز رئيس الوزراء فى عهد عبد السلام عارف، طالب فيها ردم الهوة الطائفية فى مرافق الدولة والوظائف الحكومية. له عدّة مؤلفات، منها: تأريخ الفلسفة، أدب النظر فى فن المناظرة، المأنوس فى لغة القاموس، ديوان الشبيبى، تاريخ النجف. ترجمه أعيان الشيعة: ج۹ ص۲۸۷.

() الشيخ محمد حسن حمادى محسن الجنابى الحائرى، المشهور ب أبى المحاسن، ولد فى مدينة كربلاء سنة ۱۲۹۳ه (۱۸۷۶م)، وتوفى فى الجنابية سنة ۱۳۴۴ه (۱۹۲۵م)، شارك فى ثورة العشرين وكان شاعراً للثورة وممثلاً للإمام الشيرازى رحمة الله عليه فى المجلس الملّى، تعرض للاعتقال عدّة مرات، تقلّد وزارة المعارف سنة ۱۳۴۱ه (۱۹۲۳م)، له ديوان شعرى يعرف ب ديوان أبى المحاسن وقد حقق من قبل تلميذه الشيخ محمد على اليعقوبى. ترجمته فى كتاب كربلاء فى الذاكرة، وكتاب (أبو المحاسن الشاعر الوطنى الخالد) للسيد سلمان آل طعمة، وكتاب شاعرية أبى المحاسن للأديب خضر عباس الصالحى.

() السيد محمد على الشّهرستانى، المشهور ب هبة الدين، ولد فى مدينة سامراء سنة ۱۳۰۱ه

(۱۸۸۴م) وتوفى سنة ۱۳۸۶ه (۱۹۶۷م)، أصدر فى العهد العثمانى مجلة العلم فى فترة إقامته فى النجف الأشرف وذلك سنة ۱۳۲۸ه (۱۹۱۰م) ثم تبعها بمجلة المرشد فى فترة إقامته فى الكاظمية، شارك فى ثورة العشرين وأصبح رئيساً للمجلس العلمى الذى شكّله الإمام الشيرازى رحمة الله عليه لقيادة الثورة، حكم عليه الإنجليز بالإعدام بعد الثورة لكنه لم ينفذ نتيجة للضغط الشعبى، تقلّد وزارة المعارف فى وزارة الجيلانى الثانية واستقال منها احتجاجاً على فترة الانتداب. أعماه الإنجليز سنة ۱۳۴۳ه (۱۹۲۴م) عندما كان يرقد فى إحدى المستشفيات للعلاج، تقلّد رئاسة مجلس التمييز الشرعى الجعفرى بين سنة ۱۳۴۲ه ۱۳۵۳ه (۱۹۲۳م ۱۹۳۴م)، أصبح نائباً عن مدينة بغداد سنة ۱۳۵۴ه (۱۹۳۵م) ثم ترك الحياة السياسية، له ۲۸ كتاباً ورسالة مطبوعة، من أبرزها: الهيئة والإسلام، المعجزة الخالدة، نهضة الحسين عليه السلام، وله ۲۳۴ كتاباً ورسالة غير مطبوعة.

() الشيخ على بن جعفر بن محمد حسن بن أحمد الشرقى، ولد فى النجف الأشرف سنة ۱۳۰۹ه (۱۸۹۲م) وتوفى سنة ۱۳۸۴ه (۱۹۶۴م)، شاعر وسياسى، قارع الاحتلال الإنجليزى للعراق فى الحرب العالمية الأولى؛ فكان يحمل كتب الدعوة والفتاوى التى تحث على الجهاد إلى العشائر العراقية. تولّى القضاء الشرعى فى مدينة البصرة، وتولّى رئاسة مجلس التمييز الشرعى فترة من الزمن، وأصبح عضواً فى مجلس الأعيان، وتقلد الوزارة عدة مرات، منها: وزيراً بلا وزارة فى وزارة أرشد العمرى الثانية التى تألفت فى ۲۹ نيسان ۱۹۵۴م واستقالت فى ۱۷ تموز ۱۹۵۴م، من مؤلفاته: العرب والعراق، ذكرى السعدون، تاريخ اليزيدية، الأحلام، عواصف وعواطف وهو ديوان شعرى. ترجمه حسن الأمين فى موسوعته الإسلامية: ج۶ ص۹۷.

() كالدكتور عبد الرزاق محيى الدين الذى شغل وزارة الوحدة فى وزارة طاهر يحيى وعارف عبد الرزاق وعبد الرحمن البزاز وعبد الرحمن عارف، وأصبح عضواً فى مجلس الرئاسة المشتركة بين العراق ومصر سنة ۱۹۶۵م وانتخب سنة ۱۹۶۶م أميناً عاماً للقيادة السياسية الموحدة بين العراق والجمهورية العربية المتّحدة.

() يقول الباحث الدكتور على باباخان فى كتاب (كربلاء ودورها الحضارى): ص ۵۶۰ حول موقف العلماء تجاه فيصل: «لم يكن موقف العلماء موحداً إزاء ترشيح فيصل حيث برز اتجاهان رئيسيان مختلفان، فالمعارض مثله اثنان من كبار المجتهدين وهما المرجع الأعلى السيد أبو الحسن الأصفهانى والشيخ محمد حسين النائينى، أما الاتجاه المؤيد فقد مثله السيد محمد الصدر والشيخ مهدى الخالصى، لكن بيعة الخالصى لفيصل كانت بشرط: أن يسير فيصل بالحكم سيرة عادلة وعلى أن يكون الحكم دستورياً ونيابياً وأن لا يتقيد العراق فى عهده بأية قوة أجنبية». ثم يضيف: «إن الخالصى سحب بيعته للملك فيصل عندما أخل هذا الأخير بوعوده، وعلى أثرها هُجّر من العراق إلى إيران بحجج كاذبة وملفقة فى عام ۱۹۲۳م».

() الشيخ مهدى بن محمد حسين الخالصى، عالم وفقيه وشاعر، ولد فى مدينة الكاظمية سنة ۱۲۷۶ه وتوفى فى مدينة مشهد الإيرانية سنة ۱۳۴۳ه، ودفن قرب مرقد الإمام الرضا عليه السلام، ينتمى إلى أسرة تعيش فى مدينة الكاظمية وتعد من الأسر العلمية التى أنجبت عدداً من العلماء الفطاحل، درس فى مدينة الكاظمية والنجف وسامراء عند الشيخ عباس الجصانى والشيخ محمد حسين الكاظمى والميرزا حبيب الله الرّشتى والمجدد الشيرازى، من مواقفه السياسية: أفتى بوجوب جهاد الإنجليز فى الحرب العالمية الأولى وسار مع جماعة من العلماء لساحات الوغى واشترك فى جبهة الحويزة، وكذلك شارك فى ثورة العشرين وقاد خلالها الكتائب القتالية. أصدر الإنجليز بعد انتهاء الثورة أمراً باعتقاله ولكنه اختفى. وقاطع المجلس التأسيسى فى زمن فيصل الأول ممّا حدا بفيصل أن نفاه مع لفيف من العلماء إلى خارج العراق فذهب إلى مدينة عدن اليمانية ثم إلى مكة المكرمة ومنها إلى إيران وبقى هناك إلى أن وافاه الأجل. له منظومات فى العلوم العربية المختلفة تبلغ الألف بيت، وله ما يقارب عشر رسائل مختصرة وكتاب العناوين فى الأصول وكتاب القواعد الفقهية وكتاب الشريعة السمحاء وغيرها، للمزيد راجع أعيان الشيعة: ج ۱۰ ص ۱۵۷ للسيد محسن الأمين وذكرى الخالصى لعبد الرزاق الأمين وزعيم الإسلام الخالد من إصدارات جامعة مدينة العلم سنة ۱۳۶۹ه. ولا يخفى أن العلماء الذين بايعوا فيصلاً كان قسم منهم قد راهن على قابلية حكومته للانعتاق من الهيمنة والوصاية البريطانية، وقسم آخر كما فعل الخالصى أراد أن يعلّم العراقيين كيف يبايعون ليبقى حق العراق محفوظاً متى ما طالب العراقيون به ومتى ما أخل به الحكام. فبيعة الشيخ الخالصى هدفها كان؛ كما عن ولده محمد: «خشيته من أن يبايع الناس فيصلاً».

() السيد أبو الحسن بن محمد بن عبد الحميد الموسوى الأصفهانى، ولد فى مدينة أصفهان الإيرانية سنة ۱۲۷۷ه، وتوفى فى الكاظمية سنة ۱۳۶۵ه، ودفن فى النجف الأشرف، يعد من تلاميذ الميرزا حبيب الله الرّشتى والشيخ كاظم الخراسانى، شارك فى ثورة العشرين وعارض تعيين فيصل الأول ملكاً على العراق، تصدّى لمهام المرجعية بعد وفاة الشيخ محمد حسين النائينى سنة ۱۳۵۵ه، كما شارك فى الحركة الدستورية فى إيران، له عدة مؤلفات، منها: وسيلة النجاة، منتخب المسائل، شرح كفاية الأصول، حاشية على تبصرة المتعلمين، حاشية على العروة الوثقى.

() الشيخ محمد حسين بن عبد الرحيم النائينى الملقب بشيخ الإسلام، ولد فى نائين فى حدود سنة ۱۲۷۳ه (۱۸۵۷م)، وتوفى سنة ۱۳۵۵ه (۱۹۳۶م) عن عمر يناهز الثانية والثمانين سنة، عالم فاضل ومحقق مدقق وفقيه وأصولى بارع وأديب متميّز، هاجر إلى العراق سنة ۱۳۰۳ه، ودرس فى سامراء عند المجدد وحتى وفاة الأخير سنة ۱۳۱۲ه، ثم هاجر منها إلى كربلاء والنجف بعد أن بذلت الدولة العثمانية ما بوسعها لإضعاف الحوزة العلمية فى سامراء، عارض مع السيد أبو الحسن الأصفهانى المجلس التأسيسى الذى شكله فيصل الأول باعتباره لا يفى بالغرض لإنقاذ الشعب العراقى. يعد من تلامذة الشيخ محمد باقر الأصفهانى ومحمد حسن النجفى والمجدد الشيرازى والسيد محمد الفشاركى والشيخ محمد تقى الشيرازى والشيخ محمد كاظم الخراسانى، آزر الخراسانى فى الحركة

الدستورية. أبعد إلى إيران مع لفيف من العلماء سنة ۱۳۴۱ه ثم أعيد إلى العراق بعد أن شرط الإنجليز وفيصل عليه ألّا يتدخل فى الأمور السياسية، آلت إليه المرجعية بعد وفاة شيخ الشريعة الأصفهانى، من تلامذته: السيد الخوئى والشيخ محمد على الكاظمى صاحب كتاب فوائد الأصول والشيخ موسى الخونسارى صاحب كتاب منية الطالب فى شرح المكاسب، من مؤلفاته: تنبيه الأمة وتنزيه الملّة، رسالة لعمل المقلدين، أجود التقريرات، رسالة فى أحكام الخلل فى الصلاة، رسالة فى اللباس المشكوك، رسالة فى التعبدى والتوصلى، رسالة فى نفى الضرر. للمزيد راجع موسوعة طبقات الفقهاء: ج۶ ص۵۴ للسبحانى.

() السيد عبد الحسين بن على بن أبى القاسم الطباطبائى، الملقّب ب الحجّة، عالم جليل وفقيه فاضل ومرجع معروف، ينتمى إلى أسرة عرفت بالعلم والزعامة والشرف، وهو من أحفاد السيد على الطباطبائى صاحب الرياض، تتلمذ على السيد محمد كاظم الخراسانى، توفى سنة ۱۳۶۳ه. ترجمه نقباء البشر فى القرن الرابع عشر.

() أمثال السيد حسن الطباطبائى والسيد عبد الحسين الطباطبائى والجواهرى والشهرستانى، وقد بلغ عددهم ستة وعشرين عالماً وفاضلاً، وكان ذلك سنة ۱۳۴۱ه (۱۹۲۳م) فى وزارة السعدون الأولى، عندما وقف هؤلاء بحزم ضد الهيمنة الإنجليزية وضد انتخابات المجلس التأسيسى، الذى كان يراد به المصادقة على المعاهدة العراقية البريطانية، التى تجعل العراق تحت الهيمنة البريطانية. للمزيد راجع كتاب تاريخ العراق السياسى: ص۸۷ لطفى جعفر فرج، وكتاب لمحات من تاريخ العراق السياسى: ج۶ ص۲۵۲ للدكتور على الوردى. يقول إسحاق النقاش فى كتابه شيعة العراق: أشارت بعض التقارير البريطانية بأن الملك فيصل كان متلهفاً بصفة خاصة على إضعاف نفوذ العلماء الذين اعتبرهم غير مخلصين للإنجليز.

() مثلاً حينما التقى الحاكم البريطانى (لجمن) مع بعض عشائر الدليم السنية. قال لجمن: هناك اضطرابات فى النجف وما حولها ونريد التعرف على آرائكم بشأنها وأن حكومة صاحبة الجلالة بريطانيا فى حيرة من أمرها، هل تجعل حكومة العراق شيعية أم سنية؟ وأن هذه الحكومة قررت أن تأخذ رجال الدين فى النجف بالعقاب الشديد بجريمة التحريض على الاغتشاش، ... فردّ الشيخ ضارى الذى قتل لجمن لاحقاً أمام الحاضرين بالآتى: إن أهل النجف يريدون حكومة وطنية لعموم العراق ونحن نتفق معهم بذلك وليس فى الأمر مشكلة، وفى العراق لا يوجد شيعة.. سنة، أكو إسلام عرب. أما عن رجال الدين فى النجف فقال الشيخ ضارى: لكنهم أولوا أمرنا فى الوقت الحاضر لعدم وجود حكومة شرعية فى العراق وطاعتهم واجبة على كل مسلم أياً كان مذهبه، وإذا اتخذت الحكومة البريطانية إجراءات ضدهم فسوف نكون إلى جانبهم مهما أصابنا من جراء ذلك من أذى. راجع دراسات حول كربلاء: ص۴۵۹ ۴۶۰ ومصدره المعتمد عليه: مصرع الكولونيل لجمن للمؤلف عبد الجبار عمر: ص ۴۹ ۵۰.

() تقع على عاتق الشعب العراقى اليوم، وبعد سقوط أعتى طاغية، عرفه التاريخ المقروء والمسموع، مسؤولية عظيمة وخطيرة، تتعلق بمستقبله ومستقبل أحفاده من الأجيال القادمة. فعليه أن يتوجَّه إلى حقوقه المشروعة التى هضمت منذ مئات السنين ويطالب بها مهما كلفه ذلك من تضحيات؛ إذ تلوح فى الأفق مؤامرة لهضم الحقوق وتكرار المآسى التى حدثت فى مطلع القرن الماضى، عندما سعى الإنجليز بعد احتلال العراق عام ۱۹۱۸م إلى فرض نموذج تقسيمى له وصياغة المناهج التربوية والتعليمية وفق الأسس البريطانية وحصر الإشراف العام فى المدارس والجامعات على عاتقهم والحصول على امتيازات البترول من تنقيب واستخراج واستهلاك وتحويل العراق إلى سوق لمنتجاتهم الصناعية. فعلى العراقيين أن يكونوا يقظين وأن يتسلَّحوا بثقافة مطالبة الحقوق عبر الحوار والتفاهم ثم المطالبة بدستور يضمن حقوق الأكثرية ويأخذ بنظر الاعتبار الدين ومذهب الأكثرية والخصوصية العراقية.

فقد وقّع أعضاء مجلس الحكم الانتقالى المعيّن مؤخراً قانون الدولة العراقى المؤقت، ولنا بعض التساؤلات والتحفظات على بعض بنوده، نذكرها بإيجاز:

۱: مدى مشروعية القانون المدنى فى ظل الاحتلال العسكرى؟.

۲: مدى مشروعية قانون التوافق الحصصى بدون انتخابات حرة ونزيهة، لكل عراقى صوت واحد.

۳: مدى مشروعية هذا القانون الذى تحفظ عليه اثنا عشر عضواً، وأكرهوا على توقيعه.

۴: إن هذا القانون مبنى على عقلية غربية، وهى تكريس نظام الفردية وليس عقلية شرقية إسلامية، وهى تكريس نظام الأسرة.

۵: إن هذا القانون يجعل العراق بلداً، تحكمه الضرورات والإملاءآت وليس الحلول الإساسية التى قوامها الثوابت والقيم.

۶: إن نظام الفيدرالية هو إحدى الطرق لجمع المتجزئ والمتفرّق. والعراق ليس من هذا القبيل بل العراق بلد إسلامى، يعتنق شعبه الإسلام، الذى يكفل صهر القوميات والطوائف فى بوتقته. فطرح الفيدرالية فى ظرف المتجمِّع، هو زرع لبذور التجزئة ودعوة مفتوحة للانفصال، والعراق اليوم بحاجة إلى من يضمد جراحه لا من يسكب الملح عليها. ولو قيل: إنَّ حق النقض صمام أمان لحقوق الأقلية. قلنا: هناك وسائل أكثر نزاهة وأكثر فاعلية ولا تمس حقوق الأكثرية، خصوصاً إذا أخذنا بنظر الاعتبار شراكة الأكراد للشيعة فى تعرّضهم للظلم والقهر والمقابر الجماعية التى لحقت بهم.

۷: إنه لم يحدد نوع الفيدرالية على أى نحو، هل فيدرالية عرقية أم مذهبية أم جغرافية أم لغوية؟!.

۸: إن البند (ج) من المادة ۶۱، يتناقض مع الثوابت الديمقراطية والحرية وحق تقرير المصير، كما يتناقض مع صميم الإسلام؛ لأنَّ إعطاء حق النقض للأقلية معناه الحيلولة دون تمكين الأكثرية من ممارسة رغباتها وحقوقها؛ وهذا يؤدى إلى عرقلة العملية السياسية، خصوصاً إذا أخذنا بنظر الاعتبار جهاد الأكثرية ودماءهم التى أريقت عبر التاريخ للحفاظ على استقلال العراق ووحدته، بَلْهِ إذا نظرنا إلى المعاناة التى لحقت بالأكثرية من حكومة الأقلية فى العهد السابق من ظلم وقهر ومقابر جماعية ومصادرات للأموال والحقوق والكرامات والتهجير الجماعى والإبادة الجماعية فى السجون والحروب.

۹: إن تحديد نسبة تمثيل المرأة فى المجلس ب۲۵٪ غير منطقى؛ فإن التمثيل يجب أن يكون وفق الكفاءة بغض النظر عن الذكورة أو الأنوثة، فلو كانت كفاءة المرأة أكثر من هذه النسبة فتحديدها بالربع هو انتهاك لحقوقها، ولو كانت أقل من الربع فيلزم تقديم المفضول على الفاضل!.

۱۰: إن لهذا القانون انعكاسات سلبية فى النتائج، منها: القضاء على التعايش القائم، ليس فى العراق وحده بل فى الدول المجاورة للعراق، ومنها: تقنين الانقسام على أساس قومى وطائفى بعد أن كان فى زمن صدام واقع قومى طائفى، ومنها أنه: يعطى الشرعية لكل منطقة فيدرالية أن تقنن الضرائب والرسوم حسب ماتراه دون النظر إلى خصوصية الدين الإسلامى وإلى مصلحة العراق كمجموع.

۱۱: يلوح من تصريحات بعض أعضاء المجلس أن الكثير من بنود هذا القانون لها صفة الإلزام والدوام، والسلطات البعدية ملزمة بتنفيذها، وهذا يتنافى مع اعتباره مؤقتاً. ونقترح فى هذا الصدد:

أ ندعو كل حقوقى عراقى، تهمه مصلحة العراق أن يساعد الشعب فى توضيح ملابسات وأخطاء هذا القانون.

ب تشكيل مظاهرات سلمية للإعراب عن السخط لبعض بنود هذا القانون المؤقت.

ج ندعو العلماء والمثقفين والأحزاب والتنظيمات إلى طرح بدائل دستورية لمساعدة اللجنة التى ستنتخب من قبل الشعب لوضع دستور دائم للعراق.

د ندعو المنظمات الحقوقية الدولية للوقوف إلى جانب الشعب العراقى فى محنته ومساعدة الأكثرية للحصول على نسبتها فى التنفيذ السياسى والإدارى.

() من سياسة الاستعمار البريطانى تأجيج الصراعات بين الدول الإسلامية؛ وكشاهد على ذلك فقد نقل لى أحد الأصدقاء الذى اتّخذ فى الثمانينات من القرن العشرين بريطانيا سكنىً له، قال: كنت أبحث عن عمل يتناسب مع تخصصى باعتبارى مهندساً تكنولوجياً، فذهبت فى إحدى الأيام لأحد المصانع العسكرية المتخصصة فى صناعة الصواريخ، والتقيت بمدير المصنع؛ الذى أصبح فيما بعد من أصدقائى. قال لى ذات يوم: إن مصنعنا هذا، يصنع الصواريخ، ومنتوجاتنا نبيعها للبلدان الإسلامية وغيرها وعلى الخصوص المتنازعة منها. وأضاف: فى هذه الغرفة التى أنت جالس فيها، يأتينا وفد من بلدين إسلاميين متحاربين، ونحن نبيع السلاح لكلا البلدين، حتى

إنه فى بعض الأحيان يتزامن مجيئهما فى وقت واحد. فنحن نقسّم الصالة إلى نصفين بستائر ونحاور الطرفين، ثم نقول لهما: إذا كنتم فى حرب، فهذه الأسلحة نبيعها لكم، ولتقتصر نزاعاتكم على أراضيكم، أما هنا فلا صراعات ولا نزاعات!.

() أمثال السعدون وجعفر العسكرى وعبد الرحمن الجيلانى ونورى السعيد.

() سورة فاطر: الآية ۴۳.

() الدولة البويهية، نسبةً إلى مؤسسها بويه بن فنّا خسرو بن حام، حكموا مائة وسبع وعشرين سنة، من سنة ۳۲۱ه (۹۲۳م) واستمروا إلى سنة ۴۴۸ ه (۱۰۵۶م) عندما أسقط حكمهم السلاجقة الأميون بقيادة طغرلبك، وعدد سلاطينهم خمسة عشر، أولهم أبو الحسن على بن بويه عماد الدولة، وأشهر ملوكهم فنّا خسرو، عضد الدولة، الذى استولى على بغداد وعمّرها، وآخرهم خسرو شاه. وشمل حكمهم العراق وإيران وقسماً من بلاد الشام، وقد اهتموا ببناء المدارس والمساجد والمستشفيات والجسور وإصلاح الطرق والأسواق، وأنشؤوا المكتبات والمرافق العامة كمكتبة الوزير أبى نصر سابور بن أردشير التى كانت تحتوى على عشرة آلاف مجلد من جلائل الآثار ومهام الأسفار والتى جمعت من فارس والعراق والهند والصين والروم، وكان فيها مائة مصحف بخط ابن مقلة، وقد بنيت فى الكرخ فى بغداد سنة ۳۸۱ه، وقاموا بإكرام أهل العلم والمعرفة، وقد حظى الشيخ المفيد والسيد المرتضى والسيد الرضى والشيخ الطوسى بمنزلة مرموقة عندهم.

() حكمت الدولة الحمدانية الموصل وحلب والمناطق المحيطة بها وشمال سورية من سنة ۲۷۶ه

(۸۹۰م) وإلى ۳۹۵ه (۱۰۰۴م)، مؤسّسها أبو الهيجا، حمدان بن حمدون، الذى كان والياً على الموصل من قبل العباسيين، واتّخذ ماردين قاعدة له سنة ۲۷۹ه (۸۹۲م)، وتولّى بعد حمدان الحكم ابنه الحسن؛ ويعبّر عنه ب ناصر الدولة، الذى حكم من سنة ۳۱۷ه

(۹۲۹م) واستمرّ إلى ۳۵۸ه (۹۶۹م)، ثم جاء بعده على بن عبد الله بن حمدان «سيف الدولة»؛ وقد وسّع حكمه ليشمل حمص، والذى اشتهر بثقافته الرفيعة ورعايته للعلماء والفلاسفة والأدباء والشعراء، وكان يحضر بلاطه أبو الفرج الأصفهانى والمتنبى والفارابى وابن خالويه، كما خاض جهاداً ضدّ البيزنطيين وحمى الإسلام بذلك، وبلغت حلب فى عهده أوج تقدمها وازدهارها، وتوفى على بن حمدان سنة ۳۵۶ه (۹۶۷م)، وانهارت دولتهم على أيدى البزنطينيين (الروم).

() الدولة الفاطمية، مهّد لقيامها أبو عبد الله الحسين بن أحمد بن محمد، المعروف بأبى عبد الله الشيعى، المولود فى صنعاء، حكمت من ۲۹۷ ه (۹۰۹م)، واستمرّ حكمها إلى ۵۶۷ه (۱۱۷۱م)، وكان عدد حكّامها أربعة عشر؛ ابتداءً بعبد الله المهتدى بالله وانتهاءً بعبد الله العاضد لدين الله، ويرى المحقق حسن الأمين فى كتابه صلاح الدين الأيوبى بين العباسيين والفاطميين والصليبيين أن خلافة الفاطمية انهارت فى زمن المستنصر بالله عندما استولى بدر الجمالى أمير الجيش سنة ۴۶۶ه على البلاد وأصبح الخليفة محكوماً عليه بالإقامة الجبرية، ثم عين بدر الجمالى بعده الأفضل ثم الحافظ . وابتدأ سلطانهم بأن حكموا تونس ثم أخضعوا الشمال الإفريقى كلّه ثم مصر؛ فى عهد الخليفة المعز لدين الله، الذى مدّ حدود حكمه إلى شواطئ الأطلسى وأنشأ مدينة القاهرة وبسط نفوذه على سورية وفلسطين ولبنان، ومجموع خلافتهم مائتا سنة واثنتان وسبعون وبضعة أيام، منها مائتان وثمان سنين فى القاهرة، ومن إنجازاتهم: إيجاد وحدة التكامل السياسى بين المغرب والمشرق؛ فأصبح المغرب وملحقاته: صقلية وقوصرة وفلورية، ومصر وملحقاتها: وهى الشام والحجاز واليمن؛ وحدة سياسية قاعدتها القاهرة، بعد أن كانت كيانات مجزأة، ومن إنجازاتهم أيضاً: وقوفهم فى وجه الدولة البيزنطية والصليبيين، كما أسّسوا جامع الأزهر وجامع الحاكم ودار الحكمة. ولهم الفضل فى تعريب القسم الإفريقى وفى حماية الشواطئ الإفريقية الشمالية من الغزو الصليبى، وبنوا لأجل ذلك قاعدة عسكرية قوية، تضم خمسة آلاف ربان و ۲۰۰ سفينة، وأضحت المهدية والسوسة ومرافئ صقلية مركزاً لهذه السفن، وكان لهما إسطولان فى البحر المتوسط والبحر الأحمر ولهم موانئ على البحر المتوسط هى الإسكندرونة ودمياط فى مصر، وعسقلان وعكا وصور وصيدا فى الشام، وعيذاب على البحر المتوسط. راجع «المجالس والمسايرات» للقاضى النعمان، «تأريخ الخلفاء الفاطميين فى المغرب»، «أعيان الشيعة» لمحسن الأمين، «اتعاظ الخلفاء بأخبار الأئمة

الفاطميين الخلفاء» للمقريزى.

() الدولة الصفوية: وهى سلالة إسلامية شيعية، تأسست على أنقاض الحكم المغولى التيمورى، وتنسب إلى صفى الدين الأردبيلى، المولود سنة ۶۵۰ه (۱۲۵۲م) والمتوفى سنة ۷۳۵ه

(۱۳۳۴م)؛ والذى قضى على الآق قيونلو واتخذ تبريز عاصمة له، ولقّب بشاه، وحكمت هذه السلالة إيران مدة مائتين وخمس وثلاثين سنة منذ سنة ۹۰۵ه (۱۵۰۰م) وإلى ۱۱۴۰ه (۱۷۲۸م)، وبعد الأردبيلى، جاء شاه إسماعيل بن حيدر الصفوى، المولود سنة ۸۹۳ ه (۱۴۸۸م)، والذى حكم من سنة ۹۰۵ه (۱۵۰۰م) واستمر إلى ۹۳۰ه (۱۵۲۴م)، وقد خاض حروباً متعددة مع العثمانيين؛ والذين هزموه فى معركة جالدران قرب مدينة تبريز سنة ۹۲۰ه (۱۵۱۴م)، ثم حكم من بعده ابنه طهماسب الأول، الذى اتّخذ قزوين عاصمة له سنة ۹۶۲ه (۱۵۵۵م)، والذى حكم ۵۴ سنة، ثم جاء بعده إسماعيل الثانى وحكم سنتين، ثم من بعده محمد خدابنده بن طهماسب الأول وحكم عشر سنوات، ثم شاه عباس الأول ابن محمد، الذى نقل العاصمة إلى «أصفهان» سنة ۱۰۰۱ه (۱۵۹۳م)، وحكم أربعاً وأربعين سنة، ثم جاء بعده «شاه سليمان»، حفيد شاه عباس الأول. وكان آخر ملوكهم شاه حسين، الذى حدثت فى عهده فتنة «الأفغان»؛ عندما احتلّ ملكها شرف الأفغانى أصفهان، واعتقل شاه حسين وقتله سنة ۱۱۴۰ه (۱۷۲۸م) وتركه ثلاثة أيام بدون غسل ولا كفن، وأمر ملك الأفغان بهدم المدارس والمساجد والمكتبات فى إيران حتى قيل: إن حمّامات وأفران العاصمة أصفهان كانت تسخن لأكثر من شهر بواسطة كتب مكتبات الصفويين.

() دولة الأدارسة: سلالة حكمت المغرب من سنة ۱۷۲ه (۷۸۹م) وإلى ۳۷۵ ه (۹۸۵م)، مؤسّسها إدريس بن عبد الله بن الحسن المثنى بن الحسن بن على بن أبى طالب عليهم السلام، الذى نجا من مجزرة فخ التى حدثت فى عهد الهادى العباسى سنة ۱۶۹ه، بعد أن حاصرت قواته مجموعة من العلويين بالقرب من مكة فى منطقة اسمها فخ، وقتل أكثر العلويين ولم ينج منهم إلّا عدد قليل، كان إدريس منهم، الذى هرب إلى مصر ثم إلى مدينة وليلى فى المغرب، واستقبله زعيم قبيلة «أورَبه سنة ۱۷۲ه (۷۸۸م) وبايعه على الزعامة وتبعته بقية القبائل؛ فاتّخذ مدينة وليلى عاصمة له، ثم وسّع نشاطه ودولته فى المغرب حتى شملت شمال إفريقيا؛ ممّا أغاظ هارون العباسى، الذى رأى أنّ لا قبل له بهزيمته عسكرياً؛ ففكّر باغتياله بالسُّم سنة ۱۷۷ه (۷۹۳م) بواسطة سليمان بن جرير المعروف ب «الشماخ»، وقد حكم خمس سنوات ثم تولّى الحكم مولى الأدارسة راشد حتى وفاته سنة ۱۸۶ه (۸۰۲م) ثم حكم أبو خالد العبدى إلى أن بلغ إدريس الثانى الذى كان حملاً عند مقتل والده، ولمّا بلغ إدريس الثالثة عشرة من عمره، بويع بالخلافة وكان ذلك سنة ۱۹۲ه (۸۰۸م)، واستمر فى الحكم إلى موته سنة ۲۱۵ه (۸۳۰م)، وعاش ستاً وثلاثين سنة، ثم تبعه محمد بن إدريس، وفى عهده قُسّمت البلاد بين إخوانه، واستقلّ كل واحد منهم بجزء من البلاد ممّا حدا بالأمويين فى الأندلس والفاطميين فى مصر من السيطرة على بلادهم، وقد صالح آخر حكامها يحيى بن إدريس على البيعة للحاكم الفاطمى عبد الله المهدى. وبفضل الأدارسة انتشر الإسلام فى كثير من مناطق العالم، وأسست الكثير من المدن وعلى رأسها مدينة فاس، وبفضلهم أنشئت المدارس والمكتبات وتوسع العمران؛ حيث رفعوا شعار «الأرض لله ولمن عمرها» وازدهرت الصناعات والحرف؛ ممّا أوجب زيادة التجارة، وأصبحت عملتهم سارية فى جميع الأمصار، وهذه الأمور أدت إلى تحضّر البلاد وازدهارها. للمزيد راجع الموسوعة الإسلامية: ج۴ ص۱۰۵ لحسن الأمين، روض القرطاس لابن أبى زرع. وقد قامت حكومات شيعية أخرى فى التاريخ كالدولة الجلائرية التى أسّسها حسن الجلائرى، التى حكمت العراق من سنة ۷۴۰ ه وإلى ۸۱۳ ه، وأشهر سلاطينها إدريس الجلائرى، ودولة بنى حمود فى المغرب وهم أحفاد الأدارسة الذين ساهموا وبشكل فعال فى إسقاط الدولة الأموية فى الأندلس.

() مثلاً: قاد عبد الكريم قاسم سنة ۱۹۵۸م انقلاباً عسكرياً على فيصل الثانى، وقاد عبد السلام عارف انقلاباً على عبد الكريم قاسم سنة ۱۹۶۳م، وقاد أحمد حسن البكر سنة ۱۹۶۸م انقلاباً على عبد الرحمن عارف، وقاد صدام التكريتى سنة ۱۹۷۹م انقلاباً على البكر.

() الذى قاده عبد الكريم قاسم سنة ۱۹۵۸م.

() الذى قاده عبد الرحمن عارف سنة ۱۹۶۳م.

() الذى قاده أحمد حسن البكر سنة ۱۹۶۸م.

() دام العهد الملكى قرابة ثمان وثلاثين سنة من ۲۵ تشرين الأول ۱۹۲۰م واستمر إلى ۱۷ تموز ۱۹۵۸م وبلغ عدد الوزارات فيه تسعاً وخمسين وزارة، احتوت على ۵۷۵ مقعداً وزارياً، تناوب على شغلها ۱۷۵شخصاً، وبلغ عدد رؤساء الوزارات ۲۳ شخصاً أولهم عبد الرحمن الجيلانى وآخرهم أحمد مختار بابان. وتناوب على هذه الوزارات أربعةٌ وعشرون شخصاً، عشرون منهم من الطائفة السنية وأربعة من الشيعة، وحصل السّنة على رئاسة الوزراء أربعاً وخمسين مرّة بما فيها الحكومة المؤقتة برئاسة الجيلانى، مقابل خمس مرات للشيعة، وحكم السُّنّة أكثر من ست وثلاثين سنة فى حين حكم الشيعة أقل من سنتين. وشغل العسكريون من الوزارات ثمانى وثلاثين وزارة مقابل إحدى وعشرين وزارة شغلها المدنيون، وتناوب على الوزارات أحد عشر شخصاً من العسكريين فى حين تناوب ثلاثة عشر شخصاً من المدنيين، علماً أن جميع الوزارات العسكرية كان يقودها السنة فى حين أنّ الوزارات الشيعية الخمس كانت مدنية. للمزيد راجع كتاب تلك الأيام للمؤلف رحمة الله عليه وتاريخ الوزارات العراقية: ج ۱۰ للسيد عبد الرزاق الحسنى.

() كمناطق جنوب العراق ووسطه وعلى الخصوص العتبات المقدسة.

() جرترود لو شبان بيل، ولدت سنة ۱۸۶۸م وماتت فى الثانى عشر من تموز سنة ۱۹۲۶م، درست فى جامعة أكسفورد، ثم أرسلت من قبل وزارة المستعمرات البريطانية إلى سورية ونجد والعراق، ودخلت العراق سنة ۱۹۰۹م و۱۹۱۰م و۱۹۱۱م و۱۹۱۴م لمهام تجسّسية، وفى سنة ۱۹۱۶م التحقت بالهجوم البريطانى على العراق وعملت كمستشارة للمندوب السّامى البريطانى وظلت فى منصبها حتى وفاتها ودفنت فى بغداد فى مقبرة المسيحيين. من مؤلفاتها:

العراق فى رسائل المس بيل؛ ترجمة جعفر الخياط، و «فصول من تأريخ العراق القريب»؛ ترجمة جعفر الخياط، و سورية البادية المعمورة وكتاب رابع يحتوى على عشائر العراق وأصولهم ومشجرات أنسابهم.

() نورى سعيد صالح السعيد، من تلاميذ لورنس، ضابط فى الأركان البريطانية، حيث كان معه منذ صباه واشترك معه فى الحرب ضد العثمانيين، بعد أن كان ضابطاً فى الجيش العثمانى، ويعد من ركائز بريطانيا فى الشرق الأوسط كما وصفه الرئيس المصرى جمال عبد الناصر بذلك، ومؤيداً ومخلصاً للعلاقات مع بريطانيا؛ كما وصفه السير موريس بيترس السفير البريطانى فى العراق بين عام ۱۹۳۸ ۱۹۳۹م فى كتابه «جانبا الستار».

ولد فى بغداد سنة ۱۳۰۶ه (۱۸۸۸م) وقتل سنة ۱۳۷۷ه (۱۹۵۸م)، أصبح رئيساً للوزراء بين سنة ۱۳۴۹ه ۱۳۷۷ه (۱۹۳۰م ۱۹۵۸م) لأربع عشرة دورة، ووزيراً للدفاع لخمس عشرة دورة، ووزيراً للخارجية فى إحدى عشرة دورة، ووزيراً للداخلية فى دورتين، وضع إمكانات العراق وقدراته تحت تصرف البريطانيين عبر التحالف معهم، وقد جعل العراق ضمن التكتلات الدولية والتبعية الاقتصادية وسوقاً لمنتجات الدول الاستعمارية، يقول عنه فيصل الأول: «إن نورى السعيد كان يعتمد على الوحى الذى يأتيه من الخارج أكثر من اعتماده على رأيه أو رأى إخوانه». ويقول أحمد مختار بابان، آخر رئيس وزراء فى العهد الملكى فى مذكراته ص۵۵: كان نورى متمسكاً بصداقة الإنجليز اعتقاداً منه بأن بلادهم هى الدولة الوحيدة التى يجب أن يركن لها العراق. ويقول ولدمار غولمان السفير الإمريكى فى العراق من سنة ۱۹۵۴ ۱۹۵۹م فى كتابه «العراق فى عهد الجنرال نورى» عن علاقة نورى بإسرائيل: «إن تصريحات نورى السعيد العلنية عن إسرائيل كانت تختلف اختلافاً شديداً عما كان يقوله فى مجالسه الخاصة. كان نورى يقول فى مجالسه الخاصة: «إن وجود دولة إسرائيل حقيقة يجب أن تقبل». وكان نورى السعيد يكره المعارضة ولا يتحمل تأسيس الأحزاب، يقول بابان فى مذكراته ص۵۸ فى هذا الصدد: يكره المعارضة ... ولا يتحمل تأسيس الأحزاب المعارضة ... وما كان يميل إلى حرية الصحافة. وفى مكان آخر من نفس الصفحة يقول: «علىّ أن أقر أيضاً كان نورى السعيد ارتكب خطأً سياسياً آخر حين أقدم على غلق الأحزاب السياسية، فإن الأحزاب المذكورة بقيت تمارس أعمالها فى الخفاء، فيما كان وجودها العلنى أضمن لصيانة الأمن والنظام». راجع للحيطان آذان

وللشوارع ألسنة للنشاشيبى ص۱۸، «العراق صفحات من التاريخ السياسى» للدكتور كاظم الموسوى ص ۱۵، «مذكرات أحمد بابان» لأحمد بابان ص۵۵، ۵۸. و أعمدة الحكمة السبعة للورنس، «العراق فى مذكرات الدبلوماسيين الأجانب» لنجدة فتحى صفوة.

() لم تكن سياسة نورى السعيد تقتضى إلقاء الفتن بين الشيعة فقط، بل إلقاء الفتن بين السنة والشيعة، يقول طه الهاشمى فى مذكراته ليوم ۷ آذار ۱۹۴۰م: «وأذكر أنى قلت لنورى يوماً إنى أرتاب من علاقة الرتل الخامس فى حادثة الاغتيال اغتيال رستم حيدر ومن الجائز أن عملاء الألمان حرضوا القاتل على الاغتيال ليحدثوا شغباً بين الشيعة والسنة، وكان قد شاع أن القاتل كان من ألمانيا، فلما سمع نورى بهذا الخبر ارتاح له وكادت تحدث فتنة طائفية. حيث نشر نورى أن قتل رستم حيدر هو لحزازات طائفية».

() وقد تطرق الإمام المؤلف رحمة الله عليه إلى تلك الآثار فى مذكراته (تلك الأيام).

() وقد دفن فى هذه المقبرة علماء أجلاء أقامت السلطات الحكومية عليها إحدى الأبواب الرئيسية للروضة.

() ياسين حلمى سلمان الهاشمى، ولد فى بغداد سنة ۱۸۸۴م ومات فى ۲۱ كانون الثانى سنة ۱۹۳۷م، ودفن فى سوريا بجوار صلاح الدين الأيوبى، أحد أعضاء جمعية العهد، تولّى قيادة أحد فيالق العثمانيين، كان على ارتباط بفيصل الأول، وقد عيّنه فيصل رئيساً للأركان أيام حكومته فى سوريا سنة ۱۹۱۸م، دخل العراق سنة ۱۹۲۲م، وشغل عدة مناصب وزارية فيه كالأشغال والمواصلات والأوقاف والمالية، وشغل منصب رئيس الوزراء سنة ۱۹۲۴م وسنة ۱۹۳۵م. يعد من أعمدة الاستعمار البريطانى فى العراق، تقول عنه الجاسوسة البريطانية، المس بيل: أعتقد أن ياسين رجل القدر. أطلق عليه العراقيون لقب أتاتورك العراق، لقساوته وعنفه وطغيانه، فقد أخذ على عاتقه تصفية الحوزات العلمية وحل جميع الأحزاب ومنع إجراء مراسم الشعائر الحسينية حتى إنه هدم مأذنة حرم الإمام الحسين عليه السلام سنة ۱۳۵۷ه واستخدم العنف فى تطبيق التجنيد، هرب إلى بيروت سنة ۱۹۳۶م وبقى هناك إلى موته.

() السيد ميرزا مهدى بن حبيب الله الشيرازى، ولد فى مدينة كربلاء المقدسة سنة ۱۳۰۴ه وتوفى فى شهر شعبان من سنة ۱۳۸۰ه عن عمر يناهز الست والسبعين سنة، تنقل فى طلب العلم بين كربلاء وسامراء والكاظمية والنجف، تتلمذ عند الشيخ الخراسانى والسيد اليزدى والشيخ محمد رضا الهمدانى والسيد على نجل المجدّد الشيرازى والميرزا النائينى والشيخ محمد تقى الشيرازى، آلت إليه المرجعية بعد وفاة السيد حسين القمى سنة ۱۳۶۶ه، شارك فى ثورة العشرين، وفى سنة ۱۳۶۰ه (۱۹۴۱م) أفتى بطرد الإنجليز من العراق، وفى نهاية الخمسينات وقف بوجه المدّ الشيوعى وأصدر فتوى بتكفيرهم، وتصدى سنة ۱۳۶۰ه لانحرافات الشاه الذى سعى لنشر التبرّج والخلاعة فى إيران، ودعاه إلى الالتزام بالأحكام الشرعية فى الأوقاف وفى منع الاختلاط فى المدارس ووجوب تدريس الأحكام الشرعية فى المدارس وتحسين الوضع الاقتصادى العام، كما وقف بوجه المدّ القومى فى زمن عبد السلام عارف. من مؤلفاته المطبوعة: ذخيرة العباد، ذخيرة الصلحاء، الوجيزة، تعليقة على العروة الوثقى، تعليقة على وسيلة النجاة. ترجمته فى كتاب أسرة المجدّد الشيرازى لنور الدين الشاهرودى وكتاب أضواء على حياة الإمام الشيرازى، وكتاب «تراث كربلاء» للسيد سلمان آل طعمة.

() أسّسها الإمام الشيرازى رحمة الله عليه إبان الامتداد الشيوعى على أرض الرافدين وهى تضم شخصيات وعلماء من مدينة كربلاء المقدسة والنجف الأشرف، وعقدت أول جلساتها فى جمادى الأولى من نفس السنة، وقد حظيت هذه الجماعة بمباركة الإمام السيد مهدى الشيرازى رحمة الله عليه والإمام السيد محسن الحكيم رحمة الله عليه وغيرهم، للتفصيل عن تشكيل هذه الجماعة راجع مذكرات الإمام المؤلف رحمة الله عليه: تلك الأيام ص۱۲۶ تحت عنوان: هكذا شكلت جماعة العلماء.

() صلاح الدين يوسف بن نجم الدين بن شادى الأيوبى، ينحدر من سلالة فرنسية من جهة الأم؛ كما صرح بذلك الدكتور الفرنسى لويس بوزيه فى محاضرة ألقاها فى مؤتمر صلاح الدين الأيوبى فى نيسان من سنة ۱۹۹۴م، هاجر جدّه شادى مع ولديه نجم الدين وأسد الدين إلى بغداد وعيّن على قلعة تكريت، ويعد مؤسس الدولة الأيوبية والتى أسماها باسم عائلته واستمر حكمها من سنة ۵۶۴ه (۱۱۶۹م) وإلى ۶۴۸ه (۱۲۵۰م)، وأطيح بها من قبل المماليك، وقد حكموا مصر وبلاد الشام وبعض بلاد العراق والجزء الجنوبى من شبه جزيرة العرب اليمن، وعدد حكامها ثمانية أشخاص، أولهم: صلاح الدين وآخرهم نوران شاه، ولد صلاح الدين فى تكريت سنة

۵۳۲ه (۱۱۳۷م)، وعاش فى الشام عشر سنوات، فى عهد نور الدين محمود بن عماد الدين زنكى ثم ذهب مع عمه أسد الدين شيركوه إلى مصر مع ثمانية آلاف فارس حيث أرسلهم نور الدين زنكى، استجابةً لدعوة الخليفة الفاطمى العاضد الذى طلب مساعدته كراراً للردّ على الصليبيين، الذين زحفوا على عسقلان حتى وصلوا إلى «بليس» وهددوا القاهرة ثم تقهقروا عنها دون قتال، وأن نور الدين قبل مساعدة العاضد بشرط أن يمتلك ثلث مصر، وعندما وصل شيركوه إلى القاهرة، عهد إليه العاضد منصب الوزارة والذى بقى فيها مدة شهرين وخمسة أيام، حيث وافاه الأجل، ثم عهد من بعده لصلاح الدين، ولكن صلاح الدين سعى للتخلص من العاضد، فانقلب على الحكم وقضى على الدولة الفاطمية وخطب للعباسيين واعترف بسلطة الحاكم العباسى صورياً سنة ۵۶۶ ه

(۱۱۷۱م)، وقد حكم مصر أربعاً وعشرين سنة من ۵۶۴ه (۱۱۶۹م)، ومات سنة ۵۸۹ ه

(۱۱۹۳م) عن عمر يناهز السبع والخمسين سنة، واشتهر صلاح الدين بالإدمان على الخمر وارتكاب الفواحش؛ وهذا ما صرح به أحد أعوانه وهو ابن شدّاد فى كتابه النوادر السلطانية، وكذا ذكره سير أعلام النبلاء ج۱ ص۲۷۹ وزبدة الحلب فى تاريخ حلب المجلد الثانى، اتّسم حكمه بالديكتاتورية والاستبداد وأجبر الناس على اعتناق المذهب الشافعى، وحارب مذهب الشعب المصرى وهو مذهب التشيع، وحبس علماءهم وكان يتتبع آثارهم لقتلهم، فقد قتل الفيلسوف السهروردى، وعزل قضاة الشيعة وصلب بعضهم، أمثال: هبة الله بن كامل وعبد الصمد الكاتب وداعى الدعاة بن عبد القوى، وكان يقتل كل من يمدح أهل البيت عليهم السلام أو يذكر فضائلهم فيقطع لسانه ويديه ثم يرجمه، كما قتل الشاعر عمارة اليمنى، وكان يأخذ الضرائب والمكوس من الشيعة لتشيعهم وأقلها خمسمائة ألف درهم، وقد أحرق المكتبات سنة ۵۷۴ه بعد أن أضرم النار فيها. وألقى بعضها الآخر فى نهر النيل وترك قسماً منها فى صحراء سيناء فسفت عليها الرياح حتى صارت تلالاً، عرفت بتلال الكتب، كما أن حمّامات القاهرة بقيت ستة أشهر تحرق الكتب لتسخين المياه فى مراجلها وبعض هذه الكتب بيع وبعضها أخذه العبيد والإماء متّخذينها أحذية لهم!. ومن المكتبات التى أحرقها خزانة الكتب التى أنشأها (العزيز بالله) سنة ۳۶۵ ه؛ وكانت تحتوى على مليونين وستمائة ألف كتاب فى جميع العلوم، يقول جرجى زيدان فى تأريخ التمدن الإسلامى: ج۲ ص۲۲۹: «كانت تحتوى على ثمانية عشر ألف كتاب فى العلوم القديمة وستة آلاف وخمسمائة جزء من كتب النجوم والهندسة والفلسفة، وكان فيها ۳۴۰ ختمة قرآن بخطوط منسقة مزينة بالذهب ومجلدة بشكل نفيس وكان فيها ۱۲۰۰ نسخة من تأريخ الطبرى»، وأحرق دار الحكمة التى أنشأها الآمر بالله سنة ۳۹۵ ه وكانت تضم أكثر من مائة ألف كتاب. ويقول الدكتور ألكسندر ستيفيتش فى كتابه تاريخ الكتاب القسم الأول: ص۱۴۳ ما نصه: وقد سجلت نهاية العصر الفاطمى بداية انهيار المكتبات الكبرى فى القاهرة فقد أدى النهب والحرائق واللامبالاة إلى القضاء على قسم كبير من ثروة المكتبات التى كان الخلفاء الفاطميون وهم من محبى الكتب قد أنفقوا عليها الكثير من اهتمامهم وثروتهم، ومن الجرائم التى تفرد بها أنه فرق بين رجال الشيعة ونسائهم بعد أن سجنهم مصفدين بالسلاسل والقيود حتى لا يتناسلوا، وجعل يوم العاشر من المحرم يوم استشهاد سبط الرسول الأكرم صلى الله عليه و اله يوم عيد، نكاية بالإمام الحسين عليه السلام، ومنع ذكر حيَّ على خير العمل فى الأذان وصادر أموال الناس وأعطاها لجنده وغير ذلك ممّا يندى له جبين كل صاحب شرف وغيرة ودين وإنسانية، لمزيد من التفصيل راجع كتاب (صلاح الدين الأيوبى بين العباسيين والصليبيين والفاطميين) للباحث حسن الأمين.

() مجموعة حروب شنها الغربيون على بلاد الإسلام، عرفت بالحروب الصليبية واستمرت طيلة قرنين من الزمن منذ سنة ۴۹۰ه (۱۰۹۶م) وإلى سنة ۶۹۱ه (۱۲۹۱م)، وكان ذلك فى زمن البابا أُربان الثانى وبمساعدة بطرس الناسك بعد أن دعا الأول إلى مؤتمر «كلير مون» الذى عقد فى فرنسا فى ذى القعدة سنة ۴۸۸ه (تشرين الثانى ۱۰۹۵م)؛ لتأليب المسيحيين ضد المسلمين والتحريض لهذه الحروب، واستجاب ملك فرنسا لأربان الثانى. وعدد هذه الحروب ثمانية، واشتركت فيها أغلب الدول الأوربية كفرنسا وألمانيا وإنجلترا وأسكتلندا وإيطاليا، وإن الدوافع لهذه الحروب عند الأوربيين تتجسد فى النزعة الدينية والتخلص من المشاكل التى يثيرها رجال الشمال ومن نظام الإقطاع وسيادة الملّاك، حيث رأى الفلاحون والعبيد مشاركتهم فى الحرب تعنى التخلص من أسيادهم وفرصة

للنجاة من الفقر والمجاعة والعوز، والذهاب إلى بلاد الشرق التى عرفت بامتلاكها الخيرات، وخلال هذه الحروب ذهب الكثير من المسلمين بين قتيل وأسير ومعاق، وانتهكت الأعراض وأحرقت المكتبات وهدمت البلاد، وعبر هذه الحروب بث الغربيون فكرة فصل الدين عن السياسة حتى يتساوى الذّمى والمسلم، وعبرها كذلك نقل الغربيون الهندسة الحربية والنمط الهندسى المعمارى الإسلامى والحرير والأنسجة الدمشقية والأرجوان والمرايا والكثير من الكتب الإسلامية إلى بلادهم. راجع: الحروب الصليبية للدكتور حسن حبش.

() فقد قتل صلاح الدين مليون مسلم شيعى وسجن عشرة آلاف شخص منهم ذكوراً وإناثاً وبكافة الأعمار بعد أن صادر ما يملكون؛ حيث سجن الذكور كهولاً وشباباً وأطفالاً فى سجن مدى الحياة، مصفّدين بالسلاسل والقيود، وسجن النساء عجائز وصبايا فى سجن آخر وبنفس الصفة والطريقة، ومنعوهم من التناسل؛ لتنقطع ذرية الشيعة، واستمر هذا الحال بالمساجين سنوات متتالية حتى انقرضت الدولة الأيوبية.

() مثلاً أعطى لولده عثمان الملقب بالعزيز مصر، وأعطى لأكبر أولاده، الأفضل دمشق وما حولها، ولولده، الظاهر حلب وما إليها، ولابن أخيه المنصور، حماه، ولابن عمه محمد بن شيركوه، حمص والرحبة، ولأخيه العادل أبو بكر، الجزيرة وما حوتها، ولأخيه طغتكين اليمن ومعاقلها، وأعطى لأمجد بهرام شاه بعلبك وأعمالها، وأعطى للظافر بن الناصر بصرى وأعمالها، وأن ورثته لم يقتنعوا بما تحت أيديهم بل تنازعوا وتقاتلوا، وبدل أن يحاربوا الزحف الصليبى، حارب بعضهم بعضاً، بل استعانوا بالصليبيين على بعضهم، مثلاً: الكامل والأشرف ولدا عادل أخى صلاح الدين تبادلا الرسل مع الملك الصليبى فردريك الثانى إمبراطور الروم؛ ليساعدهما على أقربائهما لقاء صفقة تسليم القدس وما حولها ومعها الناصرة وبيت لحم وطريقاً يصل بين القدس وعكا وذلك سنة ۶۲۵ه (۱۸ شباط ۱۲۲۹م).

() مثلاً: إن صلاح الدين كان يراسل الصليبيين لعقد الصلح معهم وكان الوسيط بينه وبينهم أخاه العادل.

() بسر بن أرطأة العامرى، ولد بمكة قبل الهجرة وأصابه الجنون أواخر حياته وهلك سنة ۸۶ ه، عرف بقساوة قلبه وسفكه للدماء، شارك مع معاوية فى واقعة صفين وضربه الإمام على عليه السلام فصرعه ولكن بسراً كشف عن عورته فكفَّ عنه الإمام عليه السلام، وقال مالك الأشتر للإمام عليه السلام حين سقط بُسر على الأرض: «هذا بسر بن أرطأة، عدو الله وعدوك. فقال عليه السلام: دعه، عليه لعنة الله، أَبَعْدَ أن فعلها؟» وفى ذلك يقول الحارث بن النضر:

أفى كلِّ يوم فارس غير مُنتهٍ

وعورته وسط العجاجة بادية

يكفُّ لها عنه على سنانه

ويضحَكُ منها فى الخلاء معاوية

بدت أمس من عمرو فقنّع رأسه

وعورة بسرٍ مثلها حذو حاذية

ولا تحموا إلّا لحَيا وخصاكُما

هما كانتا والله للنفس واقية

أرسله معاوية لمحاربة أهل المدينة ومكة سنة ۴۰ه بثلاثة آلاف مقاتل؛ حيث قال له: «سر حتى تمرّ بالمدينة فاطرد الناس وأخف من مررت به وانهب أموال كل من أصبت له مالاً ممّن لم يكن قد دخل فى طاعتنا، وكذلك قال له: «من لا يبايع اقتله» كما ذكر ذلك أبو إسحاق فى كتابه الغارات: ص۴۱۵، وعندما دخل المدينة، هدم بيوتها وقتل الرجال والأطفال وأحرق بعضهم بالنار، وسبى النساء؛ فكن أول مسلمات سبين فى الإسلام، وقد باع معاوية النساء المسلمات المسبيات فى الأسواق، فكان يكشف عن سيقانهن فأيّها أعظم ساقاً

تشترى بثمن غالٍ، وقد أكره الصحابى جابر بن عبد الله الأنصارى على البيعة لمعاوية، وعندما أرسل معاوية بسر بن أرطأة إلى اليمن ليقتل شيعة على عليه السلام ويأخذ البيعة لمعاوية وكان عليها عبيد الله بن العباس والى الإمام على بن أبى طالب عليه السلام، هرب عبيد الله حين أحسّ بهجوم بُسُر عليه وعندما دخل بُسُر اليمن، فعل ما فعل بأهل المدينة، وسبى النساء وقتل الأطفال حتى إنه ذبح القثم وعبد الرحمن، طفلى عبيد الله بن العباس بن عبد المطلب، وكانا فى حجر أمهما، جويرية الكنانى، وعندما شاهدت أمهما هذا المنظر انهارت وأخذت تنشد:

سمعى وعقلى فعقلى اليوم مختطف

من قبلهم ومن الإثم الذى اقترفوا

مشحوذة وكذاك الإثم يقترف

يا من أحس بابنى اللذين هما

حدثت بسراً وما صدقت ما زعموا

أنحى على ودجى ابنى مرهفه

راجع تاريخ مدينة دمشق لابن عساكر: المجلد العاشر، شرح نهج البلاغة لابن أبى الحديد: ج۲ ص۱۷، أسد الغابة: ج۱ ص۱۷۹، مروج الذهب: ج۳ ص ۳۰، الاستيعاب: ج۱ ص۲۴۲، الغارات: ص۴۰۴، وقعة صفين: ص۳۱۶، السيرة النبوية: ج۳ ص ۴۰.

() مسلم بن عقبة المرّى، وسُمّى ب مسرف؛ لكثرة سفكه للدماء، قاد جيشاً من أهل الشام لقتال أهل المدينة قوامه خمسة آلاف فى ۲۸ ذى الحجة سنة ۶۴ه، وقيل: ۶۳ه، حيث قال له يزيد بن معاوية تنفيذاً لوصية أبيه: واجعل طريقك على المدينة فإن حاربوك فحاربهم وإن ظفرت بهم فأبحهم ثلاثاً. وتقاتل مع أهل المدينة وكان أميرهم عبد الله بن حنظلة، غسيل الملائكة، وقُتل عبد الله مع سبعمائة من المهاجرين والأنصار والموالين؛ كما ذكر ذلك فى البداية والنهاية: ج۸ ص۲۲۲، بالإضافة إلى عشرة آلاف شخص من الرجال والنساء والأطفال، ودخل (مسرف) المدينة وأباحها ثلاثة أيام لجنوده وسرقوا أموالهم وممتلكاتهم وهتكوا أعراضهم. وقد ورد فى التاريخ أنهم زنوا فى المسجد النبوى حتى وَلَدت ألف امرأة بكر من الزنا بعد الواقعة وعرفوا بأولاد الحرّة، وأخذوا الناس على أن يبايعوا أنهم عبيد ليزيد؛ فكان الرجل من قريش يؤتى به فيقال: بايع على أنك عبد قن للخليفة، فيقول: لا، فيضرب عنقه، وبعد أن فعل الأفاعيل بالمدينة، توجه إلى مكة لقتال عبد الله بن الزبير الذى رفض البيعة ليزيد بن معاوية، ومات فى الطريق فى منطقة تعرف ب الغدير، واستخلف الحصين بن النمير لقيادة الجيش والذى رمى الكعبة بالمنجنيق وانهدمت واحترقت.

() الحجاج بن يوسف الثقفى، ولد فى الطائف سنة ۴۱ه (۶۶۱م)، وانتقل إلى الشام ودخل فى خدمة الدولة الأموية؛ فاشترك فى الجيش الذى قاده عبد الملك بن مروان لقتال مصعب بن الزبير، وفى سنة ۷۰ ه (۶۸۹م) ولّاه عبد الملك قيادة الجيش الذى أرسله لقتال عبد الله بن الزبير فى الحجاز فسار نحو مكة وضرب الكعبة بالمنجنيق من جبل أبى قبيس وتغلب على ابن الزبير وصلبه، وظلّ بالحجاز حتى سنة ۷۴ه (۶۹۴م)، ثم ولّاه عبد الملك بن مروان الكوفة، وقتلته بعوضة سنة ۹۵ ه (۷۱۴م)، وعاش ۵۳ سنة، يعدُّ من أسوأ عمّال بنى أمية، أسهم فى توطيد حكمهم، وقد وصف الحجاج نفسه كما عن ابن سعد فى الطبقات ج۶ ص۶۶: «ما أعلم اليوم رجلاً على ظهر الأرض هو أجرأ على دمٍ منى»، وقد وصفه خير الدين الزركلى فى كتابه الأعلام: وكان سفاكاً سفاحاً باتفاق معظم المؤرخين، وقال عنه اليافعى فى مرآة الجنان: إنّ أكبر لذّته سفك الدماء، ووصفه عمر بن عبد العزيز قائلاً: «الوليد بالشام والحجّاج بالعراق وقرّة بمصر وعثمان بن حيان بالحجاز، امتلأت والله، الأرض جوراً»، اتّسم حكمه بالقتل والبطش، ومثال على ذلك: قال الحجاج لخالد بن يزيد بن معاوية: ولقد ضربت بسيفى هذا أكثر من مائة ألف، كلهم يشهد أنك وأباك وجدك من أهل النار انظر مسالك الابصار: ص۱۲۳، كما ذكر المسعودى فى التنبيه والإشراف ص۳۱۸: إن عدد من قتلهم الحجاج صبراً بلغ مائة وثلاثين ألفاً، عدا من قتل فى زحوفه وحروبه، وفى «تاريخ الخلفاء» للسيوطى و الإمامة والسياسة لابن قتيبة، أن عبد الملك لما كتب إلى الحجاج

يأمره بالمسير إلى العراقيين ويحتال لقتلهم، فلما دخل المسجد فى البصرة وقد حان وقت الصلاة صعد المنبر فحمد الله ثم قال: أيها الناس، إن الأمير عبد الملك قلدنى بسيفين حين توليته إياىّ عليكم سيف رحمة وسيف عذاب ونقمة، فأما سيف الرحمة فسقط فى الطريق، وأما سيف النقمة فهو هذا، فجعل السيوف تبرى الرقاب فقتلوا من المسلمين بضعة وسبعين ألفاً حتى سالت الدماء إلى باب المسجد وإلى الطرق. وقد ذكر الميرزا حبيب الله الخوئى فى «منهاج البراعة»: ج۳ ص ۳۵۹ ما لفظه: وأحصى من قتل بأمره الحجاج سوى من قتل فى حروبه فكان مائة ألف وعشرين ألفاً ووجد فى سجنه خمسون ألف رجل وثلاثون ألف امرأة، ولم يجب على أحد منهم قتل ولا قطع، وكان يحبس الرجال والنساء فى موضع واحد لا سقف له، فإذا آوى المسجونون إلى الجدران؛ يستظلون بها من حرّ الشمس، رمتهم الحرس بالحجارة، وكان طعامهم خبز الشعير مخلوطاً بالملح والرماد. وقريب من هذا المعنى فى كتاب: (شجرة طوبى: ج۱ ص۱۲۸)، وقال الشيخ عباس القمى فى (وقائع الأيام): إنّ ۱۵ ألف امرأة من سجنائه كن حافيات عاريات. وقد أذلّ المسلمين بتصرفاته؛ يقول صاحب كتاب «أُسد الغابة» عندما ولى الحجاج المدينة ثلاثة أشهر، عبث فيها واستهزأ بأصحاب الرسول صلى الله عليه و اله فقد: «ختم الحجاج فى عنق سهل الساعدى وأنس بن مالك وفى يد جابر، يريد إذلالهم». وقتل: كميل بن زياد وسليم بن قيس وقنبر مولى الإمام على عليه السلام وسعيد بن جبير الذى كان عمره ۹۹ سنة والذى وصفه أحمد بن حنبل قائلاً: «ما على وجه الأرض أحد إلا وهو مفتقر إلى علمه»، وقتل عبد الرحمن بن أبى ليلى وابن أم طويل وهو من حوارىى الإمام السجاد عليه السلام بعد أن قطع يديه ورجليه. وكان الحجاج يأمر بالشخص فيقتل ثم يمد على جسمه السماط ويأكل ويقول: إنى ألتذّ أن أرى أطراف السماط تتراقص أمامى على أجساد القتلى وأن آكل على مثل هذا السماط. وقد ذكر فى التاريخ أنه نبش اثنين وعشرين ألفاً من القبور فى ضواحى الكوفة، ويروى أن موظف الضرائب من قبل الحجاج دخل على إنسان وطالبه بزكاة أغنامه فقال له الرجل: ليس عندى زكاة لأن ماشيتى ماتت بسبب البرد، فرجع الموظف إلى الحجاج وبدل أن يخبره بالحقيقة، ذكر أن الرجل يرفض الإيمان بالزكاة. واستغل الحجاج الموقف فأمر بإحضار الرجل. وقال له: كيف لا تؤمن بالزكاة؟ قال الرجل: والله، إنى مسلم ولا يسع المسلم إلّا أن يؤمن بالزكاة. فقال له الحجاج: إذاً كيف قلت إنك لا تؤمن بالزكاة؟ قال الرجل: لم أقل ذلك، إنما قلت: ليس عندى ما يتعلق به الزكاة. ولم يقتنع الحجاج، فقال للرجل: لابد أن يكون لك قلب أكبر من قلوب الآخرين ولهذا تجرأت على رد كلامى. ثم صاح: أيها الجلاد، أخرج لى قلبه. وبعد لحظات كان النطع ينتظر الرجل حيث شدّوا يديه وربطوا رجليه ثم مدّوه وشقّوا صدره وأخرجوا قلبه وقدّموه إلى الحجاج، وكان القلب لا يزال يضطرب. ولما أخذه الحجاج ضحك ضحكة صفراء ثم قال: لا، لم يكن قلبه أكبر، ردّوا إليه قلبه وادفنوه. للمزيد من المعلومات عن جرائمه راجع كتاب (الشيعة والحاكمون) وكتاب (الشيعة فى الميزان) لمحمد جواد مغنية، البداية والنهاية لابن كثير: المجلد التاسع، مروج الذهب للمسعودى: المجلد الثالث، تهذيب التهذيب: المجلد الثانى، مستدركات أعيان الشيعة المجلد الأول، الصياغة الجديدة: ص۵۴۶.

() زياد ابن سمية والمشهور ب(زياد بن أبيه)، ولد فى السنة الأولى للهجرة (۶۲۲م)، ينتسب تارة إلى العبد الرومى عبيد الثقفى لقول الرسول صلى الله عليه و اله: (الولد للفراش وللعاهر الحجر). وكان عبيد زوجاً لسمية وواقعها أبو سفيان سفاحاً وأخرى إلى أبى سفيان، استلحقه معاوية سنة ۴۴ه (۶۶۴م) عندما رآه معاوية من طلاب الدنيا لقصة مفادها: أن أبا سفيان أتى الطائف فنزل على رجل يبيع الخمر يقال له: أبو مريم، فقال له أبو سفيان: قد اشتهيت النساء. فقال أبو مريم: هل لك فى سمية؟ فقال أبو سفيان: هاتها على طول ثدييها ووفر بطنها، فواقعها فولدت زياداً. وقال معاوية: نزل من ظهر أبى، وشهد أبو مريم عند معاوية عندما أراد إلحاق زياد قائلاً: إنى رأيت إستى سمية يقطران من منى أبى سفيان، ولّاه معاوية الكوفة ثم البصرة وخراسان والهند وعُمان، وقال له: «اقتل من كان على دين علىٍّ ورأيه»، وكان يأخذ بالظنة ويعاقب بالشبهة، وقد حمل الصحابى حجر بن عدى وأصحابه إلى معاوية فى سلاسل على جمال، اكتراها لهم صعاباً، وكان يبطش بشيعة أهل البيت عليهم السلام، يقول الميرزا حبيب الله الخوئى فى كتابه منهاج البراعة: ج۷ ص ۱۴۱ ۱۴۲ ما لفظه: قتل زياد من شيعة العراق تحت كل كوكب وتحت كل حجر ومدر وأغاضهم وقطع الأيدى والأرجل منهم وصلبهم على

جذوع النخل وسمل أعينهم وطردهم وشرّدهم حتى انتزحوا من العراق فلم يبق بها أحد منهم إلّا مقتولاً أو مصلوباً أو طريداً أو هارباً، ومات سنة ۵۱ه (۶۷۱م)؛ كما ذكره اليعقوبى، وقيل: سنة ۵۳ه (۶۷۳م). للتفصيل راجع: لسان الميزان: ج۲ ص۴۹۳، سير أعلام النبلاء: ج۳ ص۴۹۴، شذرات الذهب: ج۱ ص۵۹، مرآة الجنات: ج۱ ص ۱۲۶، ميزان الاعتدال: ج۲ ص۸۶، الطبقات الكبرى: ج۷ ص۹۹، منهاج البراعة: ج۷ ص۱۴۱، العقد الفريد: ج۵ ص۶، الكامل فى التاريخ: ج۲ ص۴۷۴.

() خالد بن عبد الله القسرى، الذى عرف بالقتل والبطش والدهاء والقسوة، ولّاه الوليد بن عبد الملك مكة والمدينة، وكان على صلة بالحجاج فى مطاردة أصحاب الأئمّة عليهم السلام وشيعتهم، وكان يسب ويلعن أصحاب رسول الله صلى الله عليه و اله على المنبر، وفى فترة ولايته أخذ يطارد محبّى أهل البيت عليهم السلام فأصدر أمراً لأهل الحجاز وتوابعها يحملهم فيه مسؤولية إيواء كل من يأتى فارّاً من حكومة الحجاج وتعريضهم لأقسى العقوبات، وفى فترة ولايته، صادر أراضى الناس وجعلها ملكاً له، أخذ يتعطف على النصارى ويعيّنهم فى سلك الدولة، محاباة لأخواله؛ إذ كانت أمه نصرانية. قتل سنة ۱۲۰ه (۷۳۸م) من قبل هشام بن عبد الملك.

() محمد بن المنصور ثالث حكام بنى العباس، ولد سنة ۱۲۷ه (۷۴۴م) ومات سنة ۱۶۹ه

(۷۸۵م) وعاش ۴۳سنة، حكم عشر سنوات وشهراً واحداً من سنة ۱۵۸ه (۷۷۵م) وإلى ۱۶۹ه (۷۸۵م)، اتّسم حكمه بالاستبداد والديكتاتورية وقتل أهل البيت عليهم السلام وقد سعى لقتل عيسى بن زيد بن الإمام زين العابدين عليه السلام ولكنه توارى عنه وتنكر فى لباسه وعمله ونسبه؛ فلبس لباس السّقّائين وامتهن مهنة السّقاية فلم يعرف أهل الكوفة حقيقته وأخفى أمره حتى على زوجته وأولاده.

() جعفر بن المعتصم بن هارون، عاشر حكام بنى العباس، ولد سنة ۲۰۷ه (۸۲۲م)، وحكم سنة ۲۳۲ه (۸۴۶م)، وقُتل سنة ۲۴۷ ه (۸۶۱م) من قبل ولده المنتصر فى مجلس لهوه وطربه بين العود والناى. اتّسم حكمه بالقتل وسفك الدماء وعلى الخصوص لأهل البيت عليهم السلام وشيعتهم، يقول ابن الأثير فى كتابه «الكامل فى التاريخ» فى حوادث سنة ۲۳۶ه: وكان المتوكل شديد البغض لعلى بن أبى طالب وأهل بيته، وكان من يبلغه عنه أنه يتولى علياً يقتله ويصادر أمواله، وقد ذكر أبو الفرج الأصفهانى فى (مقاتل الطالبيين) ما معناه: إن المتوكل أمر واليه على مكة والمدينة أن يعاقب كل من يساعد آل أبى طالب بالإحسان، وقد بلغ بهم الفقر حداً أن العلويات كُنَّ يرتدين ملابس رثة وممزقة، ولم يكن عندهن سوى ثوبٍ واحدٍ، كن يتناوبن عليه وقت الصلاة، واستمر هذا الوضع إلى مقتل المتوكل، وكان يبذل الأموال للشعراء الذين يذمّون الشيعة فقد أعطى لأبى السمط ثلاثة آلاف دينار وعقد له على البحرين واليمامة وخلع عليه أربع حلل؛ لأنه هجا الشيعة، وكان المتوكل أول خليفة يسخر فى مجالس لهوه من سبطى رسول الله صلى الله عليه و اله؛ كما ذكر ذلك المسعودى. وسعى لهدم قبر الإمام الحسين عليه السلام وما حوله من المنازل والمبانى أربع مرات؛ لمنع الناس من الزيارة، أُولاها سنة ۲۳۳ه، وثانيها سنة ۲۳۶ه، وثالثها ۲۴۷ ه، وقد قتل العالم اللغوى يعقوب بن إسحاق المعروف بابن السُّكيت سنة ۲۴۴ه (۸۵۸م)؛ لأجل تشيعه. للمزيد راجع مروج الذهب: ج۴ ص ۴۷، تاريخ الخلفاء للسيوطى: ص۱۳۷، ثمار القلوب للثعالبى: ص۱۳۴، مقاتل الطالبيين: ص۳۸۵.

() وممّا يؤخذ على صلاح الدين الأيوبى:

۱: أنه جنى على التاريخ والأدب والثقافة العربية والإسلامية، بهدمه لدور العلم والمعرفة وإحراقه للكتب وقتله للعلماء والفلاسفة والشعراء.

۲: بعد استرداده للقدس فى معركة حطين، أصدر مرسوماً سنة ۵۸۶ه (۱۱۹۰م)، يدعو فيه اليهود لاستيطان القدس الذى كان محظوراً عليهم من قِبَل المسيحيين.

۳: أن تصرفاته بعد استرداد القدس، أبطلت نتائج الانتصار؛ لأنه أعاد للصليبيين المدن الفلسطينية جميعاً باستثناء القدس، وبهذا العمل جعل دماء المقاتلين الشرفاء وثروات المسلمين تذهب سدىً.

۴: عقده للهدنة مع قلب الأسد، الزعيم الصليبى، والتى لا مبرر لها سوى تكريسه لمصالحه الشخصية على حساب مصالح الأمة الإسلامية، حيث منح بموجبها الصليبيين مدينة حيفا ويافا وعكا وصور وطرابلس وأنطاكيا وقيساريا. وبموجب هذه الهدنة، اعترف ضمنياً بسلطة الصليبيين على البلاد الإسلامية التى كانت فى أيديهم، كما أدت إلى تثبيط عزائم المسلمين فى محاربة الصليبيين وتحرير أراضيهم.

۵: حال دون قيام دولة إسلامية موحدة، تتجلى فيها قوة المسلمين على غيرهم. يقول الباحث حسن الأمين فى كتابه: (صلاح الدين الأيوبى بين العباسيين والفاطميين والصليبيين): ص۱۸۷ فى هذا الصدد: «كان ما يسيطر عليه، صلاح الدين، يشمل بلاد الشام امتداداً إلى جبال طوروس، ويشمل مصر واليمن. وبانضمام هذه الأقطار إلى حكومة بغداد، تقوم الدولة العربية الكبرى برعاية الخلافة الإسلامية المرتبط بها العالم الإسلامى كله ارتباطاً معنوياً حتى فى حالة ضعفها. أما حين تكون بهذه القوة فإن ارتباط هذا العالم بها يكون الارتباط المتماسك المتضامن بالطبع».

۶: وقف الأيوبى بوجه الجيوش الإسلامية فى زمن نور الدين زنكى الذى طلب منه أن يزحف من مصر لمحاربة الصليبيين على أن يزحف هو من الشام، ولكن الأيوبى رفض ذلك، مما حدا بالزنكى أن يؤدّبه، ولكن الأيوبى احتمى بالصليبيين. يقول ابن الأثير: «وكان المانع لصلاح الدين من غزو الإفرنج الخوف من نور الدين، فإنه كان يعتقد أن نور الدين متى زال عن طريقه الإفرنج أخذ البلاد منه، فكان يحتمى بهم عليه ولا يؤثر استئصالهم، وكان نور الدين لا يرى إلا الجد فى غزوهم بجهده وطاقته، فلما رأى إخلال صلاح الدين بالغزو وعلم غرضه، تجهّز عليه، فأتاه أمر الله الذى لايرد».

ويقول الأمين فى ص۱۹۹ من نفس الكتاب: «إن الاحتلال الصليبى لفلسطين كان يعطى صلاح الدين انفصالاً كاملاً عن المملكة المتحدة، وتبقى تبعيته لها إسمية فقط، فإذا زال الكيان الصليبى من فلسطين، تم الاتصال بين بلاد الشام وبين مصر وتصبح مملكة واحدة، يكون لصلاح الدين المكان الثانى فيها بعد نور الدين، بل يصبح مجرد حاكم لمصر، تابعاً فعلياً لا إسمياً لنور الدين، وهذا ما لا يرضى مطامع صلاح الدين الشخصية، لذلك آثر التمرد على نور الدين وإخراج مصر من الحرب المأمولة لاستئصال الصليبيين. وغضب نور الدين لذلك، وصمم على التفرغ لصلاح الدين أولاً وتسليم حكم مصر لمن يعيد مصر إلى حال الحرب مع الصليبيين، ولما أعدّ عدّته للزحف على مصر وإزاحة صلاح الدين، فاجأه الموت».

وكذلك وقف الأيوبى بوجه الجيوش الإسلامية فى زمن الخليفة العباسى الناصر الذى أراد هو الآخر أن ينازل الصليبيين بمائة وعشرين ألف مقاتل فى فلسطين وطلب من الأيوبى أن يشاركه فى الحرب، ولكن الأيوبى رفض؛ لاعتقاده أنه سيصبح والياً وتابعاً للناصر، ثم احتمى بعد ذلك بالصليبيين. ويذكر الأمين فى كتابه: ص۱۸۷: «وخوفاً من أن يصر الخليفة الناصر على إرسال جيشه، بادر صلاح الدين إلى التحالف مع الصليبيين وتوحيد جيوشه مع جيوشهم لصدّ جيش الخلافة إذا تقدم إلى بلاد الشام. ورأى الصليبيون حاجة صلاح الدين إليهم فأخذوا يشترطون فى شروطهم لعقد هذا التحالف. وكان أهم ما فى شروطهم إعادة فلسطين إليهم واسترجاعهم لكل ما أخذه منهم صلاح الدين فيها من المدن. فخضع صلاح الدين لشروطهم وسلم لهم بكل ما طلبوا، مستثنياً القدس؛ لأن احتفاظه بها سيديم النشوة التى غرّت المسلمين باسترجاعها فيغطى ذلك على استسلامه للصليبيين. فلا يدرك المسلمون فى فرحتهم حقيقة ما يجرى حولهم».

ويضيف أيضاً فى ص۱۸۸: «إن رفض صلاح الدين قبول نجدة الناصر وما بلغ الناصر من عزم صلاح الدين على قتال جيوشه فى تقدمها إلى فلسطين، حال بين الناصر وبين تنفيذ ما عزم عليه، فلم يكن ليقدم على الاشتباك فى حرب أهلية بين المسلمين».

۷: فضّل مصلحته الشخصية على المصلحة الإسلامية العامة عند عدم موافقته لخوض الحروب ضد الصليبيين بل وتسليمهم للبلاد الإسلامية؛ معللاً ذلك أن الحروب معهم تحدُّ من نفوذه وتقلِّل من هيمنته ومطامحه وتتنافى مع تفرّده بالسلطة.

۸: أنكر الجميل على نور الدين زنكى الذى كان سبباً فى سيطرته على مصر والذى طلب منه الزحف على الصليبيين ثم ختم إنكاره

للجميل أن قتل ابن الزنكى، حاكم حلب البالغ من العمر اثنتى عشرة سنة ثم زنا بزوجة زنكى ليلتين، نكاية بزوجها.

۹: هيأ الظروف لأولاده وورثته لتنفيذ ما عجز هو عن تنفيذه عندما سلموا القدس للصليبيين فى عهد فردريك الثانى سنة ۶۵۵ه، وكذلك بقايا أنطاكيا وطرابلس وعكا والناصرة وغيرها. يقول الباحث حسن الأمين فى كتابه (صلاح الدين الأيوبى بين العباسيين والفاطميين والصليبيين): ص۱۳۲ ۱۳۳ ما نصّه: «ففى سنة ۶۳۸ه، سلّم الصالح إسماعيل صاحب دمشق للصليبيين صيدا وهونين وتبنين والشقيف؛ ليساعدوه على ابن أخيه الصالح أيوب صاحب مصر. وفى سنة ۶۲۵ه (شباط سنة ۱۲۲۹م)، سلّم الكامل والأشرف ولدا العادل أخى صلاح الدين، سلّما القدس وما حولها للملك الصليبى فردريك الثانى، وسلّماه معها الناصرة وبيت لحم وطريقاً يصل القدس وعكا. ويصف ابن الأثير وقع هذه الرزية على العالم الإسلامى بقوله: واستعظم المسلمون ذلك وأكبروه ووجدوا له من الوهن والتألم ما لايمكن وصفه».

() المنصور بن عبد العزيز، سادس خلفاء الدولة الفاطمية البالغ عددهم أربعة عشر خليفة، الذين حكموا من سنة ۲۹۷ه (۹۰۹م) وإلى سنة ۵۶۷ه (۱۱۷۱م)، ولد فى القاهرة سنة ۳۷۵ه (۹۸۵م) ومات سنة ۴۱۱ه (۱۰۲۰م)، تسلم الحكم سنة ۳۸۶ه (۹۹۶م) وهو فى الحادية عشر من عمره فقام عليه بالوصاية «برجوان الخادم» بوصية من أبيه واستمر فى الحكم خمساً وعشرين سنة واتبع خلال حكمه سياسة متوازنة، وكان يتجول فى الأسواق لإجراء الحسبة، وقد ازدهرت فى عهده البلاد بالعمران وبناء المساجد والمكتبات والجامعات، وقد أنشأ دار الحكمة سنة ۳۹۵ه (۱۰۰۵م) وجعلها جزءاً من قصره وحمل إليها الكتب من خزانة القصر من سائر العلوم والآداب ممّا لم ير منه مجتمعاً قط لأحد من الملوك، وكان فيها أكثر من مائتى ألف مجلد من نفائس الكتب، وكان يقدِّم للقراء الورق والمحابر بالمجان، وقد حظى عنده العلماء والأدباء والشعراء بالاحترام والعطاء، أمثال: ابن الهيثم وأبى بكر الأنطاكى، ونتيجة لمواقفه الصلبة وحروبه مع المسيحيين والأمويين فى الأندلس والعباسيين فى بغداد؛ تعرض للافتراء من قبل أعوان هؤلاء وعلى الخصوص الكاتب الأموى أبو ركوة ويحيى بن سعيد العباسى. للمزيد راجع: الموسوعة التاريخية للخلفاء الفاطميين ج۶؛ دكتور عامر تامر، الحاكم بأمر الله الخليفة المفترى عليه؛ دكتور عبد المنعم ماجد، الرسالة الواعظة فى نفى دعوى إلوهية الحاكم بأمر الله؛ أحمد حميد الدين الكرمانى، تلخيص الحضارة الإسلامية للإمام السيد محمد الشيرازى رحمة الله عليه.

() ومن هؤلاء أيضاً: يحيى بن سعيد وابن كثير وأبو شامة.

() تقى الدين أبو محمد، أحمد بن على بن عبد القادر المشهور بالمقريزى؛ نسبة إلى حارة فى بعلبك اللبنانية تعرف بحارة المقارزة، ولد فى القاهرة سنة ۷۶۶ ه (۱۳۶۴م)، مؤرخ وكاتب وأستاذ فى علم التاريخ، تصدّى لأمور الحسبة والإمامة فى بعلبك لفترات متعددة، اتصل بالخليفة الفاطمى الثانى عشر الظافر بالله فهاجر إلى دمشق سنة ۸۱۰ ه (۱۴۰۷م)، توفى سنة ۸۴۵ ه (۱۴۴۱م) عن عمر يناهز التسعة والسبعين، من مؤلفاته: السلوك فى معرفة دول الملوك وهو مصدر مهم فى دراسة تاريخ الأيوبيين والمماليك، جواهر الأسفاط فى أخبار مدينة الفسطاط، المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار، التاريخ الكبير، اتّعاظ الحنفاء فى أخبار الأئمة الفاطميين الخلفاء، إغاثة الأمة بكشف الغمة، المقفى الكبير، البيان والإعراب عمّا بأرض مصر من الأعراب، شذور العقود فى ذكر النقود، الطرفة الغريبة فى أخبار حضرموت العجيبة، النزاع والتخاصم فيما بين أمية وهاشم، درر العقود المفيدة، إمتاع الأسماع بما للرسول صلى الله عليه و اله من الأنباء.

() بدأ إنشاؤه فى السابع عشر من شهر شعبان سنة ۳۵۸ه واستغرق بناؤه سنتين وثلاثة أشهر وبضعة أيام، وافتتح للصلاة يوم الجمعة الواقع فى السابع من رمضان سنة ۳۶۱ ه (شباط ۹۷۲م) وأضحى هذا الجامع مقراً للدعوة الإسلامية، ودعيت المذاهب الإسلامية للتدريس فيه، فكان للمالكية خمس عشرة حلقة درس، وللشافعية مثلها، وللمذهب الحنفى ثلاث حلقات، وكان فيه صالات لعقد مجالس خاصة بالنساء. راجع الموسوعة الإسلامية: ج۴ ص۱۵۴ لحسن الأمين.

() للمزيد عن هذا الموضوع راجع أعيان الشيعة للسيد محسن الأمين، والتمدن الإسلامى لجورج جرداق، ومن التمدن الإسلامى

للمؤلف رحمة الله عليه، والموسوعة التاريخية للخلفاء الفاطميين للدكتور عامر تامر، والمواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار للمقريزى.

() الشيخ محمد بن الحسين بن عبد الصمد بن محمد الجبعى العاملى، المشهور بالشيخ البهائى أو بهاء الدين العاملى، ولد فى بعلبك اللبنانية فى شهر ذى الحجة من سنة ۹۵۳ه (۱۵۴۷م) وتوفى فى أصفهان فى شهر شوال من سنة ۱۰۳۰ه (۱۶۲۱م) ودفن فى مشهد الإمام الرضا عليه السلام، عالم وشاعر ومفكر وفقيه وسياسى وفيلسوف ورياضى وفلكى، وقد كتب فى الرياضيات والفلك وغيرها، وأضحت كتبه مرجعاً للعلماء والمحققين. وبلغت الخمسين، منها: خلاصة الحساب، كشكول البهائى، مشرق الشمسين، الحبل المتين، الوجيزة، الزبدة، الفوائد الصمدية، تهذيب البيان، رسالة الهلالية، تشريح الأفلاك، توضيح المقاصد.

ترجمه الكنى والألقاب: ج۲ ص۱۰۰، الموسوعة الإسلامية: ج۵ ص۸۲ حسن الأمين، روضات الجنات: ج۷ ص۵۶، خلاصة الأثر: ج۳ ص۴۴۰، سلافة العصر للسيد على خان: ص۲۸۹، أمل الأمل: ج۱ ص۱۵۵، أعيان الشيعة للسيد محسن الأمين: ج۹ ص۲۳۴.

() السيد محمد باقر بن محمد بن محمود بن عبد الكريم الحسينى الأسترابادى، والمشهور ب(الداماد) الصهر؛ ولقّب بذلك، لأن أباه كان صهراً لعلى بن عبد العالى الكركى، المعروف بالمحقق الثانى، ولقّب هو بذلك تبعاً لأبيه، ولد سنة ۹۷۰ه (۱۵۶۳م) وتوفى سنة ۱۰۴۱ه (۱۶۳۲م)، فيلسوف ورياضى وفقيه وسياسى وشاعر ومؤلف ومدرس، جامع للعلوم والفنون، وقد نال حظوة كبيرة عند ملوك الصفويين، وكان معاصراً للشيخ البهائى، آلت إليه الرئاسة الدينية بعد وفاة الشيخ البهائى سنة ۱۰۳۰ه، من تلامذته: صدر المتألهين، السيد حسين الكركى، محمد تقى الأسترابادى. من مؤلفاته: رسالة فى المنطق، سدرة المنتهى فى تفسير القرآن الكريم، تقويم الإيمان فى الكلام، السبع الشداد، القبسات، رسالة فى ضوابط الرضاع، رسالة فى اختلاف الزوجين قبل الدخول. للمزيد راجع أمل الأمل: ج۲ ص۲۴۹، رياض العلماء: ج۵ ص۴۰، لؤلؤة البحرين: ص۱۳۲، الفوائد الرضوية: ص۴۱۸، روضات الجنات: ج۲ص۶۲، الكنى والألقاب: ج۲ ص۲۲۶، أعيان الشيعة: ج۹ ص۱۸۹، ريحانة الأدب: ج۶ ص۵۶، طبقات أعلام الشيعة: ج۵ص۶۷، مصفى المقال: ص۹، موسوعة طبقات الفقهاء للسبحانى: ج۱۱ص۳۱۵.

() وكان ذلك فى عهد شاه عباس الصفوى المولود سنة ۹۷۹م وتسلم الحكم سنة ۹۹۶م وتوفى سنة ۱۰۳۷م.

() وقد ذكرت هذه القصة بألفاظ قريبة فى أعيان الشيعة: ج۹ ص۲۴۲ للسيد محسن الأمين، وذكر إجمالها فى روضات الجنات لمحمد باقر الخونسارى: ج۷ ص۶۹ فى ترجمة الشيخ البهائى.

() غرر الحكم ودرر الكلم: ص۳۴۲ ح۷۸۲۵، شرح نهج البلاغة لابن أبى الحديد: ج۱۸ ص۴۰۷ ب ۱۷۸، بحار الأنوار: ج۷۲ ص۳۵۷ ب۸۱ ح۷۰ ط بيروت.

() أحمد بن طولون الفسطاط التركى، وكان والده مملوكاً تركى الأصل، أُسر فى إحدى الغزوات فى تركستان، أهداه نوح بن أسد السامانى إلى الخليفة العباسى سنة ۲۰۰ه مع ما أهداه من الرقيق والهدايا، مؤسّس الدولة الطولونية، وكلمة طولون باللغة التركية بمعنى البدر، ولد سنة ۲۲۰ه (۸۳۵م)، كان نائباً لزوج أمّه حاكم مصر بايكباك سنة ۲۵۴ه (۸۶۸م)، تولّى الحكم بعد وفاة بايكباك سنة ۲۵۴ه (۸۶۸م)، وانفصل عن الدولة العباسية واستطاع توحيد مصر والأسكندرونة وحمص وحماه وحلب وأنطاكيا تحت حكمه، وقد حكم ست عشرة سنة وتوفى سنة ۲۷۰ه (۸۸۴م)، وقد خلفه بعده ابنه خمارويه، وخلال حكمه شيد جامعاً فى القاهرة يحمل اسمه، وبنى مدينة القطائع على مقربة من القاهرة.

() سورة الأنفال: الآية ۴۶.

() هو منصب قضائى يعادل اليوم وزير العدل.

() يقول لورنس فى كتابه أعمدة الحكمة السبعة: ص۵۳ عن استخدام هذه السياسة: «كانت حلقتنا مزيجاً غريباً، فهى تضم نفراً من الأشراف والوجهاء وشيوخ القبائل من جهينة وعتيبة، وكنت أثير عمداً موضوعات الخلافات الحادّة بينهم كى أتعرف إلى مشاربهم

وعقائدهم دون إبطاء».

ويضيف فى ص۲۹۶ من نفس الكتاب : «عندما ذاع صيتى فى الآفاق، انتخبت تسعين شخصاً لحراستى الشخصية وهؤلاء ينتسبون إلى ثلاثين قبيلة مختلفة، بينها دماء ثأر، وكان تباغضهم يمنعهم من التكتل ضدى كما كان الخلاف المستحكم بينهم يبشر لى ولمبعوثى إيجاد جواسيس لنا فى كل مكان بين العقبة ودمشق وبئر السبع وبغداد، وستون منهم ماتوا فى خدمتى».

() تقع فى الجزء الجنوبى من إسبانيا الحالية، حكمها الأمويون؛ عندما استطاع عبد الرحمن بن معاوية بن هشام بن عبد الملك المشهور بالداخل أن يشكل حكومة فيها بعد أن فرّ من بنى العباس إلى قرطبة سنة ۱۳۸ه (۷۵۶م) واتخذ قرطبة عاصمة له، واستمرت هذه الحكومة إلى ۴۲۳ه

(۱۰۳۱م) عندما خلع آخر حكامها هشام الثالث، وقد مات عبد الرحمن فى الأندلس سنة ۱۷۲ه (۷۸۸م). وبعد سقوط الأندلس، قام المسيحيون بحرمان أهلها من استخدام اللغة العربية والأسماء العربية وارتداء اللباس العربى، ومن يخالف ذلك، كان يحرق بالنار بعد أن يعذب أشد العذاب. عن تاريخ الأندلس راجع الموسوعة الإسلامية: ج۴ ص۲۵۲ حسن الأمين.

() تطلق كلمة الإفرنج على الغربيين باعتبار أن الطابع الفرنسى يغلب على بلاد الشام، وباعتبار أن أغلب الحكام على البلاد كانوا من أصول فرنسية أو ميول فرنسية، وهذا ما جعل المسلمين عندما يتحدَّثون عن الغربيين يسمونهم الإفرنج.

() كان ذلك عندما دخل الملك الإسبانى فرناندو مدينة غرناطة عاصمة بنى الأحمر سنة ۸۹۷ ه (۱۴۹۲م) وأسر ملكهم أبا عبد الله، وبذلك انهار الحكم الإسلامى فى جميع الأندلس.

() غوستاف لوبون، ولد فى النورماندى سنة ۱۸۴۱م ومات فى باريس سنة ۱۹۳۱م، طبيب وعالم اجتماعى ومفكر فرنسى، دعا إلى تفسير السلوك الاجتماعى بالمقارنة بين نفسيات فردية، وكتب فى مجالات علمية كثيرة، وبلغت مؤلفاته الخمسين، منها: سيكولوجية الجماهير، علم النفس فى الأزمنة الجديدة، حضارة الهند، الحضارة الأولى، الآراء والعقائد، حياة الحقائق، الثورة الفرنسية وسيكولوجية الثورات، القوانين النفسية لتطور الشعوب، حضارة العرب؛ وقد اختصره الإمام المؤلف رحمة الله عليه باسم موجز تاريخ الإسلام.

() سورة الإسراء: الآية ۳۶.

() سور ة الحجرات: الآية ۱۲.

() فقد ورد عن أَبِى عَبْدِ اللَّهِ عليه السلام قَالَ أُتِىَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ عليه السلام بِرَجُلٍ وُجِدَ فِى خَرِبَةٍ وَبِيَدِهِ سِكِّينٌ مُلَطَّخٌ بِالدَّمِ وَإِذَا رَجُلٌ مَذْبُوحٌ يَتَشَحَّطُ فِى دَمِهِ، فَقَالَ لَهُ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ عليه السلام: مَا تَقُولُ؟

قَالَ: يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ، أَنَا قَتَلْتُهُ.

قَالَ: اذْهَبُوا بِهِ فَاقْتُلُوهُ بِهِ.

فَلَمَّا ذَهَبُوا بِهِ لِيَقْتُلُوهُ بِهِ أَقْبَلَ رَجُلٌ مُسْرِعاً فَقَالَ: لا تَعْجَلُوا وَرُدُّوهُ إِلَى أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عليه السلام فَرَدُّوهُ. فَقَالَ: وَاللَّهِ، يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ، مَا هَذَا صَاحِبَهُ أَنَا قَتَلْتُهُ.

فَقَالَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ عليه السلام: لِلأَوَّلِ مَا حَمَلَكَ عَلَى إِقْرَارِكَ عَلَى نَفْسِكَ وَلَمْ تَفْعَلْ؟!

فَقَالَ: يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ، وَمَا كُنْتُ أَسْتَطِيعُ أَنْ أَقُولَ وَقَدْ شَهِدَ عَلَىَّ أَمْثَالُ هَؤُلاءِ الرِّجَالِ وَأَخَذُونِى وَبِيَدِى سِكِّينٌ مُلَطَّخٌ بِالدَّمِ وَالرَّجُلُ يَتَشَحَّطُ فِى دَمِهِ وَأَنَا قَائِمٌ عَلَيْهِ وَخِفْتُ الضَّرْبَ فَأَقْرَرْتُ، وَأَنَا رَجُلٌ كُنْتُ ذَبَحْتُ بِجَنْبِ هَذِهِ الْخَرِبَةِ شَاةً وَأَخَذَنِى الْبَوْلُ فَدَخَلْتُ الْخَرِبَةَ فَرَأَيْتُ الرَّجُلَ يَتَشَحَّطُ فِى دَمِهِ فَقُمْتُ مُتَعَجِّباً فَدَخَلَ عَلَىَّ هَؤُلاءِ فَأَخَذُونِى.

فَقَالَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ عليه السلام: خُذُوا هَذَيْنِ فَاذْهَبُوا بِهِمَا إِلَى الْحَسَنِ وَقُصُّوا عَلَيْهِ قِصَّتَهُمَا وَقُولُوا لَهُ: مَا الْحُكْمُ فِيهِمَا؟

فَذَهَبُوا إِلَى الْحَسَنِ عليه السلام وَقَصُّوا عَلَيْهِ قِصَّتَهُمَا، فَقَالَ الْحَسَنُ عليه السلام: قُولُوا لأَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عليه السلام: إِنَّ هَذَا إِنْ كَانَ ذَبَحَ ذَاكَ فَقَدْ أَحْيَا هَذَا؛ وَقَدْ قَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ وَمَنْ أَحْياها فَكَأَنَّما أَحْيَا النَّاسَ جَمِيعاً، يُخَلَّى عَنْهُمَا وَتُخْرَجُ دِيَةُ الْمَذْبُوحِ مِنْ بَيْتِ الْمَالِ.

راجع الكافى (فروع): ج۷ ص۲۸۹ ب۲، وسائل الشيعة: ج۲۹ ص۱۴۲ ب۴ ح۳۵۳۴۳.

() الشيخ محمد حسين بن على آل كاشف الغطاء، عالم وفقيه وأديب وسياسى، ولد سنة ۱۲۹۴ه (۱۸۷۷م) وتوفى فى كرند سنة ۱۳۷۳ه (۱۹۵۴م)، تتلمذ عند السيد اليزدى صاحب (العروة الوثقى) والشيخ الخراسانى صاحب (الكفاية)، ولازم درسهما من سنة ۱۳۱۲ه وإلى وفاتهما، كما درس عند الشيخ الهمدانى صاحب مصباح الفقيه، ومن نشاطاته أنه عندما كتب جرجى زيدان كتابه تاريخ آداب اللغة العربية، ذكر فى الجزء الثانى منه ص۳۸۴: أن الشيعة طائفة صغيرة لم تترك أثراً يذكر وليس لها وجود فى الوقت الحاضر؛ فتصدى الشيخ كاشف الغطاء والشيخ أغا بزرك الطهرانى والسيد حسن الصدر لهذه الفكرة الخاطئة وهذا الكذب والافتراء والخروج عن الموضوعية فى البحث، فبحث السيد الصدر فى الآثار العلمية التى خلفها علماء الإمامية والتى كان لها دور بارز فى تأسيس ورفد العلوم الإسلامية، ووضع نتائج بحثه فى كتاب تأسيس الشيعة لعلوم الإسلام، وكتب الشيخ الطهرانى الذريعة إلى تصانيف الشيعة حيث فهرس فيه أسماء ومؤلفات علماء المذهب الشيعى، وتصدى الشيخ كاشف الغطاء لنقد جرجى زيدان مباشرة، من مؤلفاته: أصل الشيعة وأصولها، الفردوس الأعلى، العبقات العنبرية فى طبقات الجعفرية، الأرض والتربة الحسينية، المراجعات الريحانية، نزهة السحر ونهزة السفر، الدين والإسلام، التوضيح فى الإنجيل والمسيح، جنة المأوى.

() نهج البلاغة قصار الحكم: ۱۶۱، تصنيف غرر الحكم ودرر الكلم: ص۴۴۳ ح۱۰۱۱۱، شرح نهج البلاغة لابن أبى الحديد: ج۱۸ ص۳۸۲ ب۱۶۳، خصائص الأمة: ص۱۰۸، وسائل الشيعة: ج۱۲ ص۴۰ ب۲۱ ح۱۵۵۸۷، بحار الأنوار: ج۷۲ ص۱۰۴ ب۴۹ ح۳۸ ط بيروت.

() فقد ورد عن الرسول صلى الله عليه و اله: استعينوا على قضاء حوائجكم بالكتمان فإن كل ذى نعمة محسود، مجموعة ورام: ج۱ ص ۱۲۶ ۱۲۷، شرح نهج البلاغة لابن أبى الحديد: ج۱ ص۳۱۶ ب۲۳.

() سورة قريش: الآية ۴.

() سورة الأنفال: الآية ۶۰.

() سورة طه: الآية ۱۲۴.

() سورة التغابن: الآية ۱۶.

() وقد أسهب الإمام المؤلف رحمة الله عليهلحديث عن هذه الأمور وأشباهها فى كتابه «المرجعية الإسلامية».

() سورة البقرة: الآية ۴۱.

() جاسوس روسيا القيصرية فى البلاد الإسلامية، درس العلوم العسكرية والسياسية والحقوق فى روسيا، أنيطت به مهمة التجسس على إيران؛ فدخلها سنة ۱۸۳۴م وعمل كمترجم فى السفارة الروسية فى طهران تحت اسم مستعار هو عيسى اللنكرانى، ثم عين سفيراً لها سنة ۱۸۴۴م وتنقل بين إيران والعراق وبلاد الشام لأجل ترسيخ النفوذ الروسى فى المنطقة بدل النفوذ البريطانى وكانت مهمته القضاء على وحدة المسلمين عبر إيجاد مذاهب مصطنعة وشخصيات مزيفة، والترويج لفكرة القوميات، وقد ربّى لهذا الغرض على محمد الشيرازى؛ الذى ادّعى المهدوية. وقد ابتدع المذهب البابى عبر حسين على بهاء وأخيه ميرزا يحيى فى إيران، وقد أخذ الروس على عاتقهم الدعم السياسى والتمويل المادى لدعاة هذا المذهب وطبع كتبهم ومنشوراتهم.

() وقد نشرت مجلة الشرق هذه المذكرات بعد انهيار روسيا القيصرية وتأسيس الاتحاد السوفياتى السابق بين سنة ۱۹۲۴ ۱۹۲۵م. وقد ترجمت هذه المذكرات إلى اللغتين الفارسية والعربية.

() من المذاهب التى ابتدعتها السياسة سنة ۱۲۸۰ه (۱۸۶۳م) بواسطة حسين على نورى المشهور ب بهاء الدين المولود فى مازندران الإيرانية سنة ۱۲۳۲ه (۱۸۱۷م) والمتوفى فى مدينة حيفا الفلسطينية سنة ۱۳۱۰ه (۱۸۹۲م)، الذى كان أحد أبرز أتباع الباب على بن محمد الشيرازى بعد إعدامه وادّعى أنه المُظهر الأول للإرادة الإلهية. من مؤلفاته: الكتاب الأقدس وهو باللغة العربية، وكتاب الإيقان

وهو باللغة الفارسية، وكتاب الهيكل وهو خليط بين العربية والفارسية. عن نشأتهم وخرافاتهم وردّها راجع كتاب: مفتاح باب الأبواب للميرزا محمد مهدى خان التبريزى، وكتاب: البهائية حزب لا مبدأ للسيد أحمد الفالى، وكتاب «نصائح الهدى فى الردّ على البهائية» للشيخ محمد جواد البلاغى.

() للمؤلف: مايلز كوبلاند.

() للمؤلف: توماس أدورد لورنس.

() للمؤلف: عمر فرّوخ.

() الخطر اليهودى أو بروتوكولات حكماء صهيون. ترجمة محمد خليفة التونسى، والكتاب ترجم إلى عدة لغات، منها: الفرنسية والروسية والإنجليزية والعربية والفارسية والأُردية.

() العراق فى رسائل المس بيل، وكتاب فصول من تأريخ العراق القريب للجاسوسة البريطانية المس بيل، ترجمة جعفر الخياط.

() للمؤلف الجاسوس البريطانى همفر، وقد طبع الكتاب عدَّة طبعات، وترجم إلى عدَّة لغات.

() وكذا من الكتب المفيدة فى هذا المضمار: كتاب «سبز آباد ورجال الدولة البهية» للمؤلفة مى‌خليفة، وكتاب شيعة العراق لإسحاق النقّاش، وكتاب «العراق فى مذكرات الدبلوماسيين الأجانب» لنجدة فتحى صفوة، وكتاب «الحج قبل مائة سنة» للمؤلف يفيم ربرفان الرحلة السرية للضابط الروسى عبد العزيز ورلتسشين إلى مكة المكرمة.

ومن نافلة القول: نذكر القصة التالية التى ذكرها المؤلف رحمة الله عليه فى كتابه «الكتاب من لوازم الحياة» ص۴۲: «كنت فى العراق مهتماً فى أمر معرفة الناس لما وراء الكواليس الذى انتهى إلى هذه الحالة المتردية للمسلمين، وبهذا الصدد كنت أنشر الكتب التى توضِّح هذه الحقيقة، مثل كتاب «التبشير والاستعمار» وكتاب «مذكرات الدال كوركى» وكتاب «مذكرات مستر همفر» وكتاب «بروتوكولات حكماء صهيون». وصرفت بعض اهتمامى لطبع الكتاب الأخير، وبعد أن نشرناه فى المكتبات نفذ بسرعة ممّا آثار تعجّبى، كيف ينفذ هذا الكتاب بهذه السرعة؟ وأوعزت لإعادة طبعه ثانيةً، وبعد أقلّ من شهر نفذ أيضاً، وفى مرّة ثالثة طبعته ووزعته على المكتبات. ثمّ بعد أسبوع جاءنى شاب مثقّف فأرشدته إلى شراء هذا الكتاب، وبعد أن ذهب رجع، وقال قد بحثت فى المكتبات فلم أجد منه نسخة واحدة. وتحقّقت بنفسى الأمر، بعد أن أثار استغرابى نفاذ الكتاب بهذه السرعة فى مدّة قصيرة، وأخيراً اكتشفت أنّه كلّما طبع الكتاب جاء البعض إلى المكتبات فيشترون جميع النسخ، وبالقرائن عرفت أنّ المشترين هم عملاء اليهود، فإنّ اليهود وإن تركوا العراق وغيره من البلدان الإسلامية بعد اغتصاب فلسطين لكن أبقوا عملاءهم من أجل تنفيذ أمثال هذه الأمور، ثمّ بعد ذلك منعت رقابة السلطة فى العراق هذا الكتاب».

ومن الشواهد الأخرى التى تدلل على ذلك: «بعد أن هاجر من العراق ۱۱۵ألف يهودى سنة ۱۹۵۱م إثر تحريض إحدى المنظمات اليهودية بعد إلقائها قنبلة يدوية قرب كنيست يهودى وبعض الأماكن الأخرى وقُتل جراء ذلك يهوديان وجرح عدد آخر، وقد اكتشفت الشرطة العراقية تلك المنظمة السرية، التى كانت تعمل على حثّ اليهود العراقيين للهجرة إلى إسرائيل، وقد ألقى القبض على أعضاء هذه المنظمة وحكم على اثنين منهم بالإعدام وسجن بعضهم بأحكام تتراوح ما بين ۵ إلى ۸ سنوات. وقد جمع وقائع المحكمة والأحكام الصادرة وتصاوير المجرمين والأسلحة التى وجدت معهم مدير شرطة بغداد عبد الجبار فهمى فى كتاب، سمّاه «سموم الأفعى الصهيونية»، وقد فقد هذا الكتاب فى بغداد وجميع أنحاء العراق بعد أن جمعته الصهيونية».

() بحارالأنوار: ج۷۵ ص۷۶ ب۱۶ ح۴۷ ط بيروت، وورد أيضاً عن الإمام أمير المؤمنين عليه السلام: (خالطوا الناس مخالطة إن متم معها بكوا عليكم وإن غبتم حنوا إليكم) وسائل الشيعة: ج۱۲ ص۱۲ ب۲ ح۱۵۵۱۴. وورد كذلك عن على عليه السلام: (خالطوا الناس مخالطة إن متم معها بكوا عليكم وإن عشتم حنوا إليكم). شرح نهج البلاغة لابن أبى الحديد: ج۱۸ ص۱۰۷ ب۱۰، بحار الأنوار: ج۷۱ ص ۱۶۷ ب۱۰ ح۳۵ ط بيروت. وورد أيضاً: (يا بنى، عاشروا الناس عشرة إن غبتم حنوا إليكم وإن فقدتم بكوا عليكم) بحار الأنوار:

ج۴۲ ص۲۴۷ ب۱۲۷ ح۵۰ وج۷۱ ص۱۶۳ ب۱۰ ح۲۶ ط بيروت.

() سورة فصلت: الآية ۳۴.

() سورة فصلت: الآية ۳۵.

() إشارة إلى الحديث الوارد بعدة ألفاظ منها: (الناس كأسنان المشط سواء) من لا يحضره الفقيه: ج۴ ص۳۷۹ ب۲ ح۵۷۹۸. و(الناس سواء كأسنان المشط) تحف العقول: ص۳۶۸، بحار الأنوار: ج۷۵ ص۲۵۱ ب۲۳ ح۱۰۸ط بيروت. و(المؤمنون كأسنان المشط يتساوون فى الحقوق بينهم) مستدرك الوسائل: ج۸ ص ۳۲۷ ب۱۰ ح۹۵۶۸. و(إن الناس من عهد آدم إلى يومنا هذا مثل أسنان المشط لا فضل للعربى على العجمى ولا الأحمر على الأسود إلّا بالتقوى) مستدرك الوسائل: ج۱۲ ص۸۹ ب۷۵ح۱۳۵۹۸.

() سورة الحجرات: الآية ۱۳.

() سورة البقرة: الآية ۲۷۵.

() سورة المائدة: الآية ۹۰.

() سورة النور: الآية ۲.

() سورة الأحزاب: الآية ۵۳.

() سورة البقرة: الآية ۲۲۹.

() سورة الأنعام: الآية ۹۳.

() سورة الحشر: الآية ۷.

() سورة البقرة: الآية ۲۷۹.

() نهج الحق: ص۴۹۴ وص۵۰۲، غوالى اللآلى: ج۱ ص۲۲۲ ح۹۹ الفصل التاسع وج۲ ص۱۳۸ ح۳۸۳ وج۳ ص۲۰۸ ح۵۹، بحار الأنوار: ج۲ ص۲۷۲ ب۳۳ ح۷ ط بيروت. و(أنفسهم) مستفاد من قوله تعالى: النَّبِيُّ أَوْلَى بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنْفُسِهِمْ سورة الأحزاب: الآية ۶.

() سورة المجادلة: الآية ۲۲.

() سورة الإسراء: الآية ۷۰.

() الكافى (فروع): ج۵ ص۲۷۹ ح۲، الاستبصار: ج۳ ص۱۰۸ ب۷۲ ح۳، تهذيب الأحكام: ج۷ ص۱۵۲ ب۲۲ح۲۱، وسائل الشيعة: ج۲۵ ص۴۱۴ ب۳ ح۳۲۲۴۵.

() سورة الحجرات: الآية ۱۰.

() سورة الأعراف: الآية ۱۵۷.

() فقد ورد عن الإمام الباقر عليه السلام عن جده رسول الله صلى الله عليه و اله قائلاً: (أيها الناس، حلالى حلال إلى يوم القيامة وحرامى حرام إلى يوم القيامة ألا وقد بينها الله عزوجل فى الكتاب وبينتهما لكم فى سيرتى وسنتى وبينهما شبهات من الشيطان وبدع بعدى من تركها صلح له أمر دينه وصلحت له مروءته وعرضه، ومن تلبس بها وقع فيها واتبعها كان كمن رعى غنماً قرب الحمى، ومن رعى ماشيته قرب الحمى نازعته إلى أن يرعاها فى الحمى، ألا وإن لكل ملك حمى ألا وإن حمى الله عزوجل محارمه فتوقوا حمى الله ومحارمه، ألا وإن أذى المؤمن من أعظم سبب سلب الإيمان، ألا ومن أحب فى الله عزوجل وأبغض فى الله وأعطى فى الله ومنع فى الله فهو من أصفياء المؤمنين عند الله تبارك وتعالى ألا وإن المؤمنين إذا تحابا فى الله عزوجل وتصافيا فى الله كانا كالجسد الواحد إذا اشتكى أحدهما من جسده موضعاً وجد الآخر ألم ذلك الموضع)، كنز الفوائد: ج۱ ص۳۵۲.

وفى حديث آخر: (المؤمن أخو المؤمن كالجسد الواحد إذا سقط منه شىء تداعى سائر الجسد)، المؤمن: ص۳۸ ح۸۵.

وورد أيضاً عن أبى بصير قال: سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول: (المؤمن أخو المؤمن كالجسد الواحد إن اشتكى شيئاً منه وجد

ألم ذلك فى سائر جسده وأرواحهما من روح واحدة وإن روح المؤمن لأشد اتصالاً بروح الله من اتصال شعاع الشمس بها ودليله لا يحزنه ولا يظلمه ولا يغتابه ولا يعده عدة فيخلفه)، الكافى (أصول): ج۲ ص۱۶۶، مصادقة الأخوان: ص۴۸.

وورد أيضاً عن أبى عبد الله عليه السلام أنه قال: (المؤمن أخو المؤمن كالجسد الواحد إذا اشتكى شيئاً منه وجد ألم ذلك فى سائر جسده لأن أرواحهم من روح الله تعالى، وإن روح المؤمن لأشد اتصالاً بروح الله من اتصال شعاع الشمس بها)، الكافى (أصول): ج۲ ص ۱۶۶ ح۴، المؤمن: ص۳۸ ح۸۶، بحار الأنوار: ج۵۸ ص۱۴۸ ب۴۳ ح۲۵ ط بيروت.

وورد أيضاً: (مثل المؤمنين فى توادّهم وتراحمهم كمثل الجسد إذا اشتكى بعضه تداعى سائره بالسهر والحمّى)، بحار الأنوار: ج۵۸ ص ۱۵۰ ب۴۳ ح۲۹ ط بيروت.

وعن الإمام الصادق عليه السلام أنه قال: (المؤمنون فى تبارّهم وتراحمهم وتعاطفهم كمثل الجسد إذا اشتكى تداعى له سائره بالسهر والحمى)، مستدرك الوسائل: ج۱۲ ص ۴۲۴ ب۳۲ ح۱۴۵۰۶.

() إشارة إلى الحديث الوارد فى مستدرك الوسائل: ج۱۶ ص۲۶۴ ب۳۸ ح۱۹۸۱۷ وقريب منه فى الكافى (أصول): ج۲ ص۶۶۸ ح۱۴، ووسائل الشيعة: ج۹ ص۵۲ ب۷ ح ۱۱۵۰۱ وج۱۲ ص ۱۳۰ ب۸۸ ح۱۵۸۴۹.

() سورة التوبة: الآية ۴۱.

() سورة البقرة: الآية ۴۳.

() سورة الأنفال: الآية ۴۱.

() سورة البقرة: الآية ۸۳، سورة النساء: الآية ۳۶.

() سورة النور: الآية ۳۲.

() سورة البقرة: الآية ۱۱۴.

() سورة آل عمران: الآية ۱۰۴.

() من وصايا الرسول الأكرم صلى الله عليه و اله للإمام على عليه السلام: (يَا عَلِيُّ حَقُّ الْوَلَدِ عَلَى وَالِدِهِ أَنْ يُحْسِنَ اسْمَهُ وَأَدَبَهُ وَيَضَعَهُ مَوْضِعاً صَالِحاً، وَحَقُّ الْوَالِدِ عَلَى وَلَدِهِ أَنْ لا يُسَمِّيَهُ بِاسْمِهِ وَلا يَمْشِيَ بَيْنَ يَدَيْهِ وَلا يَجْلِسَ أَمَامَهُ وَلا يَدْخُلَ مَعَهُ فِي الْحَمَّامِ) من لا يحضره الفقيه: ج۴ ص۳۷۲ ب۲ ح۵۷۶۲، وسائل الشيعة: ج۲۱ ص۳۸۹ ب۲۲ ح۲۷۳۷۷، مكارم الأخلاق: ص۴۴۳.

وورد أيضاً عن رسول الله صلى الله عليه و اله أنه قال: (مِنْ حَقِّ الْوَلَدِ عَلَى وَالِدِهِ أَنْ يُحَسِّنَ اسْمَهُ إِذَا وُلِدَ وَأَنْ يُعَلِّمَهُ الْكِتَابَةَ إِذَا كَبِرَ وَأَنْ يُعِفَّ فَرْجَهُ إِذَا أَدْرَكَ) مستدرك الوسائل: ج۱۵ ص۱۶۹ب۶۳ ح۱۷۸۸۸. وورد أيضاً: (من حق الولد على والده ثلاثة: يحسن اسمه ويعلمه الكتابة ويزوجه إذا بلغ). وسائل الشيعة: ج۲۱ ص۴۸۲ ب۸۶ ح۲۷۶۴۶، مكارم الأخلاق: ص ۲۲۰، روضة الواعظين: ص۳۶۹، بحار الأنوار: ج۷۱ ص ۸۰ ب۲ ح۸۳ و ج۱۰۱ ص۹۲ ب۲ ح۱۹ ط بيروت، مستدرك الوسائل: ج۱۵ ص۱۶۶ ب ۶۰ ح۱۷۸۷۶.

() مستدرك الوسائل: ج۱۶ ص۳۱۹ ب۹۲، طبّ النّبى صلى الله عليه و اله: ص۲۱، بحار الأنوار: ج۵۹ ص۲۹۱ ب۸۹ ح۷۲ ط بيروت.

() سورة الأنفال: الآية ۶۰.

() سورة الأنفال: الآية ۴۶.

() سورة الحجرات: الآية ۱۲.

() سورة النساء: الآية ۲۹.

() سورة المائدة: الآية ۳۲.

() سورة الحجرات: الآية ۱۲.

() سورة الحجرات: الآية ۱۲.

() الكافى (فروع): ج۶ ص۴۳۸ ح۱، وسائل الشيعة: ج۵ ص۳۵ ب۱۹ ح۵۸۲۷، مكارم الأخلاق: ص۱۰۳، مستدرك الوسائل: ج۳ ص۲۳۵ ب۱ ح۳۴۶۶، الخصال: ص۶۱۳، بحار الأنوار: ج۷۶ ص۲۹۸ ب۱۰۹ ح۳ ط بيروت.

() فقد ورد هذا الحديث بألفاظ عديدة، منها قول الرسول صلى الله عليه و اله: (المسلمون إخوة يد واحدة على من سواهم تتكافأ دماؤهم يسعى بذمتهم أدناهم ويرد عليهم أقصاهم)، شرح نهج البلاغة لابن أبى الحديد: ج۱۷ ص۲۸۱ ب۶۴، وورد أيضاً عن الرسول صلى الله عليه و اله أنه قال: (المسلمون إخوة تتكافأ دماؤهم ويسعى بذمتهم أدناهم هم يد على من سواهم) وسائل الشيعة: ج۲۹ ص۷۵ ب۳۱ ح۳۵۱۸۵، كما ورد عن الرسول صلى الله عليه و اله أنه قال: (المؤمنون تتكافأ دماؤهم ويسعى بذمتهم أدناهم وهم يد على من سواهم) مستدرك الوسائل: ج۱۸ ص۲۳۷ ب۲۸ ح۲۲۶۱۶، وورد أيضاً عنه صلى الله عليه و اله: (المؤمنون إخوة تتكافأ دماؤهم وهم يد على من سواهم يسعى بذمتهم أدناهم) الكافى (أصول): ج۱ ص۴۰۳ ح۲، مستدرك الوسائل: ج۱۸ ص۲۳۸ ب۲۸ ح۲۲۶۱۷.

() متشابه القرآن: ج۲ ص۲۱۲، نهج الحق: ص۵۱۵، من لايحضره الفقيه: ج۴ ص ۳۳۴ ب۲ ح۵۷۱۹، وسائل الشيعة: ج۲۶ ص۱۴ ب۱ ح۳۲۳۸۳ وص۱۲۵ ب۱۵ ح۳۲۶۴۰، غوالى اللآلى: ج۱ ص۲۲۶ ح۱۱۸ وج۳ ص۴۹۶ ح۱۵، مستدرك الوسائل: ج۱۷ ص۱۴۲ ب۱ ح۲۰۹۸۵.

() سورة الشورى: الآية ۳۸.

() كنز الفوائد: ج۲ ص۱۰۷، غوالى اللآلى: ج۴ ص۷۰ ح۳۶، مستدرك الوسائل: ج ۱۷ ص۲۴۹ ب۴ ح۲۱۲۵۰، مجموعة ورام: ج۲ ص۱۴ وص۱۷۶، مشكاة الأنوار: ص۱۳۳، مصباح الشريعة: ص۲۲، عدة الداعى: ص۷۲، بحار الأنوار: ج۱ ص ۱۷۷ ب۱ ح۵۴ وج۲ ص۳۱ ب۹ ح۲۰ وج۱۰۵ ص۱۵ ط بيروت.

() فقد ورد عن على بن موسى الرضا عليه السلام عن أبيه عليه السلام عن آبائه عليهم السلام قال: قال رسول الله صلى الله عليه و اله: (مَنْ كَانَ مُسْلِماً فَلا يَمْكُرُ وَلا يَخْدَعُ فَإِنِّى سَمِعْتُ جَبْرَئِيلَ يَقُولُ إِنَّ الْمَكْرَ وَالْخَدِيعَةَ فِى النَّارِ. ثُمَّ قَالَ: لَيْسَ مِنَّا مَنْ غَشَّ مُسْلِماً وَلَيْسَ مِنَّا مَنْ خَانَ مُسْلِماً. ثُمَّ قَالَ صلى الله عليه و اله: إِنَّ جَبْرَئِيلَ الرُّوحَ الأَمِينَ نَزَلَ عَلَىَّ مِنْ عِنْدِ رَبِّ الْعَالَمِينَ فَقَالَ يَا مُحَمَّدُ، عَلَيْكَ بِحُسْنِ الْخُلُقِ فَإِنَّ سُوءَ الْخُلُقِ ذَهَبَ بِخَيْرِ الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ أَلا وَإِنَّ أَشْبَهَكُمْ بِى أَحْسَنُكُمْ خُلُقاً) وسائل الشيعة: ج۱۲ ص۲۴۱ ب۱۳۷ح۱۶۱۹۸، الأمالى للصدوق: ص۲۷۰ ح۵، عيون أخبار الرضا عليه السلام: ج۲ ص۵۰ ح۱۹۴، بحار الأنوار: ج۶۸ ص۳۸۷ ب۹۲ ح۳۵ و ج۷۲ ص۲۸۴ ب۷۲ ح۲ ط بيروت.

() سورة المائدة: الآية ۲.

() سورة الفرقان: الآية ۳۰.

() تبع الإمام أمير المؤمنين عليه السلام جنازة فسمع رجلا يضحك، فقال عليه السلام: (كَأَنَّ الْمَوْتَ فِيهَا عَلَى غَيْرِنَا كُتِبَ، وَكَأَنَّ الْحَقَّ فِيهَا عَلَى غَيْرِنَا وَجَبَ، وَكَأَنَّ الَّذِى نَرَى مِنَ الأَمْوَاتِ سَفْرٌ عَمَّا قَلِيلٍ إِلَيْنَا رَاجِعُونَ نُبَوِّئُهُمْ أَجْدَاثَهُمْ وَنَأْكُلُ تُرَاثَهُمْ كَأَنَّا مُخَلَّدُونَ بَعْدَهُمْ قَدْ نَسِينَا كُلَّ وَاعِظٍ وَوَاعِظَةٍ وَرُمِينَا بِكُلِّ جَائِحَةٍ، طُوبَى لِمَنْ ذَلَّ فِى نَفْسِهِ وَطَابَ كَسْبُهُ وَصَلَحَتْ سَرِيرَتُهُ وَحَسُنَتْ خَلِيقَتُهُ وَأَنْفَقَ الْفَضْلَ مِنْ مَالِهِ وَأَمْسَكَ الْفَضْلَ مِنْ لِسَانِهِ وَعَزَلَ عَنِ النَّاسِ شَرَّهُ وَوَسِعَتْهُ السُّنَّةُ وَلَمْ يُنْسَبْ إِلَى بِدْعَةٍ) نهج البلاغة: ص۴۹۰، مستدرك الوسائل: ج۲ ص۳۷۷ ب۵۳ ح۲۲۳۶، تفسير القمى: ج۲ ص۷۰، خصائص الأئمة: ص۹۹، روضة الواعظين: ج۲ ص۴۹۰، شرح نهج البلاغة لابن أبى الحديد: ج۱۸ ص۳۱۱ ب۱۱۸، بحار الأنوار: ج۶ ص۱۳۶ ب۴ ح۳۸.

() للتفصيل عن أسباب سقوط المسلمين، دينياً ودنيوياً؛ راجع كتاب: (سقوط بعد سقوط) للإمام المؤلف رحمة الله عليه.

() أى حزب البعث العربى الاشتراكى، الذى حكم الشعب العراقى بالحديد والنار.

() المقصود كتاب فى سبيل البعث لميشيل عفلق.

() المقصود القرآن الكريم.

() سورة البقرة: الآية ۹.

() وقد جاء فى التاريخ أنه عندما قتل الإنجليز الملك غازى، استغل اليهود هذه الفرصة لهيجان الرأى العام؛ لتحريض الشعب العراقى على الألمان باعتبارهم القاتلين، وكان الإنجليز يرحبون بنشاط اليهود لأنه يبعدهم عن الاتهام. وكانوا يتخذون الاتهامات التى تكال ضدهم وسيلة لحمل الحكومة العراقية على اتخاذ إجراءات مقابلة ضد أعدائهم الألمان وتكون الحكومة العراقية مضطرة للإذعان لرغبات الإنجليز وإن لم تكن مؤيدة لها أو راضية عنها.

() سورة القصص: الآية ۴.

() الوليد بن مصعب، ويكنى بأبى مصعب وهو فرعون موسى، الطاغوت والجبار والمتكبر والظالم والساحر والباغى الذى قال: أنا ربكم الأعلى، ?وقد اختلف أرباب التاريخ فى نسبه، فبعض قال: إنه من اليمن، وآخر: إنه من العمالقة، وثالث: إنه من أقباط مصر؛ كما ذكر ذلك اليعقوبى فى تاريخه ج۱ ص ۱۸۶، وكلمة فرعون ?فى اللغة المصرية القديمة تعنى الملك المتصرّف أو الربّ الذى له حق الأمر والنهى فى شعبه أو من هم تحت سلطته، وقد ورد اسم فرعون فى القرآن ۷۴ مرة، وتحدث عنه البارى سبحانه وتعالى فى ۲۷سورة، وقد حكم مصر وفلسطين وبلاد الشام وبلاد ما بين الرافدين فى العراق واستمر حكمه على أقل التقادير ۲۰۰ عام، وقد استعان فى ترسيخ حكمه ببعض الكهنة والسحرة واستخدام سياسة «فرّق تسد»، وصفه القرآن الكريم: إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلَا فِي الأَرْضِ وَجَعَلَ أَهْلَهَا شِيَعاً يَسْتَضْعِفُ طَائِفَةً مِنْهُمْ يُذَبِّحُ أَبْنَاءَهُمْ وَيَسْتَحْيِي نِسَاءَهُمْ إِنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ سورة القصص: الآية ۴، و إِنَّ فِرْعَوْنَ لَعَالٍ فِي الأَرْضِ وَإِنَّهُ لَمِنَ الْمُسْرِفِينَ سورة يونس: الآية ۸۳. و إِنَّهُ كَانَ عَالِياً مِنَ الْمُسْرِفِينَ سورة الدخان: الآية ۳۱. أرسل الله سبحانه وتعالى إليه موسى النبى عليه السلام وآزره بأخيه هارون عليه السلام وبعث معه آيات عديدة، منها: العصا، والجراد، والقمل، والضفادع. لكن فرعون استكبر ولم يؤمن؛ فأغرقه اللهُ وجنودَه، والبالغ عددهم مليون شخص فى نهر النيل.

() إقبال الأعمال: ص۶۴۳ فى دعوات أيام رجب، جمال الأسبوع: ص۴۲۳، الصحيفة السجادية: ص۲۰۴ دعاء رقم ۴۶، مصباح الكفعمى: ص۴۳۳، مصباح المتهجد: ص۳۶۹، بحار الأنوار: ج۹۵ ص۳۸۹ ب۲۳ ط بيروت.

() إشارة إلى الحديث الوارد: (أبى الله أن يجرى الأشياء إلّا بأسباب فجعل لكلّ شىء سبباً وجعل لكلّ سبب شرحاً وجعل لكلّ شرح علماً) الكافى (أصول): ج۱ ص ۱۸۳ ح۷.

() فعلى سبيل المثال أن التبشير المسيحى فى الوقت الحاضر يرتكز على خمسة ملايين مبشر، وخمس وعشرين ألف منظمة تنصيرية وعشرين ألف منظمة تعمل فى مجال الخدمات ومائة ألف معهد لنشر الفكر المسيحى، وألفين ومائتين وسبعين مجلة ونشرة تنصيرية، ومائة وتسعين محطة بث إذاعى وتلفزيونى. ويكلّف البابا كلَّ مبشر مسيحى يبقى فى منطقة معينة مدة خمس سنوات أن يؤسس مؤسسة تبشيرية؛ هذا ما ذكرته جريدة الرأى العام الكويتية.

() فلاديمير إيليتش أوليانوف، المشهور ب(لينين) نسبة إلى اسم نهر لينا؛ حيث كان منفياً على ضفافه فى العهد الملكى الإمبراطورى، زعيم وكاتب روسى، ولد سنة ۱۸۷۰م ومات سنة ۱۹۲۴م، دخل المعترك السياسى بتأسيس الحزب الشيوعى فى روسيا وقاد الثورة البلشفية سنة ۱۹۱۷م وأطاح بحكومة كيرنسكى، أسس الاتحاد السوفياتى السابق وأصبح رئيساً للبلاد بين سنة ۱۹۱۷م ۱۹۲۴م، أهم مؤلفاته: الاستعمار أعلى مراتب الرأسمالية.

() زعيم صينى، ولد سنة ۱۸۹۳م، ومات سنة ۱۹۷۶م، قاد ثورة على الحكم سنة ۱۹۲۷م وقاد مسيرة سنة ۱۹۳۴م ثم تراجع أمام الجيش، مؤسس الحزب الشيوعى الصينى، أصبح رئيساً للصين الشعبية سنة ۱۹۵۴م، واستمر فى الحكم إلى سنة ۱۹۵۹م، نادى بالثورة الثقافية سنة ۱۹۶۶م، من مؤلفاته: (الكتاب الأحمر).

() معاوية بن صخر بن حرب بن أمية الأموى، مؤسس الدولة الأموية فى بلاد الشام، وأمّه هند بنت عتبة، المشهورة بالزنا التى كانت

من أصحاب الرايات الداعرة، وقد هجاها الشاعر حسان بن ثابت بالزنا وبمحضر الرسول صلى الله عليه و اله ولم ينكر صلى الله عليه و اله عليه ذلك، والملقبة ب(آكلة الأكباد)؛ لأكلها كبد سيدنا حمزة عليه السلام عم النبى صلى الله عليه و اله، ولد بمكة سنة ۲۰ قبل الهجرة، وأسلم يوم الفتح سنة ۸ ه، لعنه الرسول صلى الله عليه و اله فى عدة أحاديث، منها: (إذا رأيتم معاوية على منبرى فاقتلوه) و(إذا رأيتم معاوية بن أبى سفيان يخطب على منبرى فاضربوا عنقه)، ولّاه عمر بن الخطاب الأردن ثم دمشق معها، وولّاه عثمان بن عفّان كلّ بلاد الشام، عزله الإمام أمير المؤمنين عليه السلام من منصبه ثم حاربه فى واقعة صفين، التى كانت الميزان فى تشخيص الباغى لدى الصحابة، حيث قال النبى صلى الله عليه و اله لعمار بن ياسر: (يا عمار، تقتلك الفئة الباغية)، مات فى دمشق فى شهر رجب من سنة ۶۰ ه (۶۸۰م) بعد أن حكم ۲۰ سنة فى الخلافة وحكم أربعين سنة فى الإمارة، أشهر فضائله؛ كما عن ابن خلكان فى ترجمة النسائى، عندما سئل عن معاوية وما روى من فضائله، قال: ما أعرف له فضيلة إلّا (لا أشبع الله بطنه)؛ وهذه الكلمة قالها الرسول صلى الله عليه و اله فى حقّه، انظر شرح نهج البلاغة لابن أبى الحديد: ج۴ ص۵۵، البداية والنهاية: ج۸ ص۱۱۹.

من مثالب معاوية أنه تعاطى الخمر وارتكب المجون وعطل أحكام الله ونهب أموال الناس وأكثر من وضع الحديث، وكان أول من استعمل الولاة النصارى أمثال ابن آثال على خراج حمص، وأول من استكتب النصارى، وأول من رفع الرؤوس على الرماح بعد احترازها فى الإسلام، وأول من دفن المسلمين أحياءً. كتب إلى عماله فى جميع الأمصار أنْ يسبّوا الصحابة أمثال على بن أبى طالب عليه السلام ومالك الأشتر وابن عباس والحسن والحسين ? وعبد الله بن جعفر، كما أنه حوّل الحكومة إلى استبدادية وشخصية وجعل البلاد إرثاً له ولأقربائه، وجمّد الحركة الفكرية الإسلامية عبر القضاء على الصحابة؛ فقد قتل عمار بن ياسر وحجر بن عدى الكندى وأصحابه ومحمد بن أبى بكر ومالك الأشتر وعمرو بن الحمق الخزاعى ? والإمام الحسن عليه السلام، وقضى على المعارضة الداخلية بتوجيه الناس إلى الحروب الخارجية؛ وقد أشار لعثمان بذلك حيث قال له: رأى لك يا أمير المؤمنين، أنْ تأمرهم بالجهاد يشغلهم عنك وأن تجمهرهم فى المغازى حتى يذلّوا لك فلا يكون همُّ أحدهم إلاّ نفسه، وكان يأخذ على التهمة والظنة حتى كان الرجل يسقط بكلمة فيضرب عنقه، وكتب إلى عماله وولاته فى جميع البلاد والأمصار أمثال بسر بن أرطأة، واليه على المدينة ومكة واليمن؛ والغامدى واليه على الأنبار أن لا- يجيزوا لأحد من شيعة على عليه السلام ولا- من أهل بيته ولا من أهل ولايته، الذين يرون فضله ويتحدثون بمناقبه شهادةً، وكتب أيضاً: «انظروا من يحب علياً وأهل بيته فامحوه من الديوان ولا تجيزوا له شهادة»، وفى كتاب آخر: «من اتهمتموه أنه محب لعلى ولم تقم عليه بينة فاقتلوه، وأمر سفيان بن عون الغامدى حين أرسله للعراق: اقتل من لقيته ممّن هو ليس على مثل رأيك وأخرب كل ما مررت به من قرى، وأخرج ابن الجوزى من طريق عبد الله بن أحمد بن حنبل، سألت أبى: ما تقول فى معاوية؟ فأطرق ثم قال: اعلم أن علياً كان كثير الأعداء ففتش أعداؤه له عيباً فلم يجدوه، فهُدوا إلى رجل قد حاربه فأطروه؛ كيداً منهم لعلى، فأشار بهذا إلى ما اختلقوه لمعاوية من فضائل مما لا أصل له. فتح البارى بشرح صحيح البخارى لابن حجر العسقلانى ج۷ ص۸۳، للمزيد راجع تاريخ بغداد: ج۱ص۲۰۷، أسد الغابة: ج۴ ص۳۸۵، الإصابة: ج۳ ص۳۳، شذرات الذهب: ج۱ص۶۵، تهذيب التهذيب: ج۵ ص۱۱۰ وج۱۰ ص۲۰۷، الكامل فى التاريخ: ج۳، وفيات الأعيان: ج۱ ص۷۷، منهاج البراعة: ج۷ ص۱۴۲ ۱۴۳، تأريخ الخلفاء: ص۲۰۵، البداية والنهاية: ج۸ ص۱۲۴، العقد الفريد: ج۶ ص۹۵، الأغانى: ج۹ ص۵۳، السيرة النبوية لابن كثير: ج۳ ص۹۶، أنساب الأشراف للبلاذرى: ج۳ ص۱۲۶، الاستيعاب فى معرفة الأصحاب: ص۱۴۲۰، شرح نهج البلاغة لابن أبى الحديد: ج۱۱ ص۴۴۴۷.

() المغيرة بن شعبة بن أبى عامر بن مسعود الثقفى، ولد بالطائف وأسلم سنة ۵ ه (۶۲۶م)، وجاء فى التاريخ أن سبب إسلامه ذهابه إلى المقوقس مع جماعة من بنى مالك وكان عددهم ثلاثة عشر رجلاً فلما رجعوا، فتك بهم؛ طمعاً فى أموالهم، فهرب منهم ولاذ بالإسلام، وفى ذلك يقول الإمام على عليه السلام: (وما المغيرة إنّما كان إسلامه لفجرة وغدرة)، ذهبت عينه فى معركة اليرموك وشهد القادسية ونهاوند وهمدان، ولّاه عمر بن الخطاب على البصرة ثم عزله عنها بعد زناه ولم يقم عليه الحد ثم ولّاه الكوفة وأقرّه

عثمان عليها ثم عزله عنها، وقال الإمام على عليه السلام: (لئن ملكت لأرمينه بالحجارة)، وكان من أشد المبغضين لعلى عليه السلام، وفى عهد معاوية تولّى الكوفة إلى أن مات سنة ۵۰ه بمرض الطاعون. راجع: أسد الغابة: ج۴ ص۴۰۷، طبقات ابن سعد: ج۴ ص۲۸۴، الاستيعاب: ج۴، أنساب الأشراف: ج۱۳ ص۳۴۸، المغازى: ج۵ ص۵۹۵، شرح نهج البلاغة لابن أبى الحديد: ج۴ ص۴۵۳.

() جندب بن جنادة، من بنى غفار، سمّاه رسول الله صلى الله عليه و اله عبد الله، وهو أول من حيّاه الرسول صلى الله عليه و اله بتحية الإسلام، جهر بإسلامه فى مكة فضرب حتى أغمى عليه فأمره الرسول الأكرم صلى الله عليه و اله بالرجوع إلى قبيلته؛ يدعوهم إلى الإسلام. يعد من خيار الصحابة، قال فى حقه الرسول صلى الله عليه و اله: (والله، ما أظلّت الخضراء ولا أقلّت الغبراء من ذى لهجة أصدق من أبى ذر)، حضر غزوة تبوك، لازم الرسول صلى الله عليه و اله إلى أن وافاه الأجل فقال: لقد تركنا رسول الله صلى الله عليه و اله وما يحرك طائر جناحيه فى السماء إلّا ذكّرنا منه علماً، اشتهر بتقواه وبساطته، عارض بيعة أبى بكر، ثم عاش فى بلاد الشام بعد وفاة الرسول صلى الله عليه و اله قرابة عشر سنوات، وكان يجمع الناس حوله ويحدثهم بأحاديث الرسول صلى الله عليه و اله فى فضائل على عليه السلام، ونعى على معاوية الترف والإسراف واللعب بأموال المسلمين، ولما بنى معاوية قصراً له، بعث أبو ذر إليه أحداً يقول له: يا معاوية، إن كان هذا من مال المسلمين فهى الخيانة، وإن كان من مالك فهو الإسراف؛ فضاق معاوية به ذرعاً واشتكاه لعثمان فأرسله إلى المدينة بصورة يندى لها الجبين. يقول المسعودى فى مروج الذهب: رد إلى المدينة على بعير عليه قتب يابس معه خمسمائة من الصقالبة يطردون به حتى أتوا به المدينة وقد تسلخت بواطن أفخاذه وكاد يتلف، وقف بوجه عثمان، الذى تسلط هو وأقرباؤه من بنى أمية أمثال مروان بن الحكم على رقاب المسلمين، الذين اتخذوا مال الله دولاً وعباد الله خولاً ودين الله دخلاً، وكان يمر بالطرقات والأزقة يحرض المسلمين على عثمان ويقول?: الَّذِينَ يَكْنِزُونَ الذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ وَلاَ يُنْفِقُونَهَا فِى سَبِيلِ اللهِ فَبَشِّرْهُمْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ، ?فمنعه أعوان الخليفة من ذلك، فقال: ?أتنهوننى عن قراءة القرآن؟ وأضاف: والله، لئن أرضى الله بسخط عثمان أحب إلىّ وخير لى من أن أسخط الله برضا عثمان. ودافع عن المحرومين وكان يصرخ فى وجه الحكام قائلاً: أتتكم القطار بحمل النار، اللهم العن الآمرين بالمعروف التاركين له، اللهم العن الناهين عن المنكر المرتكبين له كما جاء فى شرح نهج البلاغة لابن أبى الحديد: ج۸ ص۲۵۷. ومن وصاياه: ? إن الله قد فضلك فجعلك إنساناً فلا تجعل نفسك بهيمة ولا سبعاً. نفاه عثمان إلى الربذة قائلاً له: اخرج عنا من بلادنا وجوارنا، وتوفى فيها غريباً سنة ۳۲ه (۶۵۲م). للمزيد راجع الإصابة، فرائد السمطين، تاريخ اليعقوبى، تاريخ الطبرى، الاستيعاب، أعيان الشيعة، الغدير للأمينى، البداية والنهاية لابن كثير، الموسوعة الإسلامية لحسن الأمين، شرح نهج البلاغة لابن أبى الحديد.

() عمرو بن العاص بن وائل السهمى، اشتهرت أمّه (نابغة بنت حرملة) بالبغاء؛ فقد زنا بها أبو لهب وأمية بن خلف وهشام بن المغيرة وأبو سفيان بن حرب والعاص بن وائل وكلهم فى طهر واحد؛ فحملت بعمرو فتنافسوا جميعاً على مولودها وأرجعوا الحكم إليها فاختارت العاص فقالوا لها: ابنك أشبه بأبى سفيان فلماذا اخترتى العاص؟ فقالت: بخل أبى سفيان، والعاص أقدر على دفع النفقة.

وقد قال له الإمام الحسن عليه السلام تعريضاً به: (تحاكمت فيك رجال قريش، فغلب عليك جزارها، ألأمهم حسباً، وأعظمهم لؤماً، فإياك عنى فإنك رجس). راجع شرح نهج البلاغة لابن أبى الحديد: ج۱۶ ص۲۸.

وقد هجاه حسان بن ثابت قائلاً:

أبوك أبو سفيان لا شك قد بدت

لنا فيك منه بينات الدلائل

ففاخر به أما فخرت ولا تكن

تفاخر بالعاص الهجين ابن وائل

وأن التى فى ذاك يا عمرو حكمت

فقالت رجاءً عند ذلك لنائل

من العاص عمرو تخبر الناس كلما

تجمعت الأقوام عند المحافل

عرف بالمكر والخديعة والغدر حتى ضرب به المثل، عادى رسول الله صلى الله عليه و اله وكان يؤذيه ويضع فى طريقه الحجارة وقد هجاه بسبعين بيتاً وكان يعلمها للصبيان فإذا مرّ بهم رسول الله صلى الله عليه و اله رفعوا أصواتهم فلعنه الرسول صلى الله عليه و اله بعدد كل بيت لعنة بعد صلاته فى الحجر، وفى مكان آخر لعنه الرسول عليه السلام قائلاً: «اللهم العن عمرو بن العاص». روّع زينب بنت الرسول الأكرم صلى الله عليه و اله عندما خرجت مهاجرة من مكة إلى المدينة وأسقط جنينها. وكان مبعوث قريش إلى الحبشة لتحريض النجاشى على قتل المسلمين وطردهم منها أو تسليمهم لقريش. قاتل المسلمين فى بدر وأحد والخندق، أسلم سنة ۸ ه (۶۲۹م) مع خالد بن الوليد، شهد فتح الشام، ولّاه عمر بن الخطاب فلسطين ثم مصر، عزله عثمان عن مصر وعين مكانه عبد الله بن سعد، وأضحى يؤلب الناس على عثمان، وعندما قتل عثمان قال ابن العاص: أنا أبو عبد الله إذا نكأت قرحة أدميتها، قتلته وأنا بوادى السباع. وقال لولده: لقد حرّضت على عثمان حتى الراعى فى الصحراء، وفى حكومة معاوية أضحى من المقربين والمناصرين له وقد ناصره فى حروبه ضد الإمام على عليه السلام كحرب صفين والتى نجى منها بكشف عورته، مات فى مصر سنة ۴۳ ه (۶۶۳م) بعد أن ولاه معاوية عليها، ودفن فى المقطم من ناحية الفج عن عمر يناهز التسعين سنة. وقال لابنه حين وفاته: «أصلحت لمعاوية دنياه وأفسدت دينى، آثرت دنياى وتركت آخرتى، عمّى علىّ رشدى حتى حضرنى أجلى، كأنى بمعاوية قد حوى مالى وأساء فيكم خلافتى?».

?ترجمه شذرات الذهب ج۱ص ۵۳، تهذيب التهذيب ج۸ ص۵۶، أسد الغابة ج۴ ص ۱۱۵، سير أعلام النبلاء ج۳ ص۵۴، مروج الذهب ج۳ ص۳۲، ربيع الأبرار: ج۳ ص ۵۵۰، تذكرة الخواص: ص۱۸۶، تاريخ اليعقوبى: ج۲ ص ۱۳۰، السيرة النبوية: ج۳ ص ۲۷۰، شرح نهج البلاغة لابن أبى الحديد: ج۲ ص ۱۰۰.

() صخر بن حرب بن أمية، قاد المشركين فى حروبهم ضد الرسول صلى الله عليه و اله كحرب بدر وأحد والخندق، وما من فتنة إلّا وشارك فيها، أسلم مضطراً يوم الفتح وكان يشتهر بالنفاق؛ كما ذكر ذلك الأغانى: ج۶ ص۳۴۳، يقول الزبير لولده عبد الله فى حق أبى سفيان: قاتله الله يأبى إلّا نفاقاً، عندما أصبح عثمان خليفة، ذهب بنو أمية إليه ليباركوا له خلافته، فقام أبو سفيان خطيباً قائلاً: هل بيننا من غير بنى أمية؟ فقالوا: لا، فقال: تلاقفوها يا بنى أمية، تلقف الكرة، فالذى يحلف به أبو سفيان، لا عذاب ولا حساب ولا جنة ولا نار ولا حشر ولا قيامة، مات أبو سفيان سنة ۳۱ه (۶۵۲م).

() خالد بن الوليد بن المغيرة المخزومى، ابن خالة عمر بن الخطاب، أسلم برفقة عمرو بن العاص سنة ۸ه (۶۲۹م)، أرسله أبو بكر إلى العراق سنة ۱۲ه (۶۳۳م) لفتح الحيرة، ثم عينه قائداً فى الشام، وقد خلعه عمر بن الخطاب من سمته. مات بحمص سنة۲۱ه (۶۴۲م). ارتكب عدة جرائم؛ ففى عهد الرسول صلى الله عليه و اله قتل الكثير من بنى جذيمة المسالمين بعد أن كتّفهم، وعندما أخبر الرسول صلى الله عليه و اله بذلك، رفع يديه إلى السماء قائلاً: اللّهم إنى أبرأ إليك مّما صنع خالد بن الوليد، ثم أرسل الرسول الأكرم صلى الله عليه و اله الإمام على عليه السلام لبنى جذيمة قائلاً له: يا على، اخرج إلى هؤلاء القوم فانظر فى أمرهم واجعل أمر الجاهلية تحت قدميك. فخرج الإمام على عليه السلام حتى جاءهم ومعه مال فد، بعث به رسول الله صلى الله عليه و اله فودى لهم الدماء وما أصيب لهم من الأموال حتى إنه ليدى لهم ميلغة الكلب، إذ لم يبق شىء من دم ولا مال إلّا وداه، بقيت معه بقية من المال. فقال لهم على عليه السلام حين فرغ منهم: هل بقى لكم دم أو مال لم يودَ لكم؟ قالوا: لا. قال: فإنى أعطيكم هذه البقية من هذا المال احتياطاً لرسول الله صلى الله عليه و اله مما لا يعلم ولاتعلمون. ففعل، ثم رجع إلى رسول الله صلى الله عليه و اله فأخبره الخبر. فقال الرسول صلى الله عليه و اله: أصبت وأحسنت. ثم قام رسول الله صلى الله عليه و اله فاستقبل القبلة قائماً شاهراً يديه حتى إنه ليرى ما تحت منكبيه، يقول: اللهم إنى أبرأ إليك مما صنع خالد بن الوليد. ثلاث مرات.

وفى زمن أبى بكر هجم خالد على بنى سليم الذين لم يقبلوا بخلافة أبى بكر، وجمع رجالهم فى الحضائر وأحرقهم بالنار. وكذلك هجم على مالك بن نويرة وعشيرته الذى يعد من الأشراف فى الجاهلية والإسلام وقد عاشر الرسول الأكرم صلى الله عليه و اله وأحسن معاشرته واستعمله الرسول صلى الله عليه و اله لبرهة من الزمن على صدقات قومه بعد أن رفض مالك إعطاء الزكاة لأبى بكر ممّا حدا بخالد أن يقتل مالكاً والكثير من أصحابه، وزنا بزوجته أم تميم، وسبى الكثير من النساء، ونهب الأموال، ثم أمر بحزّ رؤوس القتلى لتجعل أثفية للقدور، فما من رأس إلّا وصلت النار إلى بشرته ما عدا مالكاً فإن القدر نضجت وما نزح رأسه من كثرة شعره وقد وقى الشعر البشرة حرها أن يبلغ منه ذلك. وقال عمر بن الخطاب لخالد بعد هذه الفجيعة: قتلت امرءاً مسلماً ثم نزوت على امرأته، والله، لأرجمنك بأحجارك. ثم عندما نكح خالد بن الوليد? ابنة مجاعة بن مرارة قسراً، كتب إليه أبو بكر: يا ابن أم خالد، إنك لفارغ، تنكح النساء وبفناء بيتك دم ألف ومائتى رجل من المسلمين لم يجفف بعد. للمزيد راجع الرياض النضرة: ج۱ ص ۱۰۰، شرح نهج البلاغة: ج۴ ص۱۸۷، الغدير للأمينى: ج۷ ص۱۵۵ ۱۶۹، الموسوعة الإسلامية: ج۵ ص۱۷۴ ۱۷۵ للباحث حسن الأمين، الكامل فى التاريخ: ج۲ ص۱۷۳.

() يقول الإمام أمير المؤمنين عليه السلام: وَاللهِ مَا مُعَاوِيَةُ بِأَدْهَى مِنِّى ولَكِنَّهُ يَغْدِرُ ويَفْجُرُ ولَوْلا كَرَاهِيَةُ الْغَدْرِ لَكُنْتُ مِنْ أَدْهَى النَّاسِ، ولَكِنْ كُلُّ غُدَرَةٍ فُجَرَةٌ وكُلُّ فُجَرَةٍ كُفَرَةٌ ولِكُلِّ غَادِرٍ لِوَاءٌ يُعْرَفُ بِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ واللهِ مَا أُسْتَغْفَلُ بِالْمَكِيدَةِ ولا أُسْتَغْمَزُ بِالشَّدِيدَةِ). نهج البلاغة: الخطبة ۲۰۰.

() ذكر البلاذرى فى أنساب الأشراف: ج۵ ص۲۳۹ عن دهاء معاوية أنه كتب إلى زياد بن أبيه: «انظر أهل اليمن فأكرمهم فى العلانية وأهِنهم فى السر». وذكر اليعقوبى فى تاريخه ج۲ ص۱۵۰: «أن معاوية إذا بلغه عن رجل ما يكره، قطع لسانه بالإعطاء وربما احتال عليه فبعث به إلى الحروب وقدّمه، وكان أكثر الناس ما فعله المكر والحيلة». وذكر المسعودى فى مروج الذهب: «إن رجلاً من أهل الكوفة دخل على بعير له إلى دمشق فى حالة منصرفهم عن صفين، فتعلق به رجل من دمشق. فقال: هذه ناقتى، أخذت منى بصفين، فارتفع أمرهما إلى معاوية، وأقام الدمشقى خمسين رجلاً بينة، يشهدون أنها ناقته، فقضى معاوية على الكوفى، وأمره بتسليم البعير إليه. فقال الكوفى: أصلحك الله! إنه جمل وليس بناقة، فقال معاوية: هذا حكم قد مضى، ودسّ إلى الكوفى بعد تفرقهم فأحضره، وسأله عن ثمن بعيره؟ فدفع إليه ضعفه، وبرّه، وأحسن إليه،وقال له: أبلغ علياً أنى أقاتله بمائة ألف ما فيهم من يفرق بين الناقة والجمل، وقد بلغ من أمر أهل الشام فى طاعتهم لمعاوية أنه صلّى بهم عند مسيرهم إلى صفين الجمعة فى يوم الأربعاء. وذكر أيضاً فى ج۵ ص۹۲: «قال زياد لم يغلبنى معاوية فى السياسة إلّا فى رجل من بنى تميم، استعملته فكسر الخراج ولحق به فآمنه، فكتبت إليه: إن فى هذا مفسدة للعمال وحملاً على سوء الأدب، فابعث به إلىّ، فكتب إلىّ معاوية: إنه لا يصلح أن أسوس? وتسوس الناس سياسة واحدة، إنّا إن نشتد جميعاً، نهلك الناس ونخرجهم، وإن نلن جميعاً، نبطرهم، ولكن تلين وأشتد وتشتد وألين، فإذا خاف أحدهم وجد باباً فدخله». وذكر ابن قتيبة فى الإمامة والسياسة ج۱ ص۱۵۰ مايلى: «قال رجل دعى إلى البيعة لمعاوية اللهم إنى أعوذ بك من شر معاوية. فقال معاوية: تعوذ من شر نفسك، فإنه أشد عليك، بايع، فقال: إنى أبايع وأنا كاره للبيعة؟ فقال معاوية: بايع. فإنَّ الله يقول: فَعَسَىَ أَن تَكْرَهُواْ شَيْئاً وَيَجْعَلَ اللّهُ فِيهِ خَيْراً كَثِيراً سورة النساء: الآية ۱۹. وذكر فى وقعة صفين ص۴۹۵، أن معاوية قال: «والله، لأستميلن بالأموال ثقات على ولأقسمن فيهم الأموال حتى تغلب دنياهم آخرتهم». ومن دهائه أنه قتل أصحاب رسول الله صلى الله عليه و اله بالسم، وكان يقول: «إن لله جنوداً من عسل». فقد قتل الإمام الحسن عليه السلام ومالك الأشتر وعبد الرحمن بن خالد وسعيد بن أبى وقاص وحجر بن عدى الكندى وأصحابه وعمرو بن الحمق الخزاعى. وقال الجاحظ فى رسالته ص۳۶۵: «كان معاوية خلاف الكتاب والسنة ويستعمل جميع المكايد وجميع الخدع حلالها وحرامها، وكان على عليه السلام لا يستعمل فى حربه إلّا عدله، ووافق الكتاب والسنة».

() إن أول من تبرأ منه حفيده، معاوية الثانى، الذى تنازل عن الخلافة قائلاً: (إن الخلافة ليست لهم وإنّ جده اغتصبها من على وإن أباه اغتصبها من الحسين).

() قال الواقدى: «إن معاوية عندما عاد من العراق إلى الشام بعد بيعة الحسن عليه السلام واجتماع الناس إليه، خطب، فقال: أيها الناس، إن رسول الله قال لى: إنك ستلى الخلافة من بعدى فاختر الأرض المقدسة، فإن فيها الأبدال وقد اخترتكم. فالعنوا أبا تراب. فلعنوه... ». راجع نهج البلاغة لابن أبى الحديد: ج۴ ص۷۲.

وأضاف ابن أبى الحديد فى ج۱۱ ص۴۴ ۴۵ قائلاً: «وروى أبو الحسن على بن محمد بن أبى سيف المدائنى فى كتاب الأحداث، قال: كتب معاوية نسخة واحدة إلى عمّاله بعد عام الجماعة أن برئت الذمة ممن روى شيئاً من فضل أبى تراب وأهل بيته، فقامت الخطباء فى كل كورة وعلى كل منبر يلعنون عليا ويبرؤون منه ويقعون فيه وفى أهل بيته، وكان أشد الناس بلاء حينئذ أهل الكوفة لكثرة من بها من شيعة على عليه السلام فاستعمل عليهم زياد ابن سمية وضم إليه البصرة فكان يتتبع الشيعة وهو بهم عارف لأنه كان منهم أيام على عليه السلام فقتلهم تحت كل حجر ومدر وأخافهم وقطع الأيدى والأرجل وسمل العيون وصلبهم على جذوع النخل وأطرافها وشرَّدهم عن العراق فلم يبق بها معروف منهم ... وكتب معاوية إلى عماله فى جميع الآفاق ألَّا يجيزوا لأحد من شيعة على وأهل بيته شهادة وكتب إليهم أن انظروا من قبلكم من شيعة عثمان ومحبيه وأهل ولايته والذين يروون فضائله ومناقبه فأدنوا مجالسهم وقربوهم وأكرموهم ولا تتركوا خبراً يرويه أحد من المسلمين فى أبى تراب إلا وتأتونى بمناقض له فى الصحابة فإن هذا أحب إلى وأقر لعينى وأدحض لحجة أبى تراب وشيعته وأشد عليهم من مناقب عثمان وفضله. فقرئت كتبه على الناس فرويت أخبار كثيرة فى مناقب الصحابة مفتعلة لا حقيقة لها، وجد الناس فى رواية ما يجرى هذا المجرى حتى أشادوا بذكر ذلك على المنابر وألقى إلى معلّمى الكتاتيب فعلّموا صبيانهم وغلمانهم من ذلك الكثير الواسع حتى رووه وتعلموه كما يتعلمون القرآن وحتَّى علَّموه بناتهم ونساءهم وخدمهم وحشمهم فلبثوا بذلك ما شاء الله. ثم كتب إلى عماله نسخة واحدة إلى جميع البلدان انظروا من قامت عليه البينة أنه يحب علياً وأهل بيته فامحوه من الديوان وأسقطوا عطاءه ورزقه. وأشفع ذلك بنسخة أخرى?: من اتهمتموه بموالاة هؤلاء القوم فنكلوا به وأهدموا داره، فلم يكن البلاء أشد ولا أكثر منه بالعراق ولا سيما بالكوفة حتى إن الرجل من شيعة على عليه السلام ليأتيه من يثق به فيدخل بيته فيلقى إليه سره ويخاف من خادمه ومملوكه ولا يحدثه حتى يأخذ عليه الأيمان الغليظة ليكتمن عليه، فظهر حديث كثير موضوع وبهتان منتشر، ومضى على ذلك الفقهاء والقضاة والولاة، وكان أعظم الناس فى ذلك بلية القراء المراؤون والمستضعفون الذين يظهرون الخشوع والنسك فيفتعلون الأحاديث ليحظوا بذلك عند ولاتهم ويقربوا مجالسهم ويصيبوا به الأموال والضياع والمنازل حتى انتقلت تلك الأخبار والأحاديث إلى أيدى الديانين الذين لا يستحلون الكذب والبهتان فقبلوها ورووها وهم يظنون أنها حق ولو علموا أنها باطلة لما رووها ولا تدينوا بها. فلم يزل الأمر كذلك حتى مات الحسن بن على ? فازداد البلاء والفتنة فلم يبق أحد من هذا القبيل إلَّا وهو خائف على دمه أو طريد فى الأرض». وذكر ابن أبى الحديد فى الجزء الرابع ص۷۳ ما يلى: «وقد صح أن بنى أمية منعوا من إظهار فضائل على عليه السلام وعاقبوا على ذلك الراوى له حتى إن الرجل إذا روى عنه حديثاً لا يتعلق بفضله بل بشرائع الدين لا- يتجاسر على ذكر اسمه فيقول عن أبى زينب. وروى عطاء عن عبد الله بن شداد بن الهاد قال: وددت أن أترك فأحدث بفضائل على بن أبى طالب عليه السلام يوماً إلى الليل وأن عنقى هذه ضربت بالسيف. قال: فالأحاديث الواردة فى فضله لو لم تكن فى الشهرة والاستفاضة وكثرة النقل إلى غاية بعيدة لانقطع نقلها للخوف والتقية من بنى مروان مع طول المدة وشدة العداوة. ولولا أن لله تعالى فى هذا الرجل سراً يعلمه من يعلمه لم يرو فى فضله حديث ولا عرفت له منقبة ألا ترى أن رئيس قرية لو سخط على واحد من أهلها ومنع الناس أن يذكروه بخير وصلاح لخمل ذكره ونسى اسمه وصار وهو موجود معدوماً وهو حى ميتا». كما ذكر صاحب كتاب تهذيب التهذيب: ج۷ ص۳۱۹: «إن بنى أمية إذا سمعوا بمولود، اسمه علىّ قتلوه».

() يقول الزمخشرى فى ربيع الأبرار: ج۲ ص۱۸۶: «وإن بنى أمية لعنوا علياً على منابرهم سبعين سنة ما زاده الله إلا رفعة ونبلاً».

() عمر بن عبد العزيز بن مروان بن الحكم، ثامن خلفاء بنى أمية، ولد سنة ۶۱ه

(۶۸۱م) وقتل فى دمشق بالسم سنة ۱۰۱ه (۷۲۰م)، حكم من سنة ۹۹ه (۷۱۷م) وإلى سنة? ۱۰۱ ه (۷۲۰م) وقد حكم سنتين وخمسة

أشهر وأربعة عشر يوماً، وممّا يؤخذ عليه فى فترة حكمه تغاضيه عن بنى مروان مما اغتصبوه ونهبوه من أموال وأراض فى أيام الحكام السابقين والتى تقدر بثلث ما بحوزة الناس من أموال، وإقراره ببقاء يزيد على ولاية العهد الذى عرف باللهو واللذات، وممّا يؤخذ عليه أيضاً تسامحه مع اليهود والنصارى الذين سعوا فى الأرض فساداً، ولم يستطع المظلومون فى عهده من الاحتجاج على الأعمال التى اقترفها بنو أمية أو ذكرهم بسوء أو كشف حقائقهم ومثالبهم ومظالمهم. للتفصيل راجع: العقد الفريد: ج۴ ص۲۰۶، شرح نهج البلاغة لابن أبى الحديد: ج۱۷ص۱۰۳. وقد ذكر ابن أبى الحديد فى شرحه: ج۴ ص۵۸ ۵۹ قصة عمر بن عبد العزيز ونهيه عن سب الإمام أمير المؤمنين على عليه السلام قائلاً: «كنت غلاماً أقرأ القرآن على بعض ولد عتبة بن مسعود، فمرّ بى يوماً وأنا ألعب مع الصبيان، ونحن نلعن علياً. فكره ذلك ودخل المسجد فتركت الصبيان، وجئت إليه لأدرس عليه وردى، فلما رآنى قام فصلّى وأطال فى الصلاة شبه المعرض عنى حتى أحسست منه بذلك، فلما انفتل من صلاته كلح فى وجهى، فقلت له: ما بال الشيخ؟ فقال لى: يا بنى، أنت اللاعن علياً منذ اليوم؟ قلت: نعم. قال: فمتى علمت أن الله سخط على أهل بدر بعد أن رضى عنهم؟ فقلت: يا أبت، وهل كان علىّ من أهل بدر؟ فقال: ويحك وهل كانت بدر كلها إلاّ له؟! فقلت: لا أعود. فقال: والله أنك لا تعود. قلت: نعم. فلم ألعنه بعدها، ثم كنت أحضر تحت منبر المدينة وأبى يخطب يوم الجمعة وهو حينئذٍ أمير المدينة، فكنت أسمع أبى يمر فى خطبه تهدر شقاشقه حتى يأتى إلى لعن على عليه السلام فيجمجم ويعرض له من الفهاهة والحصر ما الله عالم به، فكنت أعجب من ذلك. فقلت له يوماً: يا أبت، أنت أفصح الناس وأخطبهم، فما بالى أراك أفصح خطيب يوم حفلك حتى إذا مررت بلعن هذا الرجل صرت ألكن علياً؟ فقال: يا بنى، إنَّ من ترى تحت منبرنا من أهل الشام وغيرهم لو علموا من فضل هذا الرجل ما يعلمه أبوك لم يتبعنا منهم أحد، فوقرت كلمته فى صدرى مع ما كان قاله لى معلمى أيام صغرى، فأعطيت الله عهداً لئن كان لى فى هذا الأمر نصيب لأغيّرنه، فلما منَّ الله علىَّ بالخلافة أسقطت ذلك، وجعلت مكانه إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ والإِحْسانِ وإِيتاءِ ذِى الْقُرْبى ويَنْهى عَنِ الْفَحْشاءِ والْمُنْكَرِ والْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ وكتب به إلى الآفاق فصار سنَّةً.

() يقول فلهوزن فى كتاب (الخوارج والشيعة) ط القاهرة سنة ۱۹۶۸ عن بنى أميّة: (لن تجد اليوم أموياً يقول بأنى أموى. فقد تحوّلت الأموية إلى ظاهرة ضد الدين وضد الإسلام؛ وذلك نتيجة ما ارتكبه معاوية من مخالفات ضد الإسلام).

() وقد عبّر أبو سفيان عن ذلك فى مقولته لعثمان بن عفان: يا عثمان، إن الأمر أمر عالمية والملك ملك جاهلية فاجعل أوتاد الأرض بنى أمية. راجع الأغانى: ج۶ ص ۳۵۴.

() كقول الإمام عليه السلام لأصحابه: «يَا أَشْبَاهَ الرِّجَالِ ولا رِجَالَ، حُلُومُ الأَطْفَالِ وعُقُولُ رَبَّاتِ الْحِجَالِ لَوَدِدْتُ أَنِّى لَمْ أَرَكُمْ ولَمْ أَعْرِفْكُمْ مَعْرِفَةً، واللهِ جَرَّتْ نَدَماً وأَعْقَبَتْ سَدَماً، قَاتَلَكُمُ اللهُ لَقَدْ مَلأْتُمْ قَلْبِى قَيْحاً وشَحَنْتُمْ صَدْرِى غَيْظاً وجَرَّعْتُمُونِى نُغَبَ التَّهْمَامِ أَنْفَاساً وأَفْسَدْتُمْ عَلَىَّ رَأْيِى بِالْعِصْيَانِ والْخِذْلانِ». نهج البلاغة: الخطبة ۲۷.

وقوله عليه السلام: «صَاحِبُكُمْ يُطِيعُ اللهَ وأَنْتُمْ تَعْصُونَهُ، وصَاحِبُ أَهْلِ الشَّامِ يَعْصِى اللهَ وهُمْ يُطِيعُونَهُ، لَوَدِدْتُ واللهِ أَنَّ مُعَاوِيَةَ صَارَفَنِى بِكُمْ صَرْفَ الدِّينَارِ بِالدِّرْهَمِ فَأَخَذَ مِنِّى عَشَرَةً مِنْكُمْ وأَعْطَانِى رَجُلاً مِنْهُمْ». نهج البلاغة: الخطبة ۹۷.

() سورة الإسراء: الآية ۷۲.

() سورة الأنبياء: الآيتان ۲۶ ۲۷.

() النعمان بن ثابت بن زوطى بن ماه، التميمى بالولاء، من سبى كابل، مؤسس المذهب السنى الحنفى، ولد سنة ۸۰ ه (۶۹۹م) ونشأ فى الكوفة وكان يبيع الخز ثم انقطع للعلم، قيل: قتله المنصور بالسم، وقيل: حبسه ومات فى السجن، مات سنة ۱۴۹ه (۷۶۶م) وقيل: ۱۵۰ه (۷۶۷م)، من مؤلفاته: مسند أبى حنيفة، المخارج، الفقه الكبير. ترجمه تاريخ بغداد: ج۱۳ص۳۲۳ وفيات الأعيان: ج۲ ص ۱۶۳ الجواهر المضيئة: ج۱ص۲۶، الإمام الصادق عليه السلاموالمذاهب الأربعة: ج۱ص۲۸۸ ۳۳۰، مرآة الجنات: ج۱ص۳۰۹، روضات الجنات: ج۸ ص۱۶۷ ۱۷۶، الطبقات الكبرى لابن سعد: ج۷ ص۳۲۲، الجرح والتعديل: ج۸ ص۴۴۹، المنتظم لابن الجوزى: ج۸ ص۱۲۸، البداية

والنهاية: ج ۱۰ ص ۱۱۰، شذرات الذهب: ج ۱ ص ۲۲۷.

() يقول السروجى فى هذا الصدد كما عن المناقب: ج ۳ ص ۹۵:

صنو النبى أمير المؤمنين على

و أسمحها كفا لمبتذل

ولا استقام طريق غير مشتكل

كلا وحق أمير النحل حيدرة

خير البرية آباء وأشرفها قدرا

لولاه ما قام للإسلام قائمة

() وهؤلاء الثلاثة أمر النبى صلى الله عليه و اله المسلمين بقتالهم: فعن أبى سعيد الخدرى، قال: أمرنا رسول الله صلى الله عليه و اله بقتال الناكثين والقاسطين والمارقين. فقلنا: يا رسول الله، أمرتنا بقتال هؤلاء فمع من؟ قال: مع على بن أبى طالب معه يقتل عمار بن ياسر. راجع تاريخ مدينة دمشق: ج ۳ ص ۲۱۳، أسد الغابة: ج ۴ ص ۳۳. وقال ابن عساكر فى تاريخ مدينة دمشق: ج ۳ ص ۲۰۸: إن أم سلمة قالت: إن رسول الله أمر علياً بقتال الناكثين والقاسطين والمارقين، وإن من لقى الله وهو مبغض لعلى أكبه الله على منخريه فى النار.

() غرر الحكم ودرر الكلم: ص ۳۴۲ ح ۷۸۲۵، شرح نهج البلاغة لابن أبى الحديد: ج ۱۸ ص ۴۰۷ ب ۱۷۸، بحار الأنوار: ج ۷۲ ص ۳۵۷ ب ۸۱ ح ۷۰ ط بيروت.

() سورة النساء: الآية ۳۴.

() ونظير هذا قصة قزمان فى معركة بدر حيث قال: والله، ما قاتلت إلا على الحفاظ حتى لا تسير قريش فتطأ سعفنا. راجع شرح نهج البلاغة لابن أبى الحديد: ج ۱۴ ص ۲۶۰ ۲۶۱.

() من لا يحضره الفقيه: ج ۴ ص ۳۹۲، وسائل الشيعة: ج ۱۲ ص ۱۷۴ ب ۱۱۳ ح ۱۵۹۹۹.

() الصحيفة السجادية: ص ۹۲، الدعاء والزيارة للمؤلف رحمة الله عليه: ص ۹۳.

() ولد عبد الكريم قاسم فى بغداد سنة ۱۳۳۲ه (۱۹۱۴م)، تسلم الحكم فى العراق سنة ۱۳۷۷ه (۱۹۵۸م) بعد أن أطاح بالنظام الملكى، وأعلن النظام الجمهورى، وشكل مجلس السيادة لإدارة البلاد، استمر فى الحكم لسنة ۱۳۸۲ه (۱۹۶۳م)، وأعدم إثر تعرضه لانقلاب عسكرى؛ قاده عبد السلام عارف.

ومن المثالب التى تؤخذ عليه: إلغاؤه للمظاهر الديمقراطية كالبرلمان والتعددية الحزبية، وتجريد العشائر من السلاح، ومحاربة الحوزة العلمية ومؤسساتها، وإعلانه للأحكام العرفية.

() ولد جمال عبد الناصر سنة ۱۳۳۶ه (۱۹۱۸م) وتوفى سنة ۱۳۹۰ه (۱۹۷۰م)، قاد ثورة تموز ۱۹۵۲م، تولّى رئاسة الوزراء سنة ۱۳۷۳ه (۱۹۵۴م)، واتّخذ الاشتراكية كنظام لإدارة البلد، تولّى رئاسة الجمهورية سنة ۱۳۷۵ه (۱۹۵۶م)، واستمر حكمه إلى سنة ۱۳۹۰ه (۱۹۷۰م).

() تطرق الإمام المؤلف رحمة الله عليه إلى تفصيل ذلك فى مذكراته (تلك الأيام): ص ۱۴۸-۲۲۴.

() آية الله العظمى السيد محسن الحكيم رحمة الله عليه، ولد فى النجف الأشرف سنة ۱۳۰۶ه (۱۸۸۹م) وتوفى فى بغداد سنة ۱۳۹۰ه (۱۹۷۰م)، تتلمذ عند الشيخ محمد كاظم الخراسانى والشيخ ضياء الدين العراقى والشيخ محمد حسين النائينى والسيد محمد سعيد الحبوبى، آلت إليه المرجعية بعد وفاة السيد أبى الحسن الأصفهانى والسيد البروجردى، أصدر فتواه الشهيرة بتكفير الشيوعية والكشف عن صبغتها الإلحادية فى السابع عشر من شهر شعبان سنة ۱۳۷۹ه (أيار ۱۹۶۰م)، واعتبر أن الشيوعية كفر وإلحاد، ونُشر البيان آنذاك

فى جريدة العراق. من مؤلفاته: حقائق الأصول، المستمسك وهو شرح على العروة الوثقى يقع فى اثنى عشر مجلداً، منهاج الصالحين، شرح تشريح الأفلاك.

() وقد تطرق الإمام المؤلف رحمة الله عليه إلى تفاصيل بعض تلك الزيارات فى مذكراته «تلك الأيام» الجزء الأول والجزء الثانى.

() من لا يحضره الفقيه: ج۴ ص۳۷۲ ب۲ ح۵۷۶۲، كشف الغمة: ج۱ ص۳۸۴، غرر الحكم ودرر الكلم: ص۳۰۸ ح۷۰۸۸، بحار الأنوار: ج۱ ص۸۸ ب۱ ح۱۳ وج۶۹ ص ۳۱۵ ب۱۱۷ ح۱۸ ط بيروت.

() هذا وفق الإحصاءات السابقة، ووفق إحصاء سنة ۱۹۹۷م، بلغ عدد المسلمين فى إمريكا أكثر من اثنى عشر مليوناً وعدد مساجدهم ۱۵۰۰ مسجد و ۲۵۰ مدرسة.

() سورة المائدة: الآية ۲.

() سورة الحشر: الآية ۱۴.

() السيد محمد بن على أكبر بن قاسم بن حسن الموسوى الشيرازى المشهور ب «سلطان الواعظين»، عالم قدير وباحث متميز وخطيب بارع، ولد فى ۷ ذى القعدة من سنة ۱۳۱۴ه (۱۸۹۷م) فى مدينة طهران، توفى فى ۲۰ شعبان من سنة ۱۳۹۱ه (۱۱/۱۰/۱۹۷۱م)، هاجر إلى كربلاء المقدسة سنة ۱۳۲۶ه فدرس عند السيد على الشهرستانى والشيخ غلام حسين المولوى والشيخ موسى الكرمانشاهى ثم أكمل دراسته فى مدينة قم المقدسة عند الشيخ عبدالكريم الحائرى، له مساعٍ حميدة فى الحوار الفكرى لإثبات الحق ونشر عقائد أهل البيت عليهم السلام، منها: حواره مع البراهمة وعلماء الهندوس فى مدينة دلهى وبحضور الزعيم غاندى، وكان يتنقل بين البلدان الإسلامية لنشر مذهب أهل البيت عليه السلام، من مؤلفاته: ليالى بيشاور، الفرقة الناجية، مائة مقالة سلطانية.?

() سورة الغاشية: الآيتان ۲۱ ۲۲.

() الشيخ محمد رضا محمد عبد الله المظفر: ولد فى النجف الأشرف سنة ۱۳۲۲ه (۱۹۰۴م)، وتوفى فى شهر رمضان من سنة ۱۳۸۳ه (كانون الثانى ۱۹۶۴م)، تتلمذ عند الشيخ ضياء الدين العراقى، والشيخ النائينى، والشيخ محمد حسين الأصفهانى، والسيد عبدالهادى الشيرازى، أسّس جمعية النشر والتأليف، وجمعية منتدى النشر سنة ۱۳۵۴ه، وكلية الفقه سنة ۱۳۷۶ه (۱۹۵۶م) والتى أجيزت سنة ۱۳۷۸ه (۱۹۵۸م) والتى حولها صدام التكريتى إلى فندق باسم فندق قبا. وآزر السيد الشيرازى فى تأسيس جماعة العلماء سنة ۱۳۷۸ه (۱۹۵۸م)، التى أخذت على عاتقها مقاومة المد الشيوعى. من مؤلفاته: أحلام اليقظة، السقيفة، فلسفة ابن سينا، منطق المظفر، أصول المظفر، عقائد الإمامية.

() الشيخ محمد جواد بن حسن بن طالب بن عباس بن إبراهيم البلاغى، عالم فاضل وأديب شاعر، يعود نسبه إلى قبيلة ربيعة، ولد سنة ۱۲۸۲ه (۱۸۶۵م) على ما اختاره الشيخ أغا بزرك الطهرانى فى نقباء البشر، وقيل: ۱۲۸۵ه (۱۸۶۸م) على ما اختاره السيد محسن الأمين فى أعيان الشيعة، توفى فى شعبان من سنة ۱۳۵۲ه (۱۹۳۳م) بعد مرض ابتلى به يسمّى بذات الجنب، يعد من تلامذة الشيخ رضا الهمدانى والشيخ محمد طه نجف والشيخ محمد كاظم الخراسانى والشيخ محمد تقى الشيرازى والشيخ محمد الهندى والشيخ محمد حسن الأفغانى، شارك فى ثورة العشرين ضد الاستعمار الإنجليزى، وقاد معركة فكرية ضد التحديات الصليبية واليهودية والطوائف المنحرفة وضد الإلحاد والكفر، ودافع عن العقيدة الإسلامية النقية بشكل جدى ومتواصل، تتلمذ عنده السيد محمد هادى الميلانى والسيد الخوئى والسيد المرعشى والسيد صادق بحر العلوم، بلغت مؤلفاته ۳۸ مؤلفاً؛ أبرزها: الهدى إلى دين المصطفى، الرحلة المدرسية، فى الرد على التبشير، آلاء الرحمن فى تفسير القرآن، نصائح الهدى، رسالة إلى من كان مسلماً فصار بابياً، رسالة فى رد الوهابية، التوحيد والتثليث، أعاجيب الأكاذيب، أنوار الهدى، إبطال فتوى الوهابيين. ترجمه أعيان الشيعة: ج۴ ص۲۵۵.

() الشيخ عبد الحسين بن أحمد الأمينى، أديب ومؤرخ وفقيه، ولد فى إيران سنة ۱۳۲۰ه وتوفى سنة ۱۳۹۰ه، هاجر إلى النجف الأشرف ودرس عند السيد محمد الفيروز آبادى والسيد أبو تراب الخونسارى والميرزا على الشيرازى، أسس فى النجف الأشرف

مكتبة الإمام أمير المؤمنين عليه السلام سنة ۱۳۷۳ه (۱۹۵۳م) وكانت تحتوى منذ بدء تأسيسها على خمسة عشر ألف كتاب ثم توسعت حتى بلغت لأكثر من نصف مليون كتاب، وقد ضيق النظام البعثى فى العراق الخناق على متولّيها. من مؤلفاته: الغدير، شهداء الفضيلة، رياض الأنس، سيرتنا وسنتنا، ترجمه أعيان الشيعة فى مستدركه ج۱ ص۸۲.

() الشيخ محمد محسن الطهرانى الملقب ب آغا بزرك أى السيد الكبير؛ وهذا اللقب يمنح فى المجتمع الإيرانى لكبير العائلة، ولد فى طهران سنة ۱۲۹۳ه (۱۸۷۶م) وتوفى فى ذى الحجة من سنة ۱۳۸۹ه (شباط ۱۹۷۰م) إثر مرض عضال، انتقل إلى النجف الأشرف لتحصيل العلوم الدينية سنة ۱۳۱۵ه (۱۸۹۷م) وتتلمذ عند الميرزا حسين النورى والسيد مرتضى الكشميرى والشيخ محمد طه نجف والميرزا حسين الملكى والشيخ كاظم الخراسانى والسيد كاظم اليزدى وشيخ الشريعة الأصفهانى والشيخ محمد تقى الشيرازى ودرس عند الأخير قرابة خمس وعشرين سنة، اشترك فى ثورة العشرين ضد الاستعمار الإنجليزى، ألف أكثر من مائتين وخمسين كتاباً ومخطوطاً؛ منها: الذريعة إلى تصانيف الشيعة ثلاثين مجلداً يتناول فيه فهرست ما ألّفه علماء الشيعة طوال أربعة عشر قرناً، طبقات أعلام الشيعة ويتألف من أحد عشر مجلداً، مصفى المقال فى مصنفى علم الرجال يتناول فيه تراجم لخمسمائة من رجال الشيعة الذين ألّفوا فى علم الرجال، توضيح الرشاد فى تاريخ حصر الاجتهاد، النقد اللطيف فى نفى التحريف، نقباء البشر فى القرن الرابع عشر ويحتوى على أربعة مجلدات، الكواكب المنتثرة فى القرن الثانى بعد العشرة، ظلال الخصب فى عوالى النسب، ضياء المغازات فى طريق مشايخ الإجازات.

() السيد حسين بن محمود بن محمد بن على الطباطبائى القمىّ، ولد فى مدينة قم المقدسة سنة ۱۲۸۲ه ودرس فيها المقدمات وكذلك درس فى طهران ثم انتقل إلى النجف الأشرف سنة ۱۳۱۱ه لحضور درس الشيخ حبيب الله الرشتى والشيخ النهاوندى والشيخ محمد كاظم الخراسانى والسيد محمد كاظم اليزدى، ثم هاجر إلى سامراء سنة ۱۳۲۱ه لحضور درس الشيخ محمد تقى الشيرازى وبقى هناك عشر سنوات. وفى سنة ۱۳۳۱ه انتقل إلى مشهد الإمام الرضا عليه السلام وبدأ بالبحث والتدريس. من مواقفه السياسية: تصدى لرضا شاه البهلوى سنة ۱۳۵۴ه الذى أهان العلماء ونشر الخمور وأجبر النساء على التبرج والسفور ومنع إقامة الشعائر الدينية. رُشّح للزعامة الدينية بعد وفاة السيد أبو الحسن الأصفهانى، ورجع الناس إليه فى التقليد ونُشرت رسالته العملية فى أرجاء إيران ثم هاجر إلى كربلاء المقدسة، وزادت وجاهته وعظم شأنه ثم هاجر إلى النجف الأشرف وتوفى بعد عدّة شهور فى بغداد وذلك فى ۱۴ ربيع الأول سنة ۱۳۶۶ه عن عمر يناهز الرابعة والثمانين سنة. من مؤلفاته: مجمع المسائل، الذخيرة الباقية فى العبادات والمعاملات، مختصر الأحكام، طريق النجاة، منتخب الأحكام، مناسك الحج، هداية الأنام. ترجمه نقباء البشر: ج۲ ص۶۵۳.

() السيد حسين بن على بن أحمد بن على نقى الطباطبائى البروجردى، ولد فى بروجرد سنة ۱۲۹۲ه، وينتهى نسبه إلى الإمام الحسن عليه السلام، توفى سنة ۱۳۸۰ه فى مدينة قم المقدسة ودفن فى الجامع الذى بناه فى حياته إلى جانب مرقد السيدة معصومة عليها السلام. هاجر إلى النجف الأشرف سنة ۱۳۲۰ه وتتلمذ عند الشيخ محمد كاظم الخراسانى، آلت إليه المرجعية بعد وفاة السيد أبو الحسن الأصفهانى سنة ۱۳۶۵ه. قاوم الظلم والطغيان فى إيران أيام رضا بهلوى وكذلك قاوم المد الشيوعى. ترك تراثاً فكرياً قوامه خمسون كتاباً ورسالة؛ منها: تجريد أسانيد الكافى، حاشية على كفاية الأصول، حاشية على العروة الوثقى، بيوت الشيعة، إصلاح واستدراك رجال الطوسى، جامع أحاديث الشيعة، دار السلام فى فروع الإسلام وأحكامه.

() سورة آل عمران: الآية ۱۴۰.

() سورة فاطر: الآية ۴۳.

() السيد صادق بن مهدى الحسينى الشيرازى، من الأعلام المعاصرين والفقهاء المتميزين، ولد فى كربلاء فى العشرين من ذى الحجة سنة ۱۳۶۰ه وتربّى فى بيت ملؤه العلم والمعرفة، وترعرع فى أحضان أبوين صالحين فاغترف من معينهما الحب والحنان والأدب ومكارم الأخلاق، واشتهر فى الأوساط العلمية بالفقاهة والتحقيق والتدقيق والذوق الرفيع وقوة الاستدلال والزهد والورع والتقوى،

تتلمذ عند والده السيد مهدى الشيرازى وأخيه السيد محمد الشيرازى والسيد محمد هادى الميلانى والشيخ محمد رضا الأصفهانى والشيخ يوسف الخراسانى، آلت إليه المرجعية بعد وفاة أخيه السيد محمد الشيرازى فى الثانى من شوال من سنة ۱۴۲۲ه، ولا زال يمارس نشاطه الإسلامى، بلغت مؤلفاته خمسةً وثمانين كتاباً وكراساً لمختلف المستويات، طبع منها: بيان الأصول قاعدة لاضرر والاستصحاب، الموسوعة القرآنية: على فى القرآن، فاطمة فى القرآن، المهدى فى القرآن، الشيعة فى القرآن، أهل البيت فى القرآن، ومجموعة كتب شرحية: كشرح العروة الوثقى بحث الاجتهاد والتقليد وشرح السيوطى، وشرح تبصرة المتعلمين، وتوضيح شرائع الإسلام، ومجموعة كتب تتضمن مواضيع أخرى، منها: السياسة من واقع الإسلام، القياس فى الشريعة الإسلامية، الطريق إلى البنك الإسلامى، العقوبات فى الإسلام، مساوئ السفور.

() عبد الرحمن البزّاز، ولد سنة ۱۳۳۲ه (۱۹۱۳م) فى منطقة الرمادى وتخرّج من كليّة الحقوق سنة ۱۳۴۹ه (۱۹۳۴م) ثمّ قضى أربع سنوات فى إنجلترا لدراسة القانون فى كليّة الملك بجامعة لندن وعاد إلى العراق سنة ۱۳۴۹ه (۱۹۳۴م)، ناصرَ رشيد عالى الكيلانى بانقلابه سنة ۱۳۶۰ه (۱۹۴۱م) وسجن حتى نهاية الحرب العالمية الثانية، وبعد الحرب عمل فى وزارة العدل، ثمّ أصبح عميداً لكليّة الحقوق سنة ۱۳۷۴ه (۱۹۵۶م) وعمل فى القضاء فى محكمة التمييز. فى بداية انقلاب عارف عيّن سفيراً للعراق فى القاهرة ثمّ لندن وجنيف وعمل بالمحاماة ثمّ تولّى منصب نائب رئيس الوزراء ووزير الخارجية والنفط فى وزارة طاهر يحيى الثانية ثمّ رئاسة الوزراء ووزارة الخارجية سنة ۱۳۸۳ه (۱۹۶۴م) ولدورتين فى عهد الأخوين عبد السلام وعبد الرحمن عارف، اعتقل بعد انقلاب البعثيين سنة ۱۳۸۸ه (۱۹۶۸م) وعُذّب ولم يطلق سراحه إلاّ بعد أن شُلّ جسده وفقد النُطق فسافر إلى لندن ومات هناك. ترك سبعة مؤلفات، منها: «العراق من الاحتلال حتى الاستقلال» «صفحات من الأمس القريب» «الإسلام والقومية العربية».

() عبد الرحمن عارف العانى: ولد سنة ۱۳۳۴ه (۱۹۱۶م)، أصبح رئيساً للعراق سنة ۱۳۸۵ه (۱۹۶۶م)، بعد مقتل أخيه عبد السلام، نحى عن السلطة سنة ۱۳۸۸ه (۱۹۶۸م)؛ إثر انقلاب دبّره أحمد حسن البكر، ونفى إلى تركيا.

() قانون خليط من قانون العقوبات الفرنسى الذى عمل به العثمانيون فى العراق وقانون العقوبات المصرى الذى أضافه الإنجليز له والذى هو بدوره مأخوذ من القانون الفرنسى، ألزمه الإنجليز على العراق سنة ۱۳۳۷ه (۱۹۱۸م) عندما احتلوه. وهذا القانون اصطدم مع الروح الدينية والمشاعر الشعبية للعراقيين، أدخلت عليه بعض التعديلات الطفيفة، كان آخرها سنة ۱۳۹۹ه (۱۹۷۹م) للتفصيل عنه راجع كتاب مذكرات المس بيل: ص۷۶ ۷۹، ترجمة جعفر الخياط.

() وقد فصّل الإمام المؤلف رحمة الله عليه مجريات الحوار مع رئيس الوزراء العراقى فى العهد العارفى فى مذكراته الموسومة ب (تلك الأيام) ص۲۲۹ ۲۳۴.

() يقوم بتأجير الحيوانات لغرض الركوب للسفر والانتقال من مكان إلى آخر.

() غازى بن فيصل الأول، ولد فى مكة سنة ۱۳۳۱ه (۱۹۱۲م)، دخل العراق وهو فى السن السادسة من عمره برفقة والده الذى نُصّب ملكاً على العراق، حكم العراق بعد موت والده سنة ۱۳۵۲ه (۱۹۳۳م) واستمر فى الحكم إلى سنة ۱۳۵۸ه (۱۹۳۹م)، قتل من قبل الإنجليز؛ إثر اصطدام سيارته التى كان يقودها بنفسه بعمود كهربائى بالقرب من قصر الحارثة ليلاً.

() فيصل بن غازى والمشهور بفيصل الثانى، ولد فى بغداد سنة ۱۳۵۴ه (۱۹۳۵م)، عين ملكاً بعد وفاة أبيه، ابتدأ حكمه سنة ۱۳۵۸ه (۱۹۳۹م) وكان عمره آنذاك خمس سنوات؛ ونتيجة لعدم بلوغه الرشد القانونى ۱۸سنة؛ عين خاله عبد الإله وصياً عليه لإدارة شؤون البلاد، قتل مع أغلب أعضاء العائلة الملكية سنة ۱۳۷۷ه (۱۹۵۸م) إثر إنقلاب عسكرى دبّره عبد الكريم قاسم.

() عبد السلام عارف: ولد سنة ۱۳۳۹ه (۱۹۲۱م)، تسلم الحكم فى العراق سنة ۱۳۸۲ه

(۱۹۶۳م)، قتل سنة ۱۳۸۵ه (۱۹۶۶م)؛ إثر سقوط طائرته فى جنوب العراق.

() أحمد حسن البكر: ولد فى تكريت سنة ۱۳۳۳ه (۱۹۱۴م)، تسلم الحكم فى العراق ۱۳۸۸ه (۱۹۶۸م)؛ إثر انقلاب دبّره على عبد

الرحمن عارف، واستمر فى الحكم إحدى عشرة سنة، وأقصى سنة ۱۳۹۹ه (۱۹۷۹م)؛ إثر انقلاب دبّره صدام التكريتى. وقتله صدام سنة ۱۴۰۲ه (۱۹۸۲م) بحقنة سبّبت ارتفاع نسبة السُّكر لديه بواسطة الدكتور صادق علوش. وقيل: الدكتور فاروق كما عن كتاب جمهورية العراق الديكتاتورى: ص۱۴۵.

() الكلبجة: كناية عن الأصفاد التى توضع فى يد المجرم.

() الخصال: ج۲ ص۴۲۰، الإرشاد: ج۱ ص۳۰۳، روضة الواعظين: ص۱۰۹، أعلام الدين: ص۱۵۹، كشف اليقين: ص۱۸۳، كنز الفوائد: ج۲ ص۱۹۴، معدن الجواهر: ص۶۷، شرح نهج البلاغة لابن أبى الحديد: ج۲۰ ص۲۵۵ ب۴، بحار الأنوار: ج۷۱ ص۴۱۱ ب۳۰ ح۲۱، وج۷۲ ص۱۰۷ ب۴۹ ح۹ وج۷۴ ص۴۲۳ ب۱۵ ح ۴۰ وج۱۰۰ ص۲۰ ب۲ ح۸ ط بيروت.

() سورة البقرة: الآية ۲۸۶.

() وأصل البيت باللغة الفارسية:

حُسنت به اتفاق ملاحت جهان كرفت

آرى به اتحاد جهان ميتوان كرفت

() مفردة عراقية، كنايةً عن العربة التى تجرّها الخيول.

() مفردة فارسية الأصل، وهى عبارة عن أداة من أدوات المطبخ، تستخدم لإعداد الشاى.

() أصل البيت بالفارسية:

تا كلّه شيخنا ملنك است

اين قافلة تا به حشر لنك است

() عبد الحميد الثانى بن عبد المجيد محمود العثمانى، ولد سنة ۱۲۵۸ه (۱۸۴۲م) ومات سنة ۱۳۳۶ه (۱۹۱۸م) ويعد الرابع والثلاثين من سلاطين العثمانيين البالغ عددهم سبعةً وثلاثين خليفة، تولّى العرش سنة ۱۲۹۳ه (۱۸۷۶م) خلفاً لأخيه مراد الخامس، ونظراً لعصبية مزاجه وظلمه واستبداده؛ أدت سياسته إلى تقسيم البلاد فقد احتلت النمسا البوسنة والهرسك كما انفصلت البرتغال عن الجسم الإسلامى، وقد أكثر من سفك دماء المسلمين حتى لقب ب الأحمر، وكان يمنع كل شخص أن يسمى نفسه باسم «عبد الحميد»، وأضحت الوظائف فى عهده تباع بالأموال، وفى سنة ۱۲۹۶ه (۱۸۷۸م) أوقف العمل بالدستور، خلع عن العرش سنة ۱۳۲۷ه (۱۹۰۹م) ونفى إلى سالونيك وعين مكانه أخوه محمد رشاد ثم نقل من منفاه إلى إسطنبول؛ خشية أن يقبض عليه الأعداء وبقى فى إسطنبول إلى أن وافته المنية.

() جمعية الاتحاد والترقى: تعد أول تشكيلة حزبية قومية، تأسست سنة ۱۳۰۷ه (۱۸۹۰م) وبلغت ذروة نشاطها سنة ۱۳۲۵ ه (۱۹۰۷م)، دعت إلى الأمة الطورانية النزعة القومية? العدائية تجاه العناصر غير التركية فى الدولة العثمانية وسعت إلى تغريب الدولة العثمانية والقضاء على المفاهيم الإسلامية، وإن أغلب أعضائها من العسكريين وتسمّى الجمعية بأسماء أخرى منها: العثمانيون الجدد، تركيا الفتاة.

يقول صاحب كتاب نشوء القومية ص۸۶ عن قيادات هذه الجمعية ما لفظه: «أحدهم بولونى اعتنق الإسلام واثنان يهود ورابع بلغارى غجرى اعتنق الإسلام وخامس نصفه شركسى ونصفه مجرى».

عن هذه الجمعية راجع الموسوعة الإسلامية: ج۴ ص۷ لحسن الأمين.

() الكافى (أصول): ج۲ ص۳۶۲ ح۳، الاختصاص: ص۲۶۶، كشف الريبة: ص۲۱، مجموعة ورام: ج۲ ص۲۰۹، منية المريد: ص۳۳۲، مستدرك الوسائل: ج۹ ص۱۴۴ ب۱۴۱ ح۱۰۵۰۲، بحار الأنوار: ج۷۱ ص۱۸۶ ب۱۳ ح۷ ط بيروت، وسائل الشيعة: ج۱۲ ص۳۰۲ ب۱۶۱ ح۱۶۳۶۱.

() ونص الحديث كما عن محمد بن الفضيل، عن أبى الحسن الأول عليه السلام قال: (قُلْتُ لَهُ جُعِلْتُ فِدَاكَ الرَّجُلُ مِنْ إِخْوَانِى يَبْلُغُنِى عَنْهُ الشَّىْءُ الَّذِى أَكْرَهُهُ فَأَسْأَلُهُ عَنْ ذَلِكَ فَيُنْكِرُ ذَلِكَ وَقَدْ أَخْبَرَنِى عَنْهُ قَوْمٌ ثِقَاتٌ فَقَالَ لِى يَا مُحَمَّدُ كَذِّبْ سَمْعَكَ وَبَصَرَكَ عَنْ أَخِيكَ فَإِنْ شَهِدَ عِنْدَكَ خَمْسُونَ قَسَامَةً وَقَالَ لَكَ قَولا فَصَدِّقْهُ وَكَذِّبْهُمْ، لا تُذِيعَنَّ عَلَيْهِ شَيْئاً تَشِينُهُ بِهِ وَتَهْدِمُ بِهِ مُرُوءَتَهُ فَتَكُونَ مِنَ الَّذِينَ قَالَ اللَّهُ فِى كِتَابِهِ إِنَّ الَّذِينَ يُحِبُّونَ أَنْ تَشِيعَ الْفاحِشَةُ فِى الَّذِينَ آمَنُوا لَهُمْ عَذابٌ أَلِيمٌ) الكافى (روضة): ج۸ ص ۱۴۷ ب۸ ح۱۲۵، أعلام الدين: ص۴۰۵، ثواب الأعمال: ص۲۴۷، وسائل الشيعة: ج۱۲ ص۲۹۵ ب۱۵۷ ح۱۶۳۴۳، بحار الأنوار: ج۷۲ ص۲۱۴ ب۶۵ ح۱۱ ط بيروت

() فتح المسلمون الهند سنة ۸۹ ه (۷۰۷م)، وقد حكم الهند سلالات من المسلمين الشيعة أمثال:

أ. قطب شاهيون: ومؤسسها محمد على، أحد تلامذة صفى الدين الأردبيلى الذى أصبح حاكماً لمنطقة «الدكن» سنة ۹۱۸ ه.

ب. العادل شاهيون: ومؤسسها عادل شاه الساوجى.

ج. النظام شاهيون: ومؤسسها أحد الهنود واسمه تبمابهن، ومن حكامها شاه طاهر.

للتفصيل راجع مستدركات أعيان الشيعة: ج۱ ص۱۹۲ ومصدره الإسلام وإيران الجزء الثالث ص ۲۷۰ ۲۷۱.

() حزب أسّسته مجموعة من المفكرين الهنود لمقاومة الاستعمار البريطانى سنة ۱۳۰۳ه (۱۸۸۵م) وعقد مؤتمره التأسيسى فى بومباى من نفس السنة، وقد تناوب على رئاسته عدة زعماء، منهم: دادا بيه ناروجى، وكوخال، وكرفال ميها وبيلاك، وغاندى، ونهرو، وشاسترى، وأنديرا غاندى، وقد حقّق الحزب مكاسب جمّة للشعب الهندى وعلى رأسها استقلال البلاد سنة ۱۳۶۶ه (۱۹۴۷م)، وفى سنة ۱۹۷۷م حدث انشقاق فى الحزب فجناح تزعمته أنديرا غاندى وآخر تزعمه سردار سينغ وى شافان. راجع موسوعة السياسة: ج۲ ص۵۱۹ وكتاب: «عند قدمى غاندى» لبراسات، و قصتى مع الحقيقة لغاندى، و لمحات من تاريخ العالم لنهرو.

() سورة آل عمران: الآية ۱۰۳.

() سورة الأنفال: الآية ۴۶.

() إن من يراجع التاريخ، يتبين له أن جميع دعاة القومية هم من غير المسلمين، والهدف هو تخفيف الصراع بين الإسلام والمسيحية وحماية المسيحيين فى البلاد الإسلامية بشكل يصونهم ويمنحهم الامتيازات دون أن يرتبطوا بقيود. ولأجل زرع الصراع والتقاتل بين المسلمين خدمة لمصالح الاستعمار. يقول لورنس بالنسبة للقومية العربية فى كتابه أعمدة الحكمة السبعة ص۳۵۱: «إن قصة الثورة العربية من أولها إلى آخرها ليست سوى قضية حياة أو موت بالنسبة إلى العرب. أما نحن الإنجليز فقد تبنيناها حباً بأنفسنا أو على الأقل طمعاً بكسب المستقبل ولم يكن فى مقدورنا تحاشى ذلك إلا بخداع أنفسنا فيما نشعر ونحس به من دوافع» للاطلاع على مساوئ القومية راجع كتاب (القوميات فى خمسين سنة) للإمام المؤلف رحمة الله عليه.

() يقول محمود أبو رية فى كتابه شيخ المضيرة أبو هريرة ص۱۸۵: «قال أحد كبار علماء الألمان فى الأستانة لبعض المسلمين وفيهم أحد شرفاء مكة : إنه ينبغى لنا أن نقيم تمثالاً من الذهب لمعاوية بن أبى سفيان فى ميدان كذا من عاصمتنا برلين. فقيل له: لماذا؟. قال: لأنه هو الذى حول نظام الحكم الإسلامى عن قاعدته الديمقراطية إلى عصبية، ولولا ذلك لعمَّ الإسلام العالم كله. إذاً لكنا نحن الألمان وسائر شعوب أوربا عرباً مسلمين».

() بهلول بن عمرو الكوفى الصوفى، كما عن روضات الجنات وأعيان الشيعة، شاعر وفقيه وحكيم، توفى سنة ۱۹۰ه وقبره فى بغداد، يعدُّ من أصحاب الإمامين الصادق والكاظم، ? أظهر الجنون بأمر الإمام الكاظم عليه السلام؛ وقايةً لنفسه، حيث إن هارون العباسى كان يسعى لقتل الإمام الكاظم عليه السلام ويحتال فى ذلك، فأرسل إلى حملة الفتوى يستفتيهم فى إباحة دم الإمام؛ متهماً إياه بإرادة الخروج عليه ومنهم بهلول. فخاف بهلول من هذا واستشار الإمام الكاظم عليه السلام فأمره بإظهار الجنون ليسلم مما طلبه هارون منه. وفى غرائب الأخبار للسيد نعمة الله التسترى أن هارون العباسى أراد أن يولى رجلاً القضاء فشاور أصحابه فأشاروا ببهلول فاستدعاه

وقال له: أعنّا على عملنا هـذا. قال: بأى شـىء أعينك؟ قال: بعمل القضاء. قال: أنا لا أصـلح لـذلك. قال: أطبق أهل بغداد أنك صالح له. فقـال: سبحان الله، أنـا أعرف بنفسـى منهم، فـإن كنت فى إخبـارى بـأنى لاـ أصـلح للقضـاء صادقـاً، فهو ما أقول، وإن كنت كاذباً فالكاذب لايصـلح لهذا العمل، فألحوا عليه وشددوا وقالوا: لا ندعك أو تقبل. قال: إن كان ولا بد فأمهلونى الليلة حتى أفكر فى أمرى، فلمـا أصـبح تجـانن وركب قصـبة ودخـل السوق? وكـان يقول: طرقوا، خلوا الطريق لاـ يطـأكم فرسـى. فقـال الناس: جُنّ بهلول. فقال هارون: ما جنّ ولكن فرّ بدينه منّا.

وكانت لبهلول مناظرات مهمة مع الخلفاء والولاة أمثال هارون العباسى ومحمد بن سليمان والى البصرة ابن عم هارون، منها: أن هارون خرج إلى الحـج فلما كان بظاهر الكوفـة بصـر بهلولاً على قصـبة وخلفه الصبيان وهو يعـدو، فقال: من هذا؟ قالوا: بهلول المجنون. قال: كنت أشـتهى أن أراه فـادعوه من غير ترويع. فقالوا: أجب الأمير. فعـدا على قصـبته. فقال هارون: السـلام عليك يا بهلول. فقال: عليك السـلام يا أمير. فقال: كنت إليك مشتاقاً. قال: لكنى لم أشتق إليك. قال: عظنى. قال: وبم أعظك؟ هذه قصورهم وهذه قبورهم. فقال: زدنى فقد أحسـنت. فقال: من أعطاه الله مالاً وجمالاً فعفّ فى جماله وواسـى فى ماله، كتب فى ديوان الأبرار. فظنّ هارون أنه يريد منه شيئـاً. فقال: أمرنا بقضاء دينك. فقال بهلول: لا، إنه لا يقضـى دين بـدين، اردد الحق على أهله واقض دين نفسك. فقال: قـد أمرنا أن يجرى عليـك. قـال: أترى الله يعطيـك وينسـانى، ثم ولّى هارباً. وروى بإسـناد آخر: أنه قال لهارون: يا أمير، فكيف لو أقامك الله بين يـديه فسألك عن النقير والفتيل والقطمير؟ قيل: فخنقته العبرة. فقال الحاجب: حسبك يا بهلول، قـد أوجعت الأمير. فقال هارون: دعه. فقال بهلول: إنما أفسـده أنت وأضـرابك. فقال هارون: أريـد أن أصـلك بصـلة. فقال بهلول: ردَّها على من أخـذت منه. فقال هارون: فحاجـة. قـال: لا ترانى ولا أراك. ثم قال: يا أمير، حـدّثنا أيمن بن نائل عن قدامـة بن عبـد الله الكلابى قال: رأيت رسول الله صـلى الله عليه و اله يرمى جمرة العقبة على ناقة له صهباء لا ضرب ولا طرد، ثم ولى بقصبته وأنشأ يقول:

فعدك قد ملكت الأرض طراً

ودان لك العباد فكان ماذا

ألست تموت فى قبر ويحوى

تراثك بعد هذا ثم هذا

ثم إن بعض الخلفاء قال لبهلول: أتريد أن أحيل أمر معاشك إلى الخزانة حتى لا تكون فى تعب منه طول حياتك. فقال: أرضى به، ما خلا من معايب، أولها: إنك لا تـدرى إلى ما أحتاج حتى تهيئه لى. ثانيها: إنك لا تـدرى متى أحتاج حتى لا تتجاوزه. ثالثها: إنك لا تـدرى مقـدار حاجتى حتى لا تزيـد عنه ولا تنقص فتبتلينى، والله الـذى ضـمن رزقى، يـدرى جميع هـذه? الثلاثـة منى، مع أنك ربما غضبت علىّ فحرمتنى، والله سبحانه وتعالى لايمنعنى فضله ورزقه وإن كنت عاصياً له بجميع أعضائى وجوارحى.

ويذكر فى التاريخ أن بهلولاً مرّ بهارون العباسـى وقد بنى قصـراً جديداً فقال لبهلول: اكتب شيئاً على هذا القصر، فأخذ بهلول قطعة من الفحم وكتب: رفعت الطين ووضـعت الدين، ورفعت الجص ووضـعت النص، فإن كان من مالك فقد أسرفت والله لا يحب المسرفين، وإن كـان من مـال غيرك فقـد ظلمت والله لا يحب الظالمين. ومن وصايا بهلول: اجعل جوارحك مطيتك واحمل عليها زاد معرفتك واسـلك بها طريق مبغضك فإن ذكرتك ثقل الحمل فذكرها عاقبة البلوغ. للمزيد راجع عقلاء المجانين للحسن بن محمد النيسابورى ومجالس المؤمنين.

() المهاتما غانـدى، ولـد فى بور بنـد الهندية سنة ۱۲۸۶ه (۱۸۶۹م)، واغتيل سـنة ۱۳۶۷ه (۱۹۴۸م)، بـدأ كفاحه السـلمى لتحرير الهند سنة۱۳۳۷ه (۱۹۱۹م)، وتزعم حزب المـؤتمر، سـعت جهوده إلى تحرير الهنـد من الاسـتعمار البريطـانى، عـبر وسـيلة المقاومـة السـلمية اللاعنف والعصيان المدنى والصوم، وقد كلّفه صراعه أن يدخل السجن عدّة مرات، من مؤلفاته: (قصة تجاربى مع الحقيقة).

() هارون بن محمد المهدى بن عبد الله المنصور، خامس خلفاء بنى العباس والبالغ عددهم ۳۷خليفة، ولد فى مدينة رى الإيرانية وتقع

فى أطراف طهران الحالية سنة ۱۴۸ه (۷۶۵ م)، ومات فى جمادى الأولى سنة ۱۹۳ه (۸۰۹ م) فى قرية سناباد عندما ذهب إلى خراسان لقمع ثورة رافع بن الليث عن عمر يناهز ۴۷ سنة، وحكم سنة ۱۷۰ه (۷۸۶م)، وامتد حكمه ۲۳ سنة وشهراً وتسعة عشر يوماً، وخلف عشرين ولداً نصفهم ذكور ونصفهم إناث، واتّسم حكمه بالظلم والاستبداد وعلى الخصوص لأئمة أهل البيت عليه السلام وأتباعهم، فقد قتل الإمام الكاظم عليه السلام بعد أن سجنه عشر مرات فى البصرة وبغداد، وكذا قتل الطالبيين. وكان هارون يسعى دائماً إلى طمس المذهب الشيعى، والآثار الإسلامية، وبالأخص العتبات المقدسة فى مدينة كربلاء فقد هدَّم قبر الإمام الحسين عليه السلام وحرث الحرم وقطع شجرة السدرة التى كانت معلماً لإرشاد الزائرين وذلك سنة ۱۹۳ه، وقد أضحى العلماء فى عهده يتحامقون أمثال بهلول بن عمرو وعليان وعيناوه، ومن وسائل قتله للأبرياء هو بناء الأعمدة المجوَّفة ووضع الإنسان فيها ثم سد فوهة العمود فيبقى المعذب فيه حتى يأتيه الموت بتلك الحالة، وبنى سياسته ضد خصومه على أسلوب خلق الفتن والتآمر والاغتيال والدعاية فى طعن النسب وفى الإيديولوجية وفى الهجوم العسكرى إن تسنى له ذلك، واهتم بالغناء والمغنين وقرّب الكثير منهم وأجزل العطاء عليهم وكان يجمعهم فى مجلس واحد ويقترح عليهم فى الأصوات ليطرب هو ومن معه، وقد اختار له إسحاق الموصلى من الغناء مائة صوت، عرفت بالأصوات المائة المختارة، التى وضع أبو الفرج الأصفهانى فيها كتاب الأغانى. وكان أخو هارون، إبراهيم، المعروف بابن شكلة قد بلغ منزلة بالغناء والعزف والمنادمة حتى اشتهر بشيخ المغنين، وقد ذكر فى التاريخ أنه لما عجز إبراهيم عن توزيع عطاء الناس؛ لصرفها فى ملذاته، قال قوم من أهل بغداد هازئين مستهزئين: أخرجوا لنا خليفتنا يغنى لأهل هذا الجانب ثلاثة أصوات ولأهل هذا الجانب ثلاثة أصوات فتكون عطاءً للجميع، ?وكانت أخت هارون، علية، تغنى وأخوها الآخر، يعقوب، يزمّر لها على الغناء. وقد قال الشاعر أبو فراس الحمدانى مقارناً بين أفعال? العباسيين والعلويين قائلاً:

منكم علية أم منهم وصاحبكم

شيخ المغنين إبراهيم أم لهم

تبدو التلاوة من أبياتهم سحراً

ومن بيوتكم الأوتار والنغم

ليس الرشيد كموسى فى القياس ولا

مأمونكم كالرضا إن أنصف الحكم

راجع معجم البلدان: ج۴ ص۱۶۵، الأعلام للزركلى: ج۸ ص۶۲.

() ذكر عيون أخبار الرضا عليه السلام بسنده عن عبيد الله البزاز النيسابورى عن حميد بن قحطبة والى خراسان؛ إنه قتل فى ليلة واحدة بأمر هارون فى طوس ستين نفساً من العلويين طرح أجسادهم فى بئر هناك.

() وقد عد بعض المؤرخين أن هارون أول من جعل للمغنين والمغنيات مراتب وطبقات، اقتداءً ب «أردشير وكسرى» حكام فارس، وأنه أول خليفة لعب بالكرة والصولجان وهى لعبة فارسية، وأنه كثر فى زمانه لعبتا الشطرنج والنرد.

() ولا يخفى عدم صحة هذه المقولة؛ لأنه انفصلت عن الدولة العباسية الأدارسة فى المغرب، والسامانية فى خراسان وما وراء النهر، والغزنوية فى أفغانستان، والأموية فى الأندلس، والرستمية فى المغرب الأوسط، ولو سلمنا بصحة هذه المقولة فما قيمة الملك الواسع والعريض والناس يعيشون فى كبت واضطهاد وذل ومهانة، ألم يكن لجنكيزخان وهولاكو وهتلر البلاد الواسعة والمُلك العريض؟!.

() تيمو جين بن يشوكى والمشهور ب(جنكيز خان)، مؤسس الإمبراطورية المغولية، ولد سنة ۱۱۹۲م ومات إثر سقوطه عن صهوة جواده سنة ۱۲۲۷م، تولى الحكم وراثة وهو ابن الثالثة عشرة من العمر، وبفترة وجيزة أبرز شجاعته وجلده وقوته العسكرية وشرع فى بناء إمبراطورية عظمى، حكم من سنة ۱۲۰۶م واستمر فى الحكم إلى سنة ۱۲۲۷م، واستطاع خلال هذه الفترة أن يوحد القبائل المغولية الوثنية المتنقلة وتوجيهها للفتوحات، وأخضع الكثير من البلدان لحكمه، منها: منغوليا سنة ۱۲۰۶م والصين سنة ۱۲۱۵م، وفارس

وأفغانستان وأرمينيا والهند وقسم كبير من روسيا، وعرف بالبطش والقتل وحبه للدماء، وقد ذكر الإمام الراحل رحمة الله عليه بعض جرائم المغول وعلى رأسهم (جنكيز خان) فى كتابه (الصياغة الجديدة) ص۳۵۴ ومصدره كتاب أسرى الحرب، ما نصه: «وفى حروبهم اشتبكوا مع شاه «خوارزم»، علاء الدين، فأحرق المغول مدينة «بخارى» ونهبوا ثرواتها واغتصبوا النساء وسيق الأسرى إلى «سمرقند»، ولما صعب عليهم اللحاق بالفرسان، أمر جنكيز خان بقتل كل من يتخلَّف عن السير، واستحالت «بخارى» إلى أنقاض وخرائب. ولاقت مدينة «سمرقند» المصير نفسه؛ حيث نهبت وقتل السكان وأسروا ۳۰ ألفاً من أمهر الصنّاعين وأرسلهم جنكيزخان إلى أبنائه فى الشمال، كما جنَّدوا عدداً كبيراً لاستخدامهم فى الأشغال العسكرية والنقل. وفى مدينة «خراسان»، جمعوا الأهالى فى ساحة واسعة وأمروهم أن يُكتِّف بعضهم بعضاً ثم شرعوا بذبحهم، فقتلوا سبعين ألفاً. ولما احتلوا مدينة «مرو»، وزّعوا سكانها على المحاربين المغول ووزّع كل منهم نصيبه، ولم يُبقوا إلَّا على أربعمائة صانع لحاجة الجيش إليهم، وعلى بعض الأفراد لاتّخاذهم عبيداً، ولاقت بقية المدن نفس هذا المصير. ولما سمع المغول أن بعض الأهلين رقدوا بين جثث القتلى، أصدر الأوامر بفصل الرؤوس عن أجسادها واتبعوا ذلك فى جميع? معاركهم اللاحقة. وكانوا يطاردون الفارّين كما يطارد الصياد فريسته. واستخدموا شتى أنواع الحيل لإخراج المختبئين من مخابئهم، مثلاً: أرغموا مؤذناً من أسراهم على الأذان للصلاة، وخرج المسلمون من مكامنهم معتقدين بذلك، ذهب الغزاة الذين كانوا لهم بالمرصاد فأبادوهم. وكانوا يحرقون الغلات والمحاصيل قبل مغادرتهم المدن ليموت من اختبأ أو فرّ من السكان جوعاً. وكانت سياسة جنكيز خان فى حروبه ذبح جميع جنود الحاميات وسكان المدن والسلب والنهب وغرق الأسرى، وإذا قاومت مدينةٌ المغولَ، صنعوا بها الأفضع، فقد قاومت «نيسابور» بضعة أيام فكان جزاؤها ذبح الرجال والنساء والأطفال. وعندما هجم المغول على مدينة بغداد، حاصروها أربعين يوماً ونصبوا المنجنيقات على جميع القلاع والحصون وأمطروها بالحجارة والنار المشتعلة وأحدثوا ثغرة كبيرة فى أسوارها وأحرقوا المنازل، ولما رأى الخليفة العباسى أنه لا علاج إلا بالصلح، طلب الصلح وأبدى استعداده للتسليم شريطة الإبقاء على حياته وحياة السكان، وخرج مع ثلاثة آلاف من القضاة والأعيان والأشراف لملاقاة هولاكو، فخان الاتفاق وغدر بهم كما فتك بسكان المدينة، فأمر هولاكو بنهب المدينة وذبح سكانها ووطئت أجساد المستغيثين بحوافر الخيل واغتصبت النساء، وسالت الدماء فى الشوارع مدة ثلاثة أيام حتى أصبح ماء دجلة لعدة أميال أحمر قانياً. واستبيحت المدينة ستة أسابيع، فذبحوا السكان وانتهكوا الحرمات وأحرقوا الدور وتهاوت القصور وتقوضت الجوامع والضرايح بسبب النار أو بسبب المعاول، وذبحوا المرضى فى المستشفيات، وقتلوا طلاب العلم والأساتذة فى المدارس، ونبشوا قبور الأولياء وأضرحة الأئمة الصالحين، وأحرقوا جثث الأموات، واستمرت المذابح عدة أيام، وأمست مدينة بغداد خراباً بلقعاً، وهلك من سكانها أكثر من مليون ونصف. وعبر المغول الفرات متجهين صوب الجزيرة يطاردون الأهلين فيقتلون ويسلبون، فأبادوا جميع سكان مدينة «ألرها» و «جران» و «نصيبين» وذبحوا فى مدينة «حلب» خمسين ألفاً وسبوا عشرة آلاف من نسائها وأطفالها. وفعلوا أيضاً فى غالب بلاد الإسلام هذا الفعل، مثلاً: لما علم تيمورلنك بمقتل جماعة من رجاله وجنوده الذين دخلوا مدينة «أصفهان» غضب وأصدر أمره إلى الجيش باقتحام المدينة وأن يعود كل جندى مع رأس قتيل من أهلها، ونفذ الجيش الأمر وتحولت المدينة إلى مجزرة بشرية مروعة، وتكدست عند المساء سبعون ألف جمجمة من الضحايا، فأمر تيمور أن تقام منها أبراج فى شوارع المدينة».

() لوسيوس دو ميتيوس والمشهور ب نيرون، رابع أباطرة وملوك الرومان، الذين حكموا البلاد بالحديد والنار من سنة ۱۴م وإلى ۱۱۷م والبالغ عددهم اثنى عشر شخصاً، ولد نيرون سنة ۳۷م، وحكم أربع عشرة سنة منذ سنة ۵۴م وإلى ۶۸م، واتّسم حكمه بالاستبداد والديكتاتورية والطغيان والوحشية حتى إنه قتل أمّه سنة ۵۹م وزوجته سنة ۶۲م وأحرق روما سنة ۶۴م، ومثالاً على استبداده أنه: «سأل آغربين، الشاعر؛ وهو تحت النطع: من أشقى الناس؟، فأجابه معرّضاً به: من إذا ذكر الناس الاستبداد، كان مثالاً له فى الخيال»؛ كما ورد فى طبائع الاستبداد ص۵۸ للكواكبى، انتحر بخنجر أغرزه فى عنقه سنة ۶۸م؛ بعد أن ثار عليه القادة العسكريون فى إفريقيا وإسبانيا، وعاش ۳۱ سنة.

() أدولف هتلر ولد فى النمسا سنة ۱۸۸۹م، وانتحر فى برلين سنة ۱۹۴۵م، تسلم مقاليد الحكم فى ألمانيا سنة ۱۹۳۴م، أدت سياسته المتعجرفة إلى نشوب الحرب العالمية الثانية سنة ۱۹۳۹م، والتى ذهب ضحيتها قرابة الخمسين مليونَ إنسانٍ، وخسر المعركة بهجومه على روسيا سنة ۱۹۴۳م، من مؤلفاته كتاب: (كفاحى).

() بنيتو موسيلينى، ولد سنة ۱۸۸۳م، وقتل فى ۲۸ نيسان ۱۹۴۵م، مؤسس الحزب الفاشى الإيطالى فى ميلانو سنة ۱۹۱۹م، زحفت ميليشياته على روما سنة ۱۹۲۲م وأسندت إليه الوزارة، أصبح رئيساً لإيطاليا فى نفس السنة، أنشأ مع هتلر محور روما برلين سنة ۱۹۳۶م، تحالف مع هتلر فى الحرب العالمية الثانية، وأدّت هزيمة قواته إلى سقوطه، أُقصى من الحكم سنة ۱۹۴۳م ثم أعاده الألمان إلى الحكم مرة أخرى سنة ۱۹۴۴م.

() جوزيف ستالين، ولد سنة ۱۸۷۹م، ومات سنة ۱۹۵۳م، أصبح الأمين العام للحزب الشيوعى فى الاتحاد السوفياتى السابق سنة ۱۹۲۴م، واستمر إلى سنة ۱۹۵۳م وأصبح رئيساً للجمهورية بين الفترة ۱۹۴۱ ۱۹۵۳م، اتّسم حكمه بالاستبداد والديكتاتورية، وقد قضى على خصومه فى محاكم صورية، وقتل من الشعب أكثر من عشرين مليوناً لأجل تحويل النظام الزراعى التقليدى إلى المزارع الجماعية أو المزارع الحكومية. وقد سبب هذا التحويل سحق الطبقة الوسطى فى المجتمع ممّا أدّى إلى خفض الإنتاج الزراعى، ونقص الملايين من رؤوس الماشية، وإحداث مجاعات فى البلاد وعلى الخصوص فى أوكرانيا وشمال القفقاز.

() توماس أديسون، ولد سنة ۱۸۴۷م، وتوفى سنة ۱۹۳۱م، عالم فيزيائى إمريكى، مخترع الآلات الكهربائية ومنها المصباح الكهربائى.

() يقول الكاتب اليهودى إيرل يوغر فى كتابه العهد والسيف الصادر سنة ۱۹۶۵م: «يجب القضاء على جميع العناصر التى تغذى شعور العداء ضد إسرائيل فى العالم العربى. وهى عناصر رجعية تتمثل فى رجال الدين والمشايخ».

() إشارة إلى الحديث الوارد فى نهج البلاغة: الخطبة ۱۲۷، وشرح نهج البلاغة لابن أبى الحديد: ج ۱۰ ص ۲۸۰.

() سورة العنكبوت: الآية ۶۹.

() فقد ورد عن الرسول صلى الله عليه و اله الحديث التالى: (أمرنى ربى بمداراة الناس كما أمرنى بأداء الفرائض) الكافى (أصول): ج ۲ ص۱۱۷ ح۴، وسائل الشيعة: ج۱۲ ص ۲۰۰ ب ۱۲۱ ح۱۶۰۸۱، وورد أيضاً: (أمرنى ربى بمداراة الناس كما أمرنى بتبليغ الرسالة) مستدرك الوسائل: ج۹ ص۳۵ ب۱۰۴ ح۱۰۱۳۴.

() للمزيد من التفصيل راجع كتاب (الوصول إلى حكومة واحدة إسلامية) للإمام المؤلف رحمة الله عليه.

() القاجاريون: سلالة إيرانية، حكموا منذ سنة ۱۲۱۰ه (۱۷۹۵م) وإلى سنة ۱۳۴۳ه (۱۹۲۵م) ولمدة ۱۳۳سنة، وعدد ملوكهم سبعة؛ أوّلهم محمد فتح على شاه وآخرهم أحمد شاه، وأبرز ملوكهم فتح على شاه وناصر الدين شاه ومظفر الدين شاه، وفى عهدهم دخلت إيران فى السلك الأوروبى، وخسرت مدينة باكو وجورجيا ومعظم أرمينيا الفارسية؛ بعد أن استولت عليها روسيا القيصرية، وأطاح بسلالتهم رضا بهلوى سنة ۱۳۴۳ه (۱۹۲۵م). للتفصيل عن قبيلة قاجار راجع أعيان الشيعة: ج۳ ص ۱۲۰.

() ومن نافلة القول نذكر القصة التالية: يقول طه الهاشمى: إنَّ شاباً مسيحياً من الموصل، راجعنى حينما كنت رئيساً لجمعية فلسطين، وطلب إلىّ أن أتوسط فى إرساله مجاهداً إلى فلسطين، فقلت له: إن الجمعية لا تبعث المجاهدين إلى فلسطين، لأن مهمتها جمع المال للمنكوبين من أهل فلسطين. ولما لم يقتنع بهذا الجواب، أتى إلى مركز الجمعية فى يوم اجتماع هيئتها الإدارية، وكرر الطلب. فأجيب بما قلت له قبلاً. وبعد بضعة أيام، راجعنى مرة ثانية، والتمس منى أن أتوسط فى تعيينه موظفاً، وادّعى بأنه متخرج من مدرسة الصنائع. فقلت له: إن وزارة الدفاع نشرت فى الجرائد حاجتها إلى متخرجى مدارس الصنائع، فليراجعها. فذهب. ثم عاد، وطلب منى مالاً، فنهرته على ذلك. وبعد مدة من الزمن علمت من رجل مسؤول أن الشاب المذكور اتصل برئيس المرافقين وأسرّه بأننى حرّضته على اغتيال شخصية عظيمة، وأنى وعدته بالمال. نقل رئيس المرافقين الخبر إلى الحكومة، فاجتمع المسؤولون وتداولوا فى الأمر، فلم يصدقوه وتأكدوا منى أن المخبر مفترٍ كاذب. وطلب رئيس الوزراء من وزير الداخلية إعادة ذلك المفترى إلى بلده، وقد اتّضح بعد مدة أن

الشاب المذكور لم يبعد، إنما استخدم فى مطعم ضباط القوة الجوية.

لقد حاولت عبثاً أن أعرف الجهة التى دبرت ضدى هذه المؤامرة الحمقاء وأعلم الواسطة التى استخدمت الشاب فى مطعم الضباط ولكن دون جدوى. راجع جريدة لواء الاستقلال تاريخ ۱۰/ ۱/ ۱۹۵۱م.

() تأسست الدولة العثمانية سنة ۱۲۸۱م وسقطت سنة ۱۹۲۲م وعدد خلفائها ۳۷ خليفة أولهم عثمان الأول وآخرهم عبد المجيد الثالث الذى نفاه أتاتورك إلى مدينة نيس الفرنسية. ومن أخطر? مثالبهم إضافة إلى الفساد والاستبداد هو ترك مصادر التشريع الإسلامى والتوسل بالقوانين الغربية الوضعية. للمزيد راجع كتاب (موجز عن الدولة العثمانية) للإمام المؤلف رحمة الله عليه.

() متشابه القرآن: ج۲ ص۲۱۲، نهج الحق: ص۵۱۵، من لايحضره الفقيه: ج۴ ص ۳۳۴ ب۲ ح۵۷۱۹،وسائل الشيعة: ج۲۶ ص۱۴ ب۱ ح۳۲۳۸۳ وص۱۲۵ ب۱۵ ح ۳۲۶۴۰، غوالى اللآلى: ج۱ ص۲۲۶ ح۱۱۸ وج۳ ص۴۹۶ ح۱۵، مستدرك الوسائل: ج۱۷ ص۱۴۲ ب۱ ح۲۰۹۸۵.

() سورة الأنفال، الآية: ۶۰.

() سورة الكهف: الآيات ۸۹، ۹۲.

() غوالى اللآلى: ج۳ ص۲۸۶، وقريب منه فى بصائر الدرجات: ص۶ وص۵۰۵، وبحار الأنوار: ج۲ ص۹۰ ب۱۴ ح۱۴ وح۱۵، وص۱۶۸ ب۲۲ ح۱ ط بيروت.

() يقول كرزون وزير خارجية إنجلترا فى مجلس العموم البريطانى بالنسبة للقضاء على الخلافة العثمانية: «لقد قضينا على تركيا التى لن تقوم لها قائمة بعد اليوم، لأننا قضينا على قوتها المتمثلة فى أمرين الإسلام والخلافة».

() يقول توماس أدورد لورنس فى كتابه أعمدة الحكمة السبعة: ص۴۷ ۴۸ عن فيصل: وما كان نظرى يقع عليه حتى أيقنت أن هذا الشخص هو الشخص الذى جئت بلاد العرب لأبحث عنه وآمنت بأنه هو الزعيم الذى سيسير بالثورة العربية إلى هدفها المنشود.

() فقد قسموا الخلافة العثمانية وفق اتفاقية سايكس بيكو، وتنص هذه الاتفاقية على تقاسم كل من إنجلترا وفرنسا وروسيا القيصرية تركة الخلافة العثمانية. وهذا الاتفاق كشف عنه الروس بعد إطاحتهم بالنظام القيصرى، يقول لورنس فى كتابه (أعمدة الحكمة السبعة) ص۳۵۴ ۳۵۵ ما نصه: «وقرأ جمال باشا بنوده السرية فى حفل عام دعا إليه فى بيروت، وبذلك سبب الكثير من المتاعب ولو إلى حين فى وجه بريطانيا وفرنسا اللتين أرادتا إخفاء نواياهما الحقيقية بشأن البلاد العربية عن العرب. ولحسن حظى أننى كنت قد كشفت لفيصل قبل هذا التاريخ? عن وجود مثل تلك الاتفاقية، وأقنعته بأن أفضل وسيلة لكسر مفعول الاتفاق هى تقديم عون فعال للإنجليز. عندئذ سيكون من الصعب عليهم بعد النصر التضحية بحليف السلاح من أجل تنفيذ اتفاق ورقى. ولكن بما أننى لم أكن واثقاً من حسن تصرف الإنجليز فقد رجوت فيصلاً ألاّ يعتمد كوالده على وعودنا».

() الجنرال أللنبى: القائد العام للقوات البريطانية، وكان هذا الشخص يموّل الشريف الحسين والد فيصل الأول مادياً وعسكرياً ضد الدولة العثمانية، وكان فيصل تحت إمرته، للمزيد راجع مذكرات لورنس ص۲۱۶.

() يقول لورنس فى كتابه (أعمدة الحكمة السبعة) ص۴۰۱: «قيل لنا بأن القطار الذى يقل فيصلاً من درعا قد وصل إلى المحطة، فكلفنا يوينغ بالذهاب إليه واستقباله باسمنا فى المحطة. وبعد برهة من الوقت ووسط هتافات الجماهير المدوية، وصل فيصل ليجتمع بالجنرال أللنبى لأول مرة وكلاهما فى قمة النصر والمجد. وكانت مهمتى فى هذا الاجتماع أن أقدِّم كليهما للآخر وأتولى عملية الترجمة بينهما».

() للمزيد من التفصيل عن انهيار الدولة العثمانية راجع كتاب «أعمدة الحكمة السبعة» للمؤلف توماس أدورد لورنس.

() يقول الباحث حسن الأمين فى كتابه (مظاهرات وثورات وحروب عربية) ص۶۴: «فليس فى تاريخ الدولة العثمانية ما يشعر بأنه كان للشيعة فيها نصيب ابتداءً من منصب الوزير وانتهاءً بمنصب مدير الناحية ومروراً بمنصب الوالى ومنصب المتصرف ومنصب القائمقام».

ويضيف فى نفس الصفحة: «وكان (مجلس المبعوثان) كلّه من السنة، ما عدا واحد من كربلاء، ولم يكن من أعضائه من شيعة العراق». وفى مكان آخر يقول: «وحرموا الشيعة من مجلس الأعيان».

ويقول فى ص۶۵: «وممّا عاناه الشيعة فى الدولة العثمانية عدم الاعتراف بمذهبهم فكان المفروض عليهم أن يتحاكموا ويحكم عليهم بما يراه قضاة المذهب الحنفى».

() سورة الأنفال: الآية ۴۶.

() سورة النساء: الآية ۱۲۲.

() الحرب العالمية الأولى، اندلعت سنة ۱۹۱۴م بين ألمانيا والنمسا والمجر من جانب، وفرنسا وإنجلترا وبلجيكيا واليابان وأمريكا من جانب آخر، وانتهت فى سنة ۱۹۱۸م. وبلغت تكاليفها ۱۹۰ مليار دولار، وقد قتل فيها تسعة عشر مليون إنسان، ومن الأسباب غير المباشرة لهذه الحرب نمو النزعة القومية فى أوروبا ووجود الصراع السياسى والاقتصادى بين الدول إضافة إلى التكتل الدولى، ومن الأسباب المباشرة إعلان النمسا الحرب على صربيا سنة ۱۳۳۲ه (? ۱۹۱۴م) وإعلان ألمانيا الحرب على روسيا ثم فرنسا، وانتهت الحرب بعقد معاهدة فرساى سنة ۱۳۳۷ه (۱۹۱۹م).

() منظمة دولية شكّلها الحلفاء الذين كسبوا الحرب العالمية الأولى وهم: أمريكا وفرنسا وبريطانيا وإيطاليا واليابان سنة ۱۹۲۰م بموجب ميثاق؛ شكل جزءاً من معاهدة فرساى والتى كانت مهمتها تنظيم الأوضاع الدولية بعد الحرب، ويتكون برنامج عصبة الأمم من مقدمة وست وعشرين مادة، ويتألف أعضاؤها بالإضافة إلى الحلفاء والدول التى أستشيرت عند مناقشة النصوص والبالغ عددها ۱۳ دولة ودول أخرى ينتمون إليها بموافقة ثلثى الأعضاء، وتتكون العصبة من ثلاث هيئات: أ. الجمعية العامة ب. مجلس وأمانة دائمة. ج. هيئة قضائية دولية للفصل بين المنازعات الدولية القانونية تعرف بمحكمة العدل الدولية. وقد كرّست هذه العصبة هيمنة مؤسسيها على الدول الأخرى وغرست فيهم روح التبعية للغرب، إضافة إلى عدم تحمل مؤسسيها لمسؤولياتهم والتزاماتهم تجاه الشعوب. راجع موسوعة السياسة: ج۴ ص۱۱۲

د. عبد الوهاب الكيالى.

() هناك وثيقة لملك فرنسا، لويس التاسع، وهى محفوظة فى دار الوثائق القومية فى باريس، وتنص على عدة بنود لتفريق المسلمين، منها:

۱ إشاعة الفرقة بين قادة المسلمين، وإذا حدثت فليعمل على توسيع شقتها ما أمكن حتى يكون هذا الخلاف عاملاً فى إضعاف المسلمين.

۲ عدم تمكين البلاد الإسلامية والعربية أن يقوم فيها حكم صالح.

۳ إفساد أنظمة الحكم فى البلاد الإسلامية بالرشوة والفساد والنساء حتى تنفصل القاعدة عن القمة.

۴ الحيلولة دون قيام جيش مؤمن بحق وطنه عليه، يضحى فى سبيل مبادئه.

۵ العمل على الحيلولة دون قيام وحدة فى المنطقة.

۶ العمل على قيام دولة غريبة فى المنطقة العربية، تمتد ما بين غزة جنوباً وأنطاكيا شمالاً، ثم تتجه شرقاً وتمتد حتى تصل إلى الغرب.

راجع الصياغة الجديدة: ص۵۷۷ للإمام المؤلف رحمة الله عليه.

() يقول مورو بيرجر فى كتابه العالم العربى المعاصر: «إن الخوف من العرب واهتمامنا بالأمة? العربية ليس ناتجاً عن وجود البترول بغزارة عند العرب، بل بسبب الإسلام، يجب محاربة الإسلام للحيلولة دون وحدة العرب التى تؤدى إلى قوة العرب، لأن قوة العرب تتصاحب دائماً مع قوة الإسلام وعزته وانتشاره، إن الإسلام يفزعنا عندما نراه ينتشر بيسر فى القارة الإفريقية».

ويقول أبو جين روستو، رئيس قسم التخطيط فى وزارة الخارجية الإمريكية ومساعد وزير الخارجية الإمريكية ومستشار الرئيس جونسن

لشؤون الشرق الأوسط حتى عام ۱۹۶۷م ما يلى: «يجب أن نـدرك أن الخلافات القائمة بيننا وبين الشـعوب العربية ليست خلافات بين الدول أو الشـعوب، بل هى خلافات بين الحضارة الإسـلامية والحضارة المسـيحية، لقد كان الصـراع محتدماً ما بين المسيحية والإسلام منـذ القرون الوسـطى وهو مسـتمر حتى هـذه اللحظـة بصور مختلفة، ومنذ قرن ونصف، خضع الإسـلام لسـيطرة الغرب، وخضع التراث الإسلامى للتراث المسيحى. راجع الصياغة الجديدة: ص ۵۷۰وص ۵۷۵ للمؤلف رحمة الله عليه.

() إشارة إلى الحديث الوارد: (الناس كأسنان المشط سواء) من لا يحضره الفقيه: ج۴ ص ۳۷۹ ب۲ ح۵۷۹۸.

() سورة الحجرات: الآية ۱۳.

() ومن أمثلة ذلك: ذات مرة حكم أحد العلماء بالهلال، وعالم آخر شـهد عنده ثمانية عشر شخصاً، ولم يحكم بالهلال؛ وقد كان هذا العالم قد حكم بالهلال فى العام السابق لرؤية سبعة أشخاص من نفس هؤلاء الشهود.

() راجع موسوعة الفقه: ج۳۶ ص ۱۹۲ ۲۰۱ كتاب الصوم، بحث ثبوت الهلال فى بلد دون بلد.

() من المنـاسب أن نلفت نظر القـارئ الكريم إلى الخطـة التى سـلكتها أمريكـا للسـيطرة على العراق، ففى أواسط الثلاثينات من القرن الماضـى طلبت الحكومـة الأمريكيـة من وزارة الخارجيـة إعـداد مشـروع لـدخول منطقـة الخليـج، فأوعزت وزارة الخارجية إلى مراكز الـدراسات أن تقـدم ما لـديها فى هـذا الصـدد بفترة زمنيـة لا تتجاوز السـنتين. واختارت الحكومـة إحـدى الـدراسات بعـد أن شذّبتها وأضافت إليها، والتى تنص على أن العراق هو بوابـة الخليـج. ومنـذ تلك الفترة قامت الحكومـة الأمريكية بالنفوذ فى العراق عبر تقوية علاقاتهـا مع بعض المسؤولين فى العهـد الملكى ومع بعض التجـار. وبالفعـل فقـد تحقق حلم الأمريكان بعـد تنصـيب حزب البعث فى العراق سنة ۱۹۶۸م الـذى جاء بقطار إنجلو أمريكى على حـدّ تعبير أمين سرِّ القيادة القطريـة ووزير الداخلية ونائب رئيس الوزراء على صالـح السـعدى فى نهايـة الستينـات، وعلى حـدِّ تعـبير عضو مجلس قيـادة الثورة ورئيس أركـان الجيش وقائـد سـلاح الطيران حردان التكريتى فى مذكراته. وكما ذكر ذلك زبير سلطان قدّورى فى كتابه: بغداد على خط الصفر، ثم تحقق حلم الأمريكان باحتلال العراق مباشرة عبر القضاء على صنيعتهم طاغية العراق صدام التكريتى فى ۹/۴/۲۰۰۳م.

() وكان ذلك فى شـهر ربيع الأول سنة ۱۳۸۹ه واسـتمر إلى شـهر شـعبان من نفس السـنة، وفى هذه الفترة سـعى رحمة الله عليه حثيثاً لإطلاق سـراح أخيه السـيد حسن الذى اغتالته المخابرات العراقية سنة ۱۴۰۰ه (۱۹۸۰م)، وكان برنامجه فى هـذه الفترة يتجسد فى عدة نقاط كما ذكر ذلك فى كتاب كفاحى:

أولاً: تربية النفس بالطاعة والعبادة والزهد والاستغناء عمّا سوى الله.

ثانياً: الاستطلاع على الأوضاع العالمية من طريق أجهزة الإعلام.

?ثالثاً: التفكير فى طرق إنقاذ المسلمين، وفى هذه الفترة تكونت الخطوط والمناهج لهذه المهمة.

رابعاً: التأليف، وقد ألّف فيها ثلاثين كتاباً: اثنان فى التفسير تبيين القرآن وتوضيح القرآن .

وفى هذه الفترة قامت الحكومة باعتقال خمسين شخصاً من أصدقاء الإمام الراحل رحمة الله عليه من علماء وخطباء ومدرسين ووجهاء، أمثال: الخطيب الشيخ عبد الزهراء الكعبى، والشيخ حمزة الزبيدى، والسيد سعيد الزينى.

() سورة الحجرات: الآية ۱۲.

() سورة فصلت: الآية ۲۳.

() بحار الأنوار: ج۳۵ ص۳۸۳ ب۱۸ ح۱۲. وإليك نص الحديث كما عن على عليه السلام أنه ناجى رسول الله صلى الله عليه و اله عشر مرات بعشـر كلمات قـدمها عشـر صـدقات، فسأل فى الأولى: ما الوفاء؟ قال: التوحيد شـهادة أن لا إله إلا الله، ثم قال: وما الفساد؟ قال: الكفر والشـرك بالله عزوجل، قال: وما الحق؟ قال: الإسـلام والقرآن والولاية إذا انتهت إليك، قال: وما الحيلة؟ قال: ترك الحيلة. قال:

وما عليَّ؟ قال: طاعة الله وطاعة رسوله. قال: وكيف أدعو الله تعالى؟ قال: بالصدق واليقين. قال: وما أسأل الله تعالى؟ قال: العافية. قال: وماذا أصنع لنجاة نفسي؟ قال: كل حلالاً وقل صدقاً. قال: وما السرور؟ قال: الجنة. قال: وما الراحة؟ قال: لقاء الله تعالى.

() سورة المائدة: الآية ۱۰۱.

() وأصل البيت الشعرى باللغة الفارسية:

كه باز آرد بشيمانى

جرا عاقل كند كارى

كه يوسف كشت زندانى

زليخا مرد زين حسرت

() سورة البقرة: الآية ۲۸۶.

() سورة الطلاق: الآية ۷.

() بحار الأنوار: ج۱۰۲ ص ۱۶۸ «بيان» ط بيروت، وفى غوالى اللآلى: ج۴ ص۵۸ ح ۲۰۵:

لايترك الميسور بالمعسور.

() إشارة إلى سورة يوسف: الآية ۵۳ وَمَا أُبَرِّئُ نَفْسِي.

() نقل السيد المقرّم فى كتابه مقتل الحسين عليه السلام ص۳۹۶ ط قم: فقلن النسوة: بالله عليكم إلاّ ما مررتم بنا على القتلى، ولما نظرن إليهم مقطّعى الأوصال قد طعنتهم سمر الرماح، ونهلت من دمائهم بيض الصفاح، وطحنتهم الخيل بسنابكها، صحن ولطمن الوجوه. وصاحت زينب: يا محمّداه، هذا حسين بالعراء، مرمّل بالدماء، مقطع الأعضاء، وبناتك سبايا وذريتك مقتلة، فأبكت كلَّ عدوّ وصديق حتى جرت دموع الخيل على حوافرها، ثم بسطت يديها تحت بدنه المقدس ورفعته نحو السماء، وقالت: إلهى تقبّل منّا هذا القربان.

() سورة المائدة: الآية ۲۷.

() سورة آل عمران: الآية ۳۷.

() سورة الصافات: الآيات ۱۸۰ ۱۸۲.

تعريف مركز القائمية باصفهان للتحريات الكمبيوترية

جاهِدُوا بِأَمْوالِكُمْ وَ أَنْفُسِكُمْ فى سَبيلِ اللَّهِ ذلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ (التوبة/۴۱).

قالَ الإمامُ علىّ بْنُ موسَى الرِّضا – علَيهِ السَّلامُ: رَحِمَ اللّهُ عَبْداً أحْيَا أمْرَنَا... يَتَعَلَّمُ عُلُومَنَا وَ يُعَلِّمُهَا النَّاسَ؛ فَإِنَّ النَّاسَ لَوْ عَلِمُوا مَحَاسِنَ كَلَامِنَا لَاتَّبَعُونَا... (بَنادِرُ البِحار – فى تلخيص بحار الأنوار، للعلاّمة فيض الاسلام، ص ۱۵۹؛ عُيونُ أخبارِ الرِّضا(ع)، الشّيخ الصَّدوق، الباب۲۸، ج۱/ ص۳۰۷).

مؤسّس مُجتمَع "القائميّة" الثّقافيّ بأصبَهانَ – إيرانَ: الشهيد آية الله "الشمس آباذى" – "رَحِمَهُ اللهُ" – كان أحداً من جَهابذة هذه المدينة، الذى قدِ اشتهَرَ بشَغَفِهِ بأهل بَيت النبىّ (صلواتُ اللهِ علَيهِم) و لاسيَّما بحضرة الإمام علىّ بن موسَى الرِّضا (عليه السّلام) و بساحة صاحِب الزّمان (عَجَّلَ اللهُ تعالى فرجَهُ الشَّريفَ)؛ و لهذا أسّس مع نظره و درايته، فى سَنَةِ ۱۳۴۰ الهجريّة الشمسيّة (=۱۳۸۰ الهجريّة القمريّة)، مؤسَّسةً و طريقةً لم يَنطَفِئ مِصباحُها، بل تُتَّبَع بأقوَى و أحسَنِ مَوقِفٍ كلَّ يوم.

مركز "القائميّة" للتحرِّى الحاسوبىّ – بأصبَهانَ، إيرانَ – قد ابتدَأَ أنشِطتَهُ من سَنَةِ ۱۳۸۵ الهجريّة الشمسيّة (=۱۴۲۷ الهجريّة القمريّة) تحتَ عناية سماحة آية الله الحاجّ السيّد حسن الإمامىّ – دامَ عِزّهُ – و مع مساعَدَةِ جمعٍ من خِرّيجى الحوزات العلميّة و طلاب

الجوامع، بالليل و النهار، فی مجالاتٍ شتّی: دینیّة، ثقافیّة و علمیّة...

الأهداف: الدّفاع عن ساحة الشیعة و تبسیط ثَقافة الثّقَلَین (کتاب الله و اهل البیت علیهِمُ السَّلامُ) و معارفهما، تعزیز دوافع الشّباب و عموم الناس إلی التّحَرِّی الأدَقّ للمسائل الدّینیّة، تخلیف المطالب النّافعة – مکانَ البَلاتیثِ المبتذلة أو الرّدیئة – فی المحامیل (=الهواتف المنقولة) و الحواسیب (=الأجهزة الکمبیوتریّة)، تمهید أرضیّةٍ واسعةٍ جامعةٍ ثَقافیّةٍ علی أساس معارف القرآن و أهل البیت –علیهم السّلام – بباعث نشر المعارف، خدمات للمحققین و الطّلاّب، توسعة ثقافة القراءة و إغناء أوقات فراغة هُواةِ برامِجِ العلوم الإسلامیّة، إنالة المنابع اللازمة لتسهیل رفع الإبهام و الشُّبُهات المنتشرة فی الجامعة، و...

– مِنها العَدالة الاجتماعیّة: التی یُمکِن نشرها و بثّها بالأجهزة الحدیثة متصاعدةً، علی أنّه یُمکِن تسریعُ إبراز المَرافِق و التسهیلاتِ– فی آکناف البلد – و نشرِ الثّقافةِ الاسلامیّة و الإیرانیّة – فی أنحاء العالَم – مِن جِهةٍ اُخرَی.

– من الأنشطة الواسعة للمرکز:

الف) طبع و نشر عشراتِ عنوانِ کتبٍ، کتیبة، نشرة شهریّة، مع إقامة مسابقات القِراءة

ب) إنتاجُ مئات أجهزةٍ تحقیقیّة و مکتبیة، قابلة للتشغیل فی الحاسوب و المحمول

ج) إنتاج المَعارض ثُلاثیّةِ الأبعاد، المنظر الشامل (= بانوراما)، الرّسوم المتحرّکة و... الأماکن الدینیّة، السیاحیّة و...

د) إبداع الموقع الانترنتی "القائمیّة" www.Ghaemiyeh.com و عدّة مَواقِعَ اُخرَ

ه) إنتاج المُنتَجات العرضیّة، الخَطابات و... للعرض فی القنوات القمریّة

و) الإطلاق و الدَّعم العلمیّ لنظام إجابة الأسئلة الشرعیّة، الاخلاقیّة و الاعتقادیّة (الهاتف: ۰۰۹۸۳۱۱۲۳۵۰۵۲۴)

ز) ترسیم النظام التلقائیّ و الیدویّ للبلوتوث، ویب کشک، و الرّسائل القصیرة SMS

ح) التعاون الفخریّ مع عشراتِ مراکزَ طبیعیّة و اعتباریّة، منها بیوت الآیات العِظام، الحوزات العلمیّة، الجوامع، الأماکن الدینیّة کمسجد جَمکرانَ و...

ط) إقامة المؤتمَرات، و تنفیذ مشروع "ما قبلَ المدرسة" الخاصّ بالأطفال و الأحداث المُشارِکین فی الجلسة

ی) إقامة دورات تعلیمیّة عمومیّة و دورات تربیة المربّی (حضوراً و افتراضاً) طیلة السَّنَة

المکتب الرّئیسیّ: إیران/أصبهان/ شارع"مسجد سیّد/ "ما بینَ شارع"پنج رَمَضان "ومُفترَق"وفائی/"بنایة"القائمیّة"

تاریخ التأسیس: ۱۳۸۵ الهجریّة الشمسیّة (=۱۴۲۷ الهجریة القمریّة)

رقم التسجیل: ۲۳۷۳

الهویّة الوطنیّة: ۱۰۸۶۰۱۵۲۰۲۶

الموقع: www.ghaemiyeh.com

البرید الالکترونی: Info@ghaemiyeh.com

المَتجَر الانترنتی: www.eslamshop.com

الهاتف: ۲۵–۲۳۵۷۰۲۳– (۰۰۹۸۳۱۱)

الفاکس: ۲۳۵۷۰۲۲ (۰۳۱۱)

مکتب طهرانَ ۸۸۳۱۸۷۲۲ (۰۲۱)

التّجاریّة و المَبیعات ۰۹۱۳۲۰۰۰۱۰۹

امور المستخدمین ۲۳۳۳۰۴۵(۰۳۱۱)

ملاحَظة هامّة:

الميزانيّة الحاليّة لهذا المركز، شَعبيّة، تبرّعيّة، غير حكوميّة، و غير ربحيّة، اقتُنِيَت باهتمام جمع من الخيّرين؛ لكنّها لا تُوافِي الحجمَ المتزايد و المتّسِعَ للامور الدّينيّة و العلميّة الحاليّة و مشاريع التوسعة الثّقافيّة؛ لهذا فقد ترجَّى هذا المركزُ صاحِبَ هذا البيتِ (المُسمَّى بالقائميّة) و مع ذلك، يرجو مِن جانب سماحة بقيّة الله الأعظم (عَجَّلَ اللهُ تعالى فرَجَهُ الشَّريفَ) أن يُوفِّقَ الكلَّ توفيقاً متزائداً لِإعانتهم – فى حدّ التّمكّن لكلّ احدٍ منهم – إيّانا فى هذا الأمر العظيم؛ إن شاءَ اللهُ تعالى؛ و اللهُ وليّ التوفيق.

مرکز القائمیة للبحوث والتخریبات الکمبیوتریة
اصبهان
WWW
للحصول على المكتبات الخاصه الاخرى
ارجعوا الى عنوان المـركز من فضلـكم
www.Ghaemiyeh.com
www.Ghaemiyeh.net
www.Ghaemiyeh.org
www.Ghaemiyeh.ir
و للايصاء من فضلكم
۰۹۱۳ ۲۰۰۰ ۱۰۹